
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01224 3329

الفرق بين الفرق

وبيان الفرقة الناجية منهم

للإمام الكبير حجة المتكلمين

أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

عرف الكتاب ، وترجم المؤلف ، وصححه ، وكتب هوامشه
العلامة المحقق الكبير
صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

الأصل مأخوذ عن نسخة خطية كانت مملوكة لجلبي زاده أحد أحفاد
سلطان الصوفية ، وإمام الفلاسفة مولانا
جلال الدين الصديق ناظم كتاب المثنوى
ومؤسس الطريقة المولوية المتوفى سنة ٦٧٢هـ
المشهور مزاره بمدينة « قونية »

عنى بنشره ، وراجع أصله ، ووقف على طبعه

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية
من أقدم عصورها إلى الآن

سنة ١٣٦٧ هـ
سنة ١٩٤٨ م

إهـــداء الكتاب

لحضرة نصير العلم والأدب، شيخ الاسلام والمسلمين الامام العلامة الجليل
صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر

« ليس بخاف على فضيلتكم يا مولاى ما للامام العلامة ، حجة المتكلمين »
« أبى منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ﻫ من المكانة العلمية، »
« وما لمؤلفاته من الشهرة والأهمية لدى أئمة الاسلام وعلمائه الأعلام الذين »
« تعاقبوا من القرن الخامس إلى الآن . »

« ومن أهم ما ألف ، وخير ماخلف كتاب « الفرق بين الفرق » الذى رأينا »
« شدة حاجة المتكلمين إلى مطالعته تاما غير منقوص ، ومضبوطا غير مصحف »
« ولا محرف لذا بذلت جهداً كبيراً وسعيت سعيا حثيثا إلى أن حصلت على نسخة »
« مخطوطة مملوكة لجلبي زاده احد أحفاد سلطان الصوفية وإمام الفلاسفة والشعراء »
« مولانا جلال الدين الصديقي مؤسس الطريقة المولوية وناظم ديوان المثنوى المتوفى »
« سنة ٦٧٢ﻫ المشهور مزاره فى مدينة (قونية) وهى ترجح كثيراً على النسخة »
« المحفوظة بمكتبة برلين ومختصرها المحفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق وتفوقهما »
« صحة . »

« ولما كان هـــذا الكتاب موضع أهتمام علماء المشرق والمغرب وقد ترجم »
« المستشرق هالكن جزء منه إلى اللغة الانكليزية رأيت من الخدمة العلمية نشره »
« مصححا تصحيحاً علميا وفنياً تعميما للفائدة . »

« وقد تفضل العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد »
« الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا ونزيل القاهرة فتقبل »
« رجائى وتولى تصحيحه وتدارك باجتهاده سد مابه من خروم التى لاتخلو منها »
« نسخة خطية قديمة كما تفضل بتعليق هوامشه المحتاج اليها . »

« هذا وانى لفخور ياسيدى بان أتوج طبعتى هذه باسمكم الكريم راجيا أن »
« تنال نعمة القبول . والله أسأل أن يبارك فى عمركم ويحفظكم ذخرا للدين، والعلم ، »
« وخدامه . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام؟ »

عزت العطار الحسينى
ناشر الكتاب ، ومحرر بمجلة الرابطة العربية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفرق بين الفرق ومؤلفه

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وبعد: فان علم أحوال الفرق والنحل من العلوم التي عنى بها علماء هذه الأمة علماً منهم بأن من اطلع على تاريخ الفرق ووجوه تشعبها ، وكيفية تفرع بعضها من بعض، ازداد بصيرة في أمر دينه وتصونا في عقيدته ، وعلما بأطوار الفكر البشرى فى باب الاعتقاد، ولايحصى عدد ما ألف فى ذلك من الكتب ومن أشهرها كتاب «الفرق بين الفرق» للامام أبى منصور عبد القاهر البغدادى ، وقد سبق ان نشر هذا الكتاب بمعرفة بعض أهل الفضل عن نسخة سقيمة لم تصرف عناية كافية لتصحيحها وإصلاح أغلاطها وملء خرومها من مظانها ولذا ضاق صدر المطلعين متشوفين إلى تدارك ذلك، وقد أحضر الى الأخ الأستاذ الأديب السيد عزة العطار الحسيني أصولا من هذا الكتاب وطلب منى أن أسرح طرفى فيها لإصلاح الخلل وملء الخروم ففعلت بقدر ماتيسر، والمؤلف شديد الصولة على المخالفين، كما هو شأن حراس العقيدة، والحراسة غير التأريخ المجرد ، لكن تعويله فى عزو الآراء الى الفرق على كتب الخصوم يوقع فى أخطاء ، ولو اقتصر فى العزو على ماوجده فى كتب أهل الفرق أنفسهم لكان أحوط وأقوم حجة لأن الخصم قد يعزو إلى خصمه مالم يفه به من الآراء بما يعده لازم قولهم ، فى حين أنه ليس بلازم قولهم لزوما بينا فلايصح إلزامهم به ولاسيا عند تصريحهم بالتبرى من ذلك اللازم ، وقد توسعت فى بيان الحالة العامة عند البعثة النبوية ونشأة أصول الفرق فى مقدمتنا على (تبيين كذب المفترى فى الذب عن الأشعرى) لابن عساكر ، وفى مقدمتنا على (السيف الصقيل) للتقى السبكى ، وفيما كتبناه فى صدر (التبصير فى الدين) لأبى المظفر الإسفرايني فلانعيد هنا ماسبق منا بسطه فى تلك المواضع.

الكلام فى الأحاديث الواردة فى افتراق الامة:

ولا أرى بأساً فى إعادة الكلام هنا فى أحاديث وردت فى افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقه . منها: مالانص فيه على الهالك منها، ومنها : مافيه بيان أن واحدة منها ناجية والباقين هلكى ، ومنها: ما يعدهم كلهم ناجين سوى واحدة هى الزنادقة ، وقد اختلف أهل

العلم فى ثبوت تلك الأحاديث وعدم ثبوتها كلا أو بعضا كما اختلفوا فى المراد بالعدد المأثور وفى الأمة هل هى أمة الدعوة أم أمة الإجابة . فمنهم من يقول إن العدد لمجرد التكثير كما فى قوله تعالى : (فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) على ما أوضحه الشهاب المرجانى فيما كتبه على العضدية أو إن العدد هنا لامفهوم له فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور ، وإن لم يجز النقص ، أو إن القصد الى أصول الفرق دون فروعها كما أشار إلى هذا وذاك فخر الدين الرازى فى كتابه فى الملل والنحل وإن سعى فى توهين الحديث فى تفسيره .

ومنهم طائفة تكلفوا حصر العدد فى فرق خاصة لكن قلما تجدهم يتفقون فى الفرق التى يملأون بها العدد المذكور ، والأجدر بالقبول عند من يرى صحة الحديث أن لايتقدم بالحكم على مراد الرسول صلوات الله وسلامه عليه بدون حجة ظاهرة ، بل المتحتم أن نقول إن الناجى هو من كان على ماعليه الصحابة رضى الله عنهم والسواد الأعظم من التمسك بما ثبت من الدين بالضرورة ، وإن الباقين على ضلال إلا أن تشعب الفرق لاينتهى إلى انتهاء تاريخ البشر فلايصح قصر العدد على فرق دون فرق ، ولا على قرن دون قرن ، لاستمرار ابتكار أهواء ، وتلفيق آراء ، مدة دوام الحياة البشرية فى هذا العالم ، فالكلام فى الفرق كلها من غير تقيد بعدد هو الأبعد عن التحكم ، وهو الذى لايكون مدعاة لهزء الهازئين .

ورأى ابن حزم فى حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة هو ماذكره فى كتاب (الإيمان من الفصل) حيث قال: « ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة) . وحديثا آخر : (تفترق هـــذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشى واحدة) . قال أبو محمد : هذان حديثان لايصحان أصلا من طريق الإسناد ، وماكان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لايقول به اه » . وفى المعتقد خاصة .

وقال ابن الوزير اليمانى فى (العواصم والقواصم) : « إياك أن تغتر بزيادة كلها فى النار إلا واحدة ، فانها زيادة فاسدة ، ولايبعد أن تكون من دسيس الملاحدة ، وقد قال ابن حزم: بأن هذا الحديث لا يصح اه » .

وقال الشمس محمد بن احمد البشارى المقدسى فى (أحسن التقاسيم) بعد أن عدد الفرق وذكر حديث (اثنتان وسبعون فى الجنة وواحدة فى النار) وحديث (اثنتان وسبعون فى

النار وواحدة ناجية) : هذا أشهر والأول أصح إسناداً اه . ومن الغريب أن ابن حزم يستدل فى أحكامه على بطلان القياس بحديث نعيم بن حماد : (تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الأمور برأيهم) مع سقوط هذا الحديث من وجوه عند جماعة أهل العلم بالحديث من المشارقة بل المغاربة ، وقد سئل يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال : ليس له أصل فقيل له . فنعيم بن حماد قال : نعيم ثقة . فقيل : كيف يحدث ثقة بباطل ؟ قال شبه له . وقد أطال الخطيب الكلام فى هذا الحديث فى تاريخه (١٣-٣٠٧) والكلام فيه معروف ، وهنا لايتوقف ابن حزم فى الحكم بعدم الصحة على حديث أبى داود ، والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة : (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) بدون زيادة (ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة) وفى رواية لأبى داود، والحاكم بتلك الزيادة ولعل ذلك من جهة وجود محمد بن عمرو الليثى بين رواته وهو ممن أخرج له الشيخان فى المتابعات فقط ، ومثله لايحتج بحديثه إذا لم يتابع ، ويقول الحاكم فى المستدرك بعد أن أخرج الحديث : هذا من شرط مسلم . ويقول الذهبى مستدركا عليه : محمد بن عمرو لم يحتج به منفرداً ، ولكن مقرونا بغيره .

وأما ماورد بمعناه فى ابن ماجة ، والبيهقى وغيرهما ففى بعض أسانيده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى، وفى بعضها كثير بن عبد الله ، وفى بعضها عباد بن يوسف ، وراشد ابن سعد، وفى بعضها الوليد بن مسلم، وفى بعضها مجاهيل كما يظهر من كتب الحديث ومن تخريج الحافظ الزيلعى لأحاديث الكشاف ـ وهو أوسع من تكلم فى طرق هذا الحديث فيما أعلم ـ وابن حزم لايرى جبر الضعيف بتعدد الطرق . وأما حديث : (كلها فى الجنة إلا الزنادقة) فأخرجه صاحب « مسند الفردوس » بسنده وسكت عليه ابن حجر فى « زهر الفردوس » ، وسعى العجلونى فى التوفيق بين الحديثين بحمل أحدهما على الابتداء والآخر على الانتهاء .

وأما حديث : (إن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة) فى كلام ابن حزم ففى سنده عند الطبرانى هارون بن موسى الفروى ، وأما حديث (القدرية مجوس هذه الأمة) عند أبى داود ففى سنده جعفر بن الحارث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وتعقبه السيوطى ، وأما حديث (صنفان من أمتى ليس لهما من الاسلام نصيب المرجئة والقدرية) عند

الترمذى فى سنده على بن نزار بن حيان وأبوه . وأما لعن الفريقين على لسان سبعين نبياً. ففى سنده عبد الطبرانى فى الأوسط محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك الحديث ، كذبه غير واحد ، — راجع رجال تلك الأحاديث فى ميزان الاعتدال — وفى هذا القدر كفاية فى الكلام عن الأحاديث الواردة فى ذلك .

اسم المؤلف، وشيوخه ، وأقوال المؤرخين فيه :

وأما مؤلف الكتاب فهو الإمام الكبير الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ابن محمد التيمى البغدادى . قال التاج بن السبكى : إمام عظيم القدر جليل المحل ، اشتهر اسمه وبعد صيته وحمل عنه العلم أكثر أهل خراسان سمع عمرو بن نجيد ، وأبا عمرو محمد بن جعفر بن مطر ، وأبا بكر الاسماعيلى ، وأبا بكر بن عدى وغيرهم اه.

وقال عبد الغافر الفارسى : هو الأستاذ الإمام الكامل ذو الفنون الفقيه الأصولى الأديب الشاعر النحوى الماهر فى علم الحساب ، ورد نيسابور مع أبيه أبى عبد الله طاهر وكان ذا مال وثروة ومروءة وأنفق ماله على أهل العلم والحديث حتى افتقر، وأربى على أقرانه فى الفنون ودرس فى سبعة عشر نوعا من العلوم وكان قد درس على الأستاذ أبى اسحاق (الإسفرايني) وأقعد بعده للإملاء مكانه وأملى سنين واختلف إليه الائمة وقرأوا عليه مثل ناصر المروزى ، وأبى القاسم القشيرى وغيرهما وخرج من نيسابور فى أيام التركمانية وفتنتهم الى اسفراين فات بها اه.

وقال الفخر الرازى فى « الرياض المونقة » : كان يسير فى الرد على المخالفين سير الآجال فى الآمال، وكانت علومه علم الحساب ، والمقدار ، والكلام، والفقه ، والفرائض ، وأصول الفقة ، ولولم يكن له الا كتاب التكملة فى الحساب لكفاه اه . وقال الرازى أيضا فى مناظرته مع أهل ماوراء النهر فى المسألة العاشرة عند ذكره لكتاب (الملل والنحل) للشهرستانى : إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى (بالفرق بين الفرق) من تصانيف الأستاذ أبى منصور البغدادى ، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ثم إن الشهرستانى نقل مذاهب الفرق الاسلاميه من ذلك الكتاب فلهذا السبب وقع الخلل فى نقل هذه المذاهب اه.

وفى ذلك بعض غلو لكن لم يكن عزو الآراء الى الفرق من نفسه بل من مصادر غير جديرة بالتعويل وقد سبق منا أن التعويل فى ذلك على نقول الخصوم كثيراً ما يوقع المرء فى أخطاء. وطريق التصون من ذلك الاقتصار ما يوجد فى كتب المردود عليهم فالاعتماد على

مثل ابن الراوندى مثلا فى الرد على المعتزلة خطر غير مأمون العواقب ، وقلة الإلمام بالتاريخ تحمل المرء على تصديق كل ماير اه فى خصو مه مما لا يصدقه التاريخ ، ووقع فى مثل ذلك فى مناقشاته فى الفتنه وردوده على أهل الفقه لهذا السبب نفسه ، ومع ذلك خدماته مشكورة فى الرد على أهل الزيغ ، وردوده وجيهة وسهامه مصيبة فى المقتل على تقدير ثبوت تلك الآراء من الخصوم كما رآه فى مصادر عول عليها وإن لم تثبت فلا ضير من ذلك على من لم يقل بتلك الآراء فاذا وجد فى زمن ما من يقول بها فالسهام تصيبه فى المقتل ، وعلى كل حال ففى ذلك جودة التدريب على طرق الردود الناجحة .

مؤلفاته ووفاته :

له مؤلفات كثيرة ذكر ابن السبكى كثيراً منها ومن أنفعها كتاب الملل والنحل — وهو من محفوظات مكتبة الأوقاف ببغداد — وكتاب أصول الدين المعروف عند أهل العلم بالتبصرة البغدادية تمييزا لها من التبصرة النسفية المسماة (تبصرة الأدلة) لأبى المعين النسفى ، وقد طبع كتابه هذا فى الآستانة طبعا أنيقا ، وقد قال صهر المؤلف وتلميذه الناسج على منواله الإمام أبو المظفر الاسفراينى فى (التبصير) : ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من صنف لهم فى جميع العلوم ، على الخصوص والعموم ، إلا من كان فرد زمانه وواحد أقرانه فى معارفه وعلومه وكثرة الغرر فى تصانيفه وهو الامام أبو منصور البغدادى قدس الله روحه ، لكفاهم فخراً لأنه ما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف بل لو لم يكن له من التصانيف الا كتاب الملل والنحل فى أصول الدين لكفى ذلك وهو كتاب لا يكاد يسع فى خاطر بشر أنه يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من فنون علمه ، وتصانيفه فى الكلام والفقه والحديث والمقدرات التى هى أم الدقائق تخرج عن الحصر ولم يسبق إلى مثل كتبه فى هذه الأنواع مع حسن عبارته وعذوبة بيانه ولطافة كلامه فى جميع كتبه اهـ.

توفى رحمه الله فى اسفراين سنه تسع وعشرين وأربعمائة . قال ابن عساكر فى التبيين : — واتفق أهل العلم على دفنه بجنب أبى اسحاق ابراهيم بن محمد المتكلم الاسفراينى فقبراهما متجاوران تجاور تلاصق كأنهما نجمان جمعهما مطلع وكوكبان ضمهما برج مرتفع اهـ وكان ابو منصور البغدادى تخرج فى علم أصول الدين على الطريقة الأشعرية على الأستاذ أبى اسحاق الاسفراينى هذا المتوفى سنة ٤١١ هـ وهو تخرج فى ذلك على الأمام أبى الحسن الباهلى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ - كما فى عيون التواريخ - وهو تخرج فى علم أصول الدين على الامام أبى الحسن الأشعرى رضى الله تعالى عن الجميع وتغمدهم برضوانه وشملهم بغفرانه ونفعنا بعلومهم آمين ؟

محمد زاهد الكوثرى

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر

الحمد لله فاطر الخلق وموجده ، ومظهر الحق ومنجده ، الذى جعل الحق وزراً لمن اعتقده ، وعمراً عن اعتمده ، وجعل الباطل مزلا لمن ابتغاه، ومذلا لمن اقتفاه . والصلاة والسلام على الصفوة الصافية ، والقدوة الهادية محمد وآله خيار الورى . ومنار الهدى .

سألتم اسعدكم الله بمطلوبكم شرح معنى الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية . تصير الى جنة عالية ، وبواقيها عادية تصير الى الهاوية والنار الحامية ، وطلبتم الفرق بين الفرقة الناجية التى لا تزل بها القدم ، ولا تزول عنها النعم ، وبين فرق الضلال الذين يرون ظلام الظلم نوراً ، واعتقاد الحق ثبورا وسيصلون سعيراً ، ولا يجدون من دون الله نصيراً .

فرأيت إسعافكم بمطلوبكم من الواجب فى إبانة الدين القويم ، والصراط المستقيم ، وتمييزها من الأهواء المنكوسة والآراء المعكوسة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيا عن بينة ، فأودعت مطلوبكم مضمون هذا الكتاب . وقسمت مضمونه خمسة أبواب هذه ترجمتها:

١ — باب فى بيان : الحديث المأثور فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة .

٢ — باب فى بيان : فرق الأمة على الجملة ومن ليس منها على الجملة .

٣ — باب فى بيان : فضائح كل فرقة من فرق الأهواء الضالة .

٤ — باب فى بيان : الفرق التى انتسبت الى الاسلام وليست منها .

٥ — باب فى بيان : الفرقة الناجية وتحقيق نجاتها وبيان محاسن دين الإسلام .

فهذه جملة أبواب هذا الكتاب وسنذكر فى كل باب منها مقتضاه على شرطه إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة :

أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد بن بشار الإسفرايني[١] . قال : أخبرنا عبد الله بن ناجية [٢]. قال : حدثنا وهب بن بقية[٣]، عن خالد بن عبد الله[٤] ، عن محمد بن عمرو [٥] ، عن أبي سلمة[٦] ، عن أبي هريرة[٧] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة[٨] » .

أخبرنا : أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمذي العدل الثقة [٩] . قال : أخبرنا : أحمد بن الحسن بن عبد الجبار[١٠] . قال : حدثنا الهيثم بن خارجة[١١] . قال :

---

(١) هو : ابن الدهقان المحدث الجوال المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وهو ابن بضع وتسعين سنة .

(٢) هو : أبو محمد الحافظ البربري البغدادي صاحب المسند الكبير المتوفى سنة ٣٠١ هـ

(٣) هو من رجال مسلم وهبان الواسطي الراوي عن هشيم وطبقته توفي سنة ٢٣٩ هـ

(٤) هو : الطحان الواسطي أخرج له الجماعة وتوفي سنة ١٧٩ هـ .

(٥) هو : ابن علقمة الليثي توفي سنة ١٤٥ هـ وأخرج له البخاري مقروناً ، ومسلم متابعة لا يحتج بما انفرد به وهذا مما انفرد به .

(٦) هو : ابن عبد الرحمن بن عوف أخرج له الجماعة وتوفي سنة ٩٤ هـ أو سنة ١٠٤ هـ

(٧) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي . صحابي جليل أكثر من رواية الحديث جداً توفي سنة ٥٧ هـ

(٨) والكلام فيه في تخريج الزيلعي على الكشاف .

(٩) هو : السمذي بكسر السين وتشديد الميم كان أبوه يبيع السمذ ـ نوع من الخبز ـ راوية مسند اسحاق . ثقة عدل توفي سنة ٣٦٦ هـ عن ٨٣ سنة

(١٠) هو : أبو عبد الله الصوفي ببغداد كان ثقة صاحب حديث أخذ عن ابن معين وطبقته توفي سنة ٣٠٦ هـ عن ٩٠ سنة .

(١١) هو : الحافظ أبو محمد الخراساني روى عن الليث وعنه البخاري والنسائي توفي سنة ٢٢٧ هـ

حدثنا اسماعيل بن عياش [١] ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم [٢] ، عن عبد الله بن يزيد [٣] ، عن عبد الله بن عمرو [٤] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل . تفرق بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة . قالوا يا رسول الله: وما الملة التى تنقلب . قال : ما أنا عليه وأصحابى » .

أخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن عمر المالكى [٥] . قال : حدثنا : أبى [٦] ، عن أبيه . قال : حدثنا الوليد بن مسلم [٧] . قال : حدثنا الأوزاعى [٨] . قال : حدثنا قتادة [٩] ، عن أنس [١٠] ، عن النبى عليه السلام . قال : « إن بنى اسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » .

قال عبد القاهر : للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة [١١] ، وقد رواه عن

---

(١) هو : الحمصى ، روايته عن غير أهل الشام ضعيفة عندهم ، وشيخه هذا إفريقى فترد روايته عنه توفى سنة ١٨١هـ .

(٢) هو : قاضى إفريقية منكر الحديث عند أحمد توفى سنة ١٧٤هـ .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن الحبلى توفى بافريقية سنة ١٠٠هـ .

(٤) هو : ابن العاص توفى سنة ٦٥هـ رضى الله عنه .

(٥) من شيوخ عبد القاهر . (٦) من شيوخ الدارقطنى .

(٧) من رجال الجماعة الا أنه يسقط الضعفاء من شيوخ الأوزاعى ويجعله يروى عن ثقات ، مدلس رفاع توفى سنة ١٩٤هـ

(٨) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعى امام أهل الشام لم يكن بالشام أعلم منه ولد فى بعلبك سنة ٩٣ وسكن بيروت مات سنة ١٥٧هـ .

(٩) هو : ابن دعامة المشهور توفى سنة ١١٧هـ .

(١٠) هو : ابن مالك بن النضر الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ولد فى المدينة سنة ١٠ قبل الهجرة وتوفى فى البصرة سنة ٩٣هـ رضى الله عنه .

(١١) استوفى طرقها الحافظ الزيلعى فى تخريج أحاديث الكشاف وبسطت القول فى ذلك فى مقدمة «التبصير فى الدين» كما بسطت الكلام هناك فى حديث القدرية والمرجئة فليراجع هناك

النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة : كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء [١] ، وجابر [٢] ، وأبي سعيد الخدري [٣] ، وأبي بن كعب [٤] ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة [٥] ، ووائلة بن الاسقع [٦] ، وغيرهم .

وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقاً ، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة وسائرها على الضلال فى الدنيا والبوار فى الآخرة .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الأمة ، وروى عنه : ذم المرجئة مع القدرية ، وروى عنه أيضاً : ذم المارقين وهم الخوارج ، وروى عن أعلام الصحابة ذم القدرية ، والمرجئة ، والخوارج المارقة وقد ذكرهم على رضى الله عنه فى خطبته المعروفة بالزهراء وبرىء فيها من أهل النهروان . وقد علم كل ذى عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى [الاسلام] ان النبي عليه السلام لم يرد بالفرق المذمومة التى [هى من] أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا فى فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين :

أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع الفقه . وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون .

والثانى : قول من يرى فى كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه ، وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطىء فيه ، وانما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية فى أبواب العدل والتوحيد ، أو فى الوعد والوعيد ، أوفى بابى القدر والاستطاعة ، أوفى تقدير الخير والشر ، أوفى باب الهداية والضلالة ، أوفى باب الإرادة والمشيئة ، أوفى باب الرؤية والادراك ، أوفى باب صفات الله

---

(١) هو : عويمر بن زيد الانصارى الصحابى الجليل توفى سنة ٣٢هـ .
(٢) هو : ابن عبد الله الانصارى ، صحابى جليل توفى بالمدينة سنة ٧٨هـ رضى الله عنه .
(٣) هو : سعد بن مالك توفى سنة ٦٣هـ رضى الله عنه .
(٤) هو : من أقرىء الصحابة توفى سنة ٣٢هـ رضى الله عنه .
(٥) هو : صدى بن عجلان الباهلى توفى سنة ٨٦هـ رضى الله عنه .
(٦) هو : وائلة بن الاسقع توفى سنة ٨٥هـ رضى الله عنه .

عز وجل وأسمائه وأوصافه ، أو فى باب من أبواب التعديل والتجوير ، أو فى باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التى اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريق الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية ، والخوارج ، والروافض والنجارية ، والجهمية ، والمجسمة ، والمشبهة ومن جرى [مجراهم] من فرق الضلال . فان المختلفين فى العدل والتوحيد والقدر والاستطاعة وفى الرؤية والصفات والتعديل والتجوير ، وفى شروط النبوة والامامة يكفر بعضهم بعضا ، فصح تأويل الحديث المروى فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التى اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام فى أبواب الحلال والحرام . وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع وسنذكر الفرق التى رجع اليهم تأويل الخبر المروى فى افتراق الأمة فى الباب الذى يلى ما نحن فيه إن شاء الله عز وجل .

الباب الثانى

من ابواب هذا الكتاب : فى كيفية افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة ، وفى ضمنه بيان الفرق الذين يجمعهم اسم ملة الاسلام فى الجملة . يقع فى هذا الباب فصلان :

أحدهما : فى بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة فى اسم ملة الاسلام فى الجملة .

والفصل الثانى : فى بيان كيفية اختلاف الأمة وتحصيل عدد فرقها الثلاث والسبعين وسنذكر فى كل واحد من هذين الفصلين مقتضاه ان شاء الله عز وجل .

الفصل الأول : فى بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة فى اسم ملة الاسلام على الجملة . قبل التفصيل . اختلف المنتسبون الى الاسلام فى الذين يدخلون بالاسم العام فى ملة الاسلام . فزعم أبو القاسم الكعبى فى مقالاته : أن قول القائل أمة الاسلام تقع على كل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان . وزعم قوم : أن أمة الاسلام كل من يرى وجوب الصلاة الى جهة الكعبة ، وزعمت الكرامية مجسمة خراسان أن أمة الاسلام جامعة لكل من أقر بشهادتى الاسلام لفظا . وقالوا : كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الاسلام سواء كان مخلصاً فيه أو منافقاً مضمراً للكفر فيه والزندقة ، ولهذا زعموا أن المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين حقاً ، وكان ايمانهم كايمان جبريل ، وميكائيل . والأنبياء ، والملائكة مع

اعتقادهم النفاق واظهار الشهادتين . وهذا القول مع قول الكعبي(١) فى تفسير أمة الاسلام ينتقض بقول العيسويه (٢) من يهود أصبهان فانهم يقرون بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبأن كل ماجاء به حق، ولكنهم زعموا أنه بعث إلى العرب لا الى بنى اسرائيل وقالوا ايضا : محمد رسول الله . وماهم معدودين فى فرق الاسلام . وقوم من موشكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بموشكان (٣) أنه قال : أن محمداً رسول الله الى العرب والى سائر الناس ماخلا اليهود . وانه قال : انالقرآن حق وكل (ما جاء به من) الأذان والاقامة ، والصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان ، وحج الكعبة كل ذلك حق غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود ، وربما فعل ذلك بعض الموشكانية وقد اقروا بشهادتى ان لاإله الا اللهوأن محمدا رسولالله ، وأقروا بان دينه حق . وماهم مع ذلك من امةالاسلام لقولهم بان شريعة الاسلام لاتلزمهم .

وأما قول من قال إن اسم ملة الاسلام أمر واقع على كل من يرى وجوب الصلاة الى الكعبة المنصوبة بمكة فقد رضى بعض فقهاء الحجاز هذا القول وأنكره أصحاب الرأى لما روى عن أبى حنيفة(٤) أنه صحح إيمان من أقر بوجوب الصلاة الى الكعبة وشك فى موضعها . وأصحاب الحديث لايصححون إيمان من شك فى موضع الكعبة ، كما لايصححون إيمان من شك فى وجوب الصلاة الى الكعبة . والصحيح عندنا أن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه ، وقدمه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته ، ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته الى الكافة ، وبتأبيد شريعته ، وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة اليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى الى الكفر فهو السنى الموحد . وان ضم الى الأقوال مما ذكرناه بدعة شنعاء . نظر فإن كان على بدعة

---

(١) هو : أبو القاسم البلخى صاحب المقالات عبد الله بن أحمد توفى سنة ٣١٩ ھ .

(٢) تنسب إلى أبى عيسى الأصبهانى اليهودى معاصر للمنصور العباسى .

(٣) هم فريق من يوذعانية اليهود . راجع الملل والنحل للشهرستانى .

(٤) هو : الامام الأعظم وأحد الأئمة الأربعة النعمان بن ثابت بن النعمان بن قيس بن المرزبان بن زوطى بن ماه فى التحقيق توفى سنة ١٥٠ ھ وما يعزى الى أبى حنيفة هنا تجد تمحيصه فى « تأنيب الخطيب » (ص ٣٦) .

الباطنية ، أو البيانية ، أو المغيرية ، أو الخطابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية فى قولها : بأن شريعة الاسلام تنسخ فى آخر الزمان ، أو أباح مانص القرآن على تحريمه ، أو حرم ما أباحه القرآن نصاً لايحتمل التأويل فليس هو من أمة الاسلام ولا كرامة له .

وان كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة ، أو الخوارج ، أو الرافضة الإمامية ، أو الزيدية ، أو من بدع النجارية ، أو الجهمية ، أو الضرارية ، أو المجسمة فهو من الأمة فى بعض الأحكام وهو جواز دفنه فى مقابر المسلمين ، وفى أن لايمنع حظه من الفىء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفى أن لايمنع من الصلاة فى المساجد . وليس من الأمة فى أحكام سواها وذلك أن لاتجوز الصلاة عليه ولاخلفه ، ولاتحل ذبيحته ولانكاحه لامرأة سنية ، ولايحل للسنى أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم . وقد قال على بن أبى طالب(١) رضى الله عنه للخوارج : علينا ثلاث : لانبدؤكم بقتال ، ولانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله . ولا نمنعكم من الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا والله أعلم .

الفصل الثانى :

من هذا الباب فى بيان كيفية اختلاف الأمة وتحصيل عدد فرقها الثلاث والسبعين :

كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد فى أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً . وأول خلاف وقع منهم اختلافهم فى موت النبى عليه السلام . فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع عيسى ابن مريم اليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق(٢) قول الله لرسوله عليه السلام : (إنك ميت وإنهم ميتون(٣)) . وقال لهم : من كان

---

(١) هو : رابع الخلفاء الراشدين ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ومات مقتولا سنة ٤٠ هـ رضى الله عنه .

(٢) هو : أول الخلفاء الراشدين ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفى بالمدينة سنة ١٣هـ .

(٣) سورة الزمر : مكية ٣٠

يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت[١] » . ثم اختلفوا بعد ذلك فى موضع دفن النبي عليه السلام فاراد أهل مكة رده الى مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته ، وموضع نسله ، وبها قبر جده اسماعيل عليه السلام ، وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ، ودار أنصاره ، وقال آخرون بنقله الى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه السلام . وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون[٢] » ، فدفنوه فى حجرته بالمدينة . ثم اختلفوا بعد ذلك فى الإمامة وأذعنت الأنصار الى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي[٣] . وقالت قريش : ان الائمة لاتكون الا فى قريش ، ثم أذعنت الأنصار لقريش لما روى لهم قول النبي عليه السلام « لأئمة من قريش[٤] » . وهذا الخلاف باق إلى اليوم لأن ضراراً أو الخوارج قالوا بجواز الإمامة فى غير قريش ، ثم اختلفوا بعد ذلك فى شأن فدك[٥] ، وفى توريث التركات عن الأنبياء عليهم السلام ، ثم نفذ فى ذلك قضاء أبي بكر بروايته عن النبي عليه السلام : « إن الأنبياء لايورثون[٦] » . ثم اختلفوا بعد ذلك فى مانعي وجوب الزكاة ثم اتفقوا على رأى أبي بكر فى وجوب قتالهم ، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال طليحة[٧] حين تنبأ وارتد حتى انهزم الى الشام . ثم رجع فى

---

(١) أخرجه البخاري فى تاريخه .

(٢) وردت بمعناه أحاديث كثيرة فى الموطأ ، وطبقات ابن سعد وغيرهما .

(٣) كان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده خرج الى الشام ومات فى حوران سنة ١٥ .

(٤) مع شهرة هذه الحكاية بين المتكلمين لم يثبت احتجاج أبى بكر بهذا الحديث يوم البيعة وان كان الحديث وارداً بسند جيد عند الطبرانى وغيره كما يظهر من « تلقيح الفهوم فى تنقيح صيغ العموم » للحافظ العلائى .

(٥) لم يعده أبو بكر وأعاده عمر رضى الله عنهما لاختلافهما فى فقه المسألة ، والنزاع بين السنة والشيعة فى المسألة شديد .

(٦) هذا رواية بالمعنى وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة .

(٧) هو : ابن خويلد وفى الاصابة خبر ارتداده وادعائه النبوة وقد قبل عمر إسلامه واستشهد فى حرب نهاوند سنة ٢١ وما فى الام تصحيف .

أيام عمر(١) الى الاسلام وشهد مع سعد بن أبى وقاص(٢) حرب القادسية ، وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل بها شهيداً .

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة(٣) الكذاب الى أن كفى الله تعالى أمره وأمر سجاح المتنبئة (٤) . وأمر الأسود بن زيد العنسى(٥) . ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال سائر المرتدين إلى أن كفى الله تعالى أمرهم ، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله لهم الفتوح وهم فى أثناء ذلك كله على كلمة واحدة فى أبواب العدل والتوحيد . والوعد والوعيد ، وفى سائر أصول الدين . وانما كانوا يختلفون فى فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة ، والأخوات مع الأب والأم أو مع الأب ، وكمسائل العول والكلالة(٦) ، والرد وتعصيب الأخوات من الأب ، والأم ، أو من الأب مع البنت أو بنت الابن ، وكاختلافهم فى جر الولاء ، وفى مسئلة الحرام ونحوها مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا ، وكانوا على هذه الجملة فى أيام أبى بكر ، وعمر وست سنين من خلافة عثمان(٧) ثم اختلفوا بعد ذلك فى أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى أقدم لأجلها ظالموه على قتله . ثم اختلفوا بعد قتله فى قاتليه وخاذليه اختلافا باقياً الى يومنا هذا .

---

(١) هو : ثانى الخلفاء الراشدين ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة ومات مقتولا بيد أبى لؤلؤة فيروز المجوسى سنة ٢٣هـ .

(٢) هو: فاتح العراق ومدائن كسرى مات بالمدينة بقصره بالعقيق سنة ٥٥هـ .

(٣) هو: ابن ثمامة بن بكير بن حبيب لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذاب اليمامة لادعائه النبوة عاش مائة وخمسين سنة مات مقتولا .

(٤) هى: بنت الحارث بن سويد بن عقفان ادعت النبوة وتزوجت من مسيلمة الكذاب قيل انها أسلمت بعد قتل مسيلمة وماتت بالبصرة .

(٥) هو: عبهلة بن كعب لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذاب صنعاء لادعائه النبوة . دانت له سواحل اليمن فى بدء دعوته مات مقتولا فى منزله قتله رجل يدعى فيروز .

(٦) أى المراد منها فى الآية الكريمة .

(٧) هو: ثالث الخلفاء الراشدين ولد سنة ٤٧ قبل الهجرة ومات مقتولا سنة ٣٥هـ لقب بذى النورين لأنه تزوج بنتى رسول الله رقية ثم أم كلثوم .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى شأن على وأصحاب الجمل ، وفى شأن معاوية (١) وأهل صفين ، وفى حكم الحكمين أبى موسى الأشعرى (٢) ، وعمرو بن العاص (٣) اختلافا باقياً إلى اليوم. ثم حدث فى زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهنى (٤) وغيلان الدمشقى (٥) ، والجعد بن درهم (٦) وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله ابن عمر (٧) ، وجابر بن عبد الله ، وأبى هريرة ، وابن عباس (٨) ، وأنس بن مالك ، وعبدالله ابن أبى اوفى (٩) ، وعقبة بن عامر الجهنى (١٠) وأقرانهم . وأوصلوا أخلافهم بإن لايسلموا على القدرية ولايصلوا على جنائزهم ، ولايعودوا مرضاهم ، ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها . ثم حدث فى أيام الحسن

---

(١) هو : ابن أبى سفيان من مسلمة الفتح مات سنة ٦٠ هـ .
(٢) هو : عبد الله بن قيس الصحابى المشهور توفى سنة ٤٢ هـ .
(٣) توفى بمصر سنة ٤٣ هـ .
(٤) هو : ابن خالد الجهنى البصرى اختلفوا فى اسم أبيه وهو أول من تكلم فى القدر . قال أبو حاتم : قدم المدينة فأفسد فيها ناساً أخرج له ابن ماجة . خرج مع ابن الاشعث فقتله الحجاج بعد سنة ثمانين .
(٥) هو : ابن مسلم القبطى . أخذ مذهب القدر عن معبد واستتابه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك . كان من بلغاء الكتاب .
(٦) هو : أستاذ مروان بن محمد الجعدى آخر ملوك بنى أمية وكان أول من قال بخلق القرآن . ذبحه خالد بن عبد الله القسرى فى عيد الاضحية على المشهور .
(٧) هو : ابن عمر بن الخطاب العدوى صحابى من أعز بيوتات قريش فى الجاهلية غزا افريقية مرتين الأولى مع ابن أبى سرح ، والثانية مع معاوية بن خديج سنة ٣٤ هـ . كف بصره فى آخر عمره ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ومات سنة ٧٣ هـ .
(٨) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى . حبر الامة الصحابى الجليل كف بصره فى آخر عمره ولد سنة ٣ قبل الهجرة وتوفى سنة ٦٨ هـ .
(٩) صحابى ابن صحابى توفى بالكوفة سنة ٨٧ هـ رضى الله عنه .
(١٠) صحابى توفى فى حدود سنة ٦٠ هـ رضى الله عنه .

البصرى(١) خلاف واصل بن عطاء الغزال فى القدر وفى المنزلة بين المنزلتين وانضم اليه عمرو بن عبيد بن باب فى بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا إلى سارية من سوارى مسجد البصرة فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الامة فى دعواها ان الفاسق من أمة الاسلام لامؤمن ولا كافر .

واما الروافض فان السبابة منهم أظهروا بدعتهم فى زمان على رضى الله عنه . فقال بعضهم لعلى . أنت الاله فاحرق على قوما منهم ونفى ابن سبأ (٢) إلى ساباط المدائن ، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الاسلام لتسميتهم علياً إلها . ثم افترقت الرافضة(٣) بعد زمان على رضى الله عنه اربعة أصناف : زيديه ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة وافترقت الزيدية فرقا ، والإمامية فرقا ، والغلاة فرقا . كل فرقة منها تكفر سائرها . وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام فاما فرق الزيدية ، وفرق الإمامية فمعدودون فى فرق الأمة وافترقت النجارية بناحية الرى بعد الزعفرانى فرقا يكفر بعضها بعضاً ، وظهر خلاف البكرية من بكر ابن أخت عبد الواحد بن زياد ، وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو وخلاف الجهمية من جهم بن صفوان ، وكان ظهور جهم ، وبكر ، وضرار فى أيام ظهور واصل بن عطاء فى ضلالته ، وظهرت دعوة الباطنية فى أيام المأمون(٤) من حمدان قرمط ، ومن عبد الله بن ميمون القداح وليست الباطنية من فرق ملة الاسلام . بل هى من فرق المجوس

---

(١) هو : ابن يسار البصرى امام مشهور له ترجمة واسعة فى الكتب توفى سنة ١١٠ مستهل رجب عن ٨٩ سنة .

(٢) هو : عبد الله بن سبأ مثير الفتن المعروفة بين الصحابة . قال ابن عساكر : «كان يهوديا فاظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل الشر بينهم ودخل دمشق لذلك . قال المقريزى : «ومن ابن سبأ هذا تشعبت اصناف الغلاة من الرافضة . وعنه أخذوا القول بان الجزء الالهى يحل فى الائمة . وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر ، وابن سبأ هذا هو الذى اثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان له عدة اتباع فى عامة الأمصار .

(٣) والصواب ذكر الشيعة بدلها لأن الزيدية ليست من الروافض إلا بعض فرقهم .

(٤) هو : عبد الله المأمون بن الرشيد بويع بالخلافة سنة ١٤٨ ه ومات فى طرسوس سنة ٢١٨ ه

على مانبينه بعد هذا . وظهروا فى أيام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر(١) بخراسان خلاف الكرامية المجسمة .

فاما الزيدية من الرافضة فمعظمها ثلاث فرق وهى : الجارودية ، والسليمانية ، وقد يقال الجريرية ايضاً ، والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بامامة زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب فى أيام خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك(٢) .

والكيسانية منهم فرق كثيرة يرجع محصلها إلى فرقتين : إحداهما : تزعم أن محمد بن الحنفية حى لم يمت وهم على انتظاره ويزعمون أنه المهدى المنتظر .

والفرقة الثانية منهم : يقرون بامامته فى وقته وبموته وينقلون الأمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك فى المنقول اليه .

وأما الأمامية المفارقة للزيدية . والكيسانية . والغلاة فانها خمس عشرة فرقة وهى : المحمدية ، والباقرية ، والناووسية والشمطية ، والعمارية ، والاسماعيلية ، والمباركية والموسوية والقطعية ، والاثنى عشرية والهشامية من أتباع هشام بن الحكم ، أو من أتباع هشام بن سالم الجواليق ، والزرارية ، من اتباع زرارة بن أعين ، واليونسية من اتباع يونس القمى والشيطانية من اتباع شيطان الطاق ، والكاملية من اتباع أبى كامل وهو أفحشهم قولا فى على وفى سائر الصحابة رضى الله عنهم . فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها : ثلاث زيدية ، وفرقتان من الكيسانية ، وخمس عشرة فرقة من الامامية . فاما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الائمه ، وأباحوا محرمات الشريعة ، واسقطوا وجوب فرائض الشريعة ، كالبيانية والمغيرية ، والجناحية . والمنصورية ، والخطابية ، والحلولية ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الاسلام وان كانو منتسبين اليه وسنذكرها فى باب مفرد بعد هذا الباب .

وأما الخوارج فانها لما اختلفت صارت عشرين فرقه وهذه أسماؤها :

المحكمة الأولى ، والازارقة ، ثم النجدات ، ثم الصفرية ، ثم العجاردة ، وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة منها : الخازمية ، والشعيبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والابراهيمية ، والواقفة ، وافترقت الإباضية

---

(١) هو امير خراسان وابن أميرها توفى سنة ٢٥٣ هـ .

(٢) هو : احد ملوك بنى أمية توفى فى ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ بعدان ولى الحكم عشرين سنة ، ومدرسة نور الدين الشهيد بالشام بنيت على عرصة داره .

منها فرقا : حفصية ، وحارثية ، ويزيدية ، واصحاب طاعة لايراد الله بها .

واليزيدية منهم : اتباع يزيد بن أبى أنيسة ليست من فرق الاسلام لقولها بان شريعة الاسلام تنسخ فى آخر الزمان بنبى يبعث من العجم .

وكذلك فى جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الاسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات ، وبنات البنين كما أباحته المجوس . وسنذكر اليزيدية والميمونية فى جملة الذين انتسبوا إلى الاسلام وما هم منهم ولا من فرقهم

وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهذه اسماء فرقها : الواصلية ، والعمروية ، والهذلية ، والنظامية ، والمردارية ، والمعمرية والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والكعبية والجبائية ، والبهشمية المنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى فهى ثنتان وعشرون فرقة ثنتان منها ليستا من فرق الاسلام وهما : الخابطية ، والحمارية وسنذكرهما فى الفرق التى انتسبت إلى الاسلام وليست منها .

وأما المرجئة فثلاثة اصناف : صنف منهم قالوا بالأرجاء فى الايمان ، وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون فى القدرية والمرجئة . كأبى شِمْر المرجىء(١) ، ومحمد بن شبيب البصرى(٢) ، والخالدى ، وصنف منهم قالوا بالأرجاء فى الإيمان ، ومالوا الى قول جهم فى الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة . وصنف منهم خالصة فى الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق: يونسية، وغسانية، وثوبانية، وتومنية ومريسية وأما النجارية فانها اليوم بالرى اكثر من عشر فرق ومرجعها فى الأصل إلى ثلاث فرق :برغوثية وزعفرانية ، ومستدركة . وأما البكرية . والضرارية فكل واحدة منها فرقة واحدة ليس لها تبع كثير . والجهمية أيضاً فرقة واحـــدة ، والكرامية بخراسان ثلاث فرق حقائقية

---

(١) بكسر الشين وسكون الميم كما فى الانساب وهو ممن جمع بين البدعتين الارجاء ونفى القدر ، منبوذ عند الفريقين وهو رأس الشمرية من المبتدعة وكان من أصحاب النظام المعتزلى فيكون من رجال منتصف القرن الثالث .

(٢) نسب إلى جده وهو من جمع بين البدعتين الارجاء ونفى القدر غير مرضى عنـــد الفريقين . كان من أصحاب النظام أيضاً فيكون من رجال منتصف القرن الثالث أيضاً .

وطرائقية . واسحاقيه ، لكن هذه الفرق الثلاث منها لا يكفر بعضها بعضاً فعددناها كلها فرقة واحدة فهذه الجملة التى ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة منها . عشرون روافض ، وعشرون خوارج ، وعشرون قدرية ، وعشرون مرجئة ، وثلاث نجارية وبكرية ، وضرارية ، وجهمية ، وكرامية ، فهذه ثنتان وسبعون فرقة .

فاما الفرقة الثالثة والسبعون فهى أهل السنة والجماعة من فريقى الرأى والحديث دون من يشترى لهو الحديث، وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ، ومحدثوهم ، ومتكلموا أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة فى توحيد الصانع وصفاته ، وعدله، وحكمته وفى أسمائه ، وصفاته ، وفى أبواب النبوة والإمامة ، وفى احكام العقبى وفى سائر اصول الدين ، وانما يختلفون فى الحلال الحرام من فروع الاحكام وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية ويجمعها الاقرار بتوحيد الصانع وقدمه ، وقدم صفاته الازلية ، واجازة رؤيته من غير تشبيه ولاتعطيل مع الاقرار بكتب الله ورسله وبتأييد شريعة الاسلام ، وأباحة ما أباحه القرآن ، وتحريم ماحرمه القرآن مع قبول ماصح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين فى القبر ، والاقرار بالحوض والميزان فمن قال بهذه الجهة التى ذكرناها ولم يخلط ايمانه بها بشىء من بدع الخوارج ، والروافض، والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية ان ختم الله له بها ودخل الجنة فى هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من اصحاب مالك[1] والشافعى[2]، وأبى حنيفة، والأوزاعى، والثورى[3] وأهل الظاهر . فهذا بيان ما أردنا بيانه فى هذا الباب ونذكر فى الباب الذى يليه تفصيل مقالة كل فرقة من فرق الأهواء الذين ذكرناهم إن شاء الله عز وجل .

---

(١) هو : أحد الأئمة الأربعه توفى سنة ١٧٩ ﻫ رضى الله عنه .
(٢) هو : أحد الأئمة الاربعة محمد بن ادريس المطلبى توفى سنة ٢٠٤ ﻫ رضى الله عنه .
(٣) هو : الامام سفيان الثورى توفى سنة ١٦١ ﻫ رحمه الله .

الباب الثالث

من أبواب هذا الكتاب : فى بيان تفصيل مقالات فرق الأهواء . وبيان فضائح كل فرقة منها على التفصيل .

هذا باب يشتمل على فصول ثمانية وهذه ترجمتها :—

١ — فصل : فى بيان مقالات فرق الرفض .

٢ — فصل : فى بيان مقالات فرق الخوارج .

٣ — فصل : فى بيان مقالات فرق الاعتزال والقدر .

[٤ — فصل : فى بيان مقالات فرق المرجئة .

٥ — فصل : فى بيان مقالات فرق النجارية .]

٦ — فصل : فى بيان مقالات الضرارية ، والبكرية ، والجهمية .

٧ — فصل : فى بيان مقالات الكرامية .

٨ — فصل : فى بيان مقالات المشبهة الداخلة فى غمار الفرق التى ذكرناها وسنذكر فى كل فصل منها مقتضاه على شرطه ان شاء الله عز وجل .

الفصل الأول

من فصول هذا الباب : فى بيان مقالات فرق الرفض .

قد ذكرنا قبل هذا ان الزيدية منهم : ثلاث فرق . والكيسانية منهم : فرقتان . والإمامية منهم : خمس عشرة فرقة ونبدأ بذكر الزيدية ، ثم الإمامية ، ثم الكيسانية على الترتيب ان شاء الله عز وجل .

ذكر الجارودية من الزيدية :

أولا اتباع المعروف بأبى الجارود[1] وقد زعموا : ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على إمامة على بالوصف دون الاسم . وزعموا أيضاً ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة على،

(١) هو : زياد بن المنذر من غلاة الشيعة ينتسب الى زيد بن على عليه السلام زوراً هلك بعد سنة ١٥٠ هـ .

وقالوا أيضاً : ان الحسن(١) بن على كان هو الامام بعد على ثم أخوه الحسين(٢) كان إماما بعد الحسن . وافترقت الجارودية فى هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت : إن علياً نص على إمامة ابنه الحسن . ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ، ثم صارت الإمامة بعد الحسن والحسين شورى فى ولدى الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً إلى دينه وكان عالما وعارفا فهو الإمام . وزعمت الفرقة الثانية منهم : ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى نص على إمامة الحسن بعد على ، وامامة الحسين بعد الحسن .

ثم افترقت الجارودية بعد هذا فى الإمام المنتظر فرقا منهم : من لم يعين واحداً بالانتظار وقال : كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولدى الحسن والحسين فهو الامام ، ومنهم : من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (٣) ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم أنه هو المهدى المنتظر الذى يخرج فيملك الأرض . وقول هؤلاء فيه كقول المحمديه من الإمامية فى انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ومنهم: من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان (٤) ولا يصدق بموته ، ومنهم: من ينتظر محمد بن عمر(٥) الذى خرج (٦) بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته . فهذا قول الجارودية

---

(١) هو : سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وريحانته توفى مسموماً سنة ٤٩ هـ رضى الله عنه

(٢) هو : أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى العدنانى السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء . فى الحديث الشريف : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » نشأ فى بيت النبوة واليه نسبة الحسينيين ولد عليه السلام فى المدينة المنورة سنة ٤ هجرية واستشهد بكربلاء سنة ٦١ هـ فى أيام الظالم يزيد بن معاوية .

(٣) هو : المعروف بالنفس الزكية . خرج على المنصور وقتل سنة ١٤٥ هـ وله ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنه .

(٤) هو : محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قام فى الطالقان أيام المعتصم ثم قتل راجع مقاتل الطالبيين .

(٥) فى كتاب التبصير للامام الاسفراينى : يحي بن عمر . وهو : أبو الحسين يحي بن عمر ابن يحي بن حسين بن زيد بن الحسين رضى الله عنهم . قام بالكوفة سنة ٢٥٠ هـ فبعث اليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً فقتله فى تلك السنة وحمل رأسه الى المستعين بالله .

(٦) فى كتاب التبصير للامام الاسفراينى : الذى قتل بالكوفة .

وتكفيرهم واجب لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه السلام .

ذكر السليمانية أو الجريرية منهم : هؤلاء أتباع سليمان بن جرير الزيدى[1] الذى قال: ان الامامة شورى ، وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة ، وأجاز إمامة المفضول ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر وزعم أن الأمة تركت الأصلح فى البيعة لهما لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما إلا أن الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفراً ، ولافسقاً ، وكفر سليمان بن جرير بالأحداث التى نقمها الناقون منه . وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضى الله عنه .

ذكر البترية منهم : هؤلاء أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حى[2]، والآخير كثير النواء الملقب بالأبتر[3]. وقولهم كقول سليمان بن جرير فى هذا البـاب غير أنهم توقفوا فى عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه : وهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير . وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حى فى مسنده الصحيح ، ولم يخرج محمد بن اسماعيل البخارى حديثه فى الصحيح . ولكنه قال فى كتاب «التاريخ الكبير» : الحسن بن صالح بن حى الكوفى سمع سماك بن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثور همدان وكنيته أبو عبد الله .

قال عبد القاهر : هؤلاء البترية ، والسليمانية ، من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبى بكر ، وعمر . والجارودية يكفرون السليمانية ، والبترية لتركهما تكفير أبى بكر وعمر . وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعرى فى مقالته عن قوم من الزيدية يقال لهم اليعقوبية اتبـاع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لايتبرؤن ممن تبرأ منهما .

---

(١) هو: رئيس السليمانية من الزيدية وقد تسمى جريرية .كان يقدم على عثمان رضى الله عنه والجارودية يزيدهم شراً لاقدامهم على الشيخين بخلاف الصالحية والبترية فى الأمرين.

(٢) هو: كوفى من ثور همدان . أحد الأعلام أخرج له مسلم والبخارى فى الأدب وأصحاب السنن توفى سنة ١٦٩هـ والجمهور على توثيقه واليه تنسب الصالحية من الزيدية وهى أقرب فرق الشيعة الى السنة .

(٣) من رجال الميزان توفى فى حدود سنة ١٦٩ هـ .

قال عبد القاهر : اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة يكونون مخلدين فى النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين أياسوا أشراء المذنبين من رحمة الله تعالى « ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، وإنما قيل لهذه الفرق الثلاث واتباعها زيدية لقولهم بإمامة زيد بن [١] على بن الحسين بن على ابن أبي طالب فى وقته ، وإمامة ابنه يحيى [٢] بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن على قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو : يوسف بن عمر الثقفى [٣] عامل هشام بن عبد الملك على العراقين فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له : انا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبي طالب . فقال زيد : انى لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعت [٤] أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتمونى . ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نصر بن خزيمة العنسى [٥] . ومعاوية بن اسحاق بن يزيد بن حارثة [٦] فى مقدار مائتى رجل وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفى حتى قتلوا عن آخرهم . وقتل زيد ثم نبش من قبره وصلب ، ثم أحرق بعد ذلك ، وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار [٧] والى خراسان فبعث نصر بن سيار اليه سلم بن أحوز المازنى [٨] فى ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف .

---

(١) هو : الامام الشهيد رضى الله عنه من شيوخ أبى حنيفة ، بعث اليه أبى حنيفة بثلاثين ألف درهم حينما قام . توسع فى ترجمة المقريزى فى الخطط . استشهد بالكوفة سنة ١٢١ هـ .

(٢) قتل بمعركة بجوزجان سنة ١٢٦ هـ ومثل به سلم بن أحوز قبحه الله .

(٣) هو : ابن عم الحجاج والى العراق بعد خالد القسرى قتل فى السجن بدمشق سنة ١٢٧ هـ

(٤) فى كتاب التبصير للاسفراينى : « أثنى عليهما جدى على ، وقال فيهما حسناً » .

(٥) هو : من جملة من استشهد مع زيد بن على عليه السلام سنة ١٢١ هـ .

(٦) استشهد مع زيد عليه السلام سنة ١٢١ هـ .

(٧) قائد معروف .

(٨) هو : قاتل جهم بن صفوان وأحد قواد نصر بن سيار والى خراسان فى أواخر الدولة الأموية

قال عبد القاهر : روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل وقد سار المثل بهم فيهما حتى قيل أبخل من كوفى ، واغدر من كوفى ، والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء :

أحدها : انهم بعد قتل على رضى الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به فى ساباط المدائن فطعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية .

والثانى : انهم كاتبوا الحسين بن على رضى الله عنه ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية (١) فاغتر بهم وخرج اليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيدالله ابن زياد (٢) يداً واحدة عليه حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث : غدرهم بزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته واسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان .

ذكر الكيسانية من الرافضة : هؤلاء اتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى (٣) الذى قام بثأر الحسين بن على بن أبى طالب وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء ، وكان المختار يقال له كيسان . وقيل أنه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضى الله عنه كان اسمه كيسان وافترقت الكيسانية فرقاً يجمعها شيئان .

أحدهما : قولهم بإمامة محمد بن الحنفية (٤) واليه كان يدعو المختار بن أبى عبيد .

والثانى : قولهم بجواز البداء على الله عز وجل . ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لايجيز البداء على الله سبحانه واختلفت الكيسانية فى سبب إمامة محمد بن الحنفية . فزعم بعضهم : أنه كان إماما بعد أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه واستدل على ذلك بأن عليا دفع اليه الراية يوم الجمل وقال له : «أطعنهم طعن أبيك تحمد . لاخير فى الحرب إذا لم تزبد (٥)» .

---

(١) هو : ذلك الظالم المعروف ولابن الجوزى رسالة فى استنزال اللعنات عليه هلك سنة ٦٤هـ .
(٢) هلك سنة ٦٧هـ . (٣) هو : المعروف بكيسان حفيد عظيم القريتين مسعود . انتقم الله للحسين السبط رضى الله عنه بالمختار وان لم تكن نية المختار خالصة . (٤) هو : نجل على بن أبى طالب كرم الله وجهه . فقيه جليل توفى سنة ٨١هـ . (٥) فى كتاب التبصير للاسفرايني :

اطعنهم طعن أبيك تحمد   لاخير فى حرب إذا لم توقد
بالمشرفى والقنـــا المشرد

وقال آخرون منهم : إن الامامة بعد على كانت لابنه الحسن ، ثم للحسين بعد الحسن ثم صارت إلى محمد بن الحنفية بعد اخيه الحسين بوصية أخيه الحسين اليه حين هرب من المدينة إلى مكة حين طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية . ثم افترق الذين قالوا بامامة محمد بن الحنفية فزعم قوم منهم يقال لهم الكربية أصحاب أبى كرب الضرير(١) : أن محمد بن الحنفية حى لم يمت وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه وهو المهدى المنتظر .

وذهب الباقون من الكيسانية إلى الاقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا فى الامام بعده، فنهم من زعم: أن الأمامة بعده رجعت الى ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين(٢). ومنهم من قال : برجوعها بعده إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (٣) واختلف هؤلاء فى الإمام بعد أبى هاشم . فنهم : من نقلها إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب(٤) بوصية أبى هاشم اليه وهذا قول الراوندية . ومنهم: من زعم أن الإمامة بعد أبى هاشم صارت إلى بيان بن سمعان(٥) وزعموا أن روح الله تعالى كانت فى أبى هاشم ثم انتقلت منه إلى بيان . ومنهم: من زعم أن تلك الروح انتقلت من أبى هاشم الى عبد الله بن عمرو بن حرب(٦) وادعت هذه الفرقة إلهية عبد الله بن عمرو بن حرب، والبيانية والحربية

---

(١) رئيس الكربية من غلاة الكيسانية .

(٢) هو: الإمام المستغنى عن الوصف وفيه قال الفرزدق : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته » . توفى سنة ٩٤هـ ودفن بالبقيع رضى الله عنه .

(٣) هو: من شيوخ واصل بن عطاء وممن ينسب الى الاعتزال كما فى « مفتاح السعادة » وغيره توفى سنة ٩٨هـ وأخرج له أصحاب الأصول الستة ، ووثقه ابن سعد والنسائى وغيرهما .

(٤) فى كتاب « التبصير » للاسفراينى : محمد بن عبد الله بن عباس .

(٥) ظهر بالعراق بعد المائة الأولى وادعى حلول جزء إلهى فى على ، ثم فى ابن الحنفية ، ثم فى أبى هاشم بن محمد بن الحنفية ، ثم فى نفسه . أحرقه خالد بن عبد الله القسرى سنة ١١٩هـ .

(٦) هو: رئيس فرقة الحربية من الغلاة . لعله من جملة من أهلكه خالد القسرى .

كلتاهما من فرق الغلاة نذكرهما فى الباب الذى نذكر فيه فرق الغلاة . وكان كثير (١) الشاعر على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد بن الحنفية ولم يصدقوا بموته ولذا قال فى قصيدة له :ـ

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لايرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسل وماء

قال عبد القاهر أجبناه على أبياته هذه بقولنا :ـ

ولاة الحق أربعة ولكن ... لثانى اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الورى أضحى إماماً ... وذو النورين بعد له الولاء
على بعدهم أضحى إماماً ... بترتيبى لهم نزل القضاء
ومبغض من ذكرناه لعين ... وفى نار الجحيم له الجزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى ... حيارى ما لحيرتهم دواء

وقال كثير أيضاً فى رفضه :ـ

برئت الى الإله من ابن أروى ... ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق ... غداة دعا أمير المؤمنينا

وقد أجبناه عن هذين البيتين :ـ

برئت من الإله بغض قوم ... بهم أحيا الإله المؤمنينا
وما ضر ابن أروى منك بغض ... وبغض البر دين الكافرينا

---

(١) هو : كثير عزة الشاعر المشهور توفى بالمدينة سنة ١٠٥ وكان كيسانى المعتقد وكانت الأموية يتقون لسانه .

أبو بكر لنا حقا إمام على رغم الروافض أجمعينا
وفاروق الورى عمر بحق يقال له أمير المؤمنينا

وقال كثير فى قصيدة أيضاً :ــ

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك عندهم ستين عاما
وماذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمجرى شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له لرزقا كل يوم وأشربة يعل بها الطعاما

وقد أجبناه عن هذا الشعر بقولنا :ــ

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضواء إمام تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنده عسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى أبداً وداما

وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميرى(١) أيضا على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد ابن الحنفية ويزعمون أنه محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج ولهذا قال فى شعر له :ــ

ولكن كل من فى الأرض فان بذا حكم الذى خلق الأناما

وكان أول من قام بدعوة الكيسانية الى إمامة محمد ابن الحنفية المختار بن أبى عبيد

---

(١) هو : شاعر الشيعة اسماعيل بن محمد توفى ببغداد سنة ١٧٩ ﻫ وكان يرى الرجعة . وكان الدارقطنى يحفظ ديوانه .

الثقفى وكان السبب فى ذلك أن عبيد الله بن زياد لما فرغ من قتل مسلم بن عقيل(١) ، وفرغ من قتل الحسين بن على رضى الله عنه رفع إليه أن المختار بن أبى عبيد كان ممن خرج مع مسلم بن عقيل ثم اختفى فأمر باحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان فى يده فشتر عينه وحبسه فتشفع اليه فى أمره قوم فأخرجه من الحبس وقال له : قد أجلتك ثلاثة أيام فان خرجت فيها من الكوفة وإلا ضربت عنقك فخرج المختار هارباً من الكوفة الى مكة وبايع عبد الله بن الزبير(٢) وبقى معه إلى أن قاتل ابن الزبير جند يزيد بن معاوية الذين كانوا تحت راية الحصين بن نمير السكونى واشتدت نكاية المختار فى تلك الحروب على أهل الشام، ثم مات يزيد بن معاوية ورجع جند الشام إلى الشام واستقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن، والعراق، وفارس ولقى المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه إلى الكوفة وواليها يومئذ عبد الله بن يزيد الأنصارى(٣) من قبل عبد الله بن الزبير، فلما دخل الكوفة بعث رسله إلى شيعة الكوفة ونواحيها إلى المدائن ودعاهم الى البيعة له ووعدهم انه يخرج طالباً بثأر الحسين بن على رضى الله عنه ودعاهم الى محمد ابن الحنفية وزعم أن ابن الحنفية قد استخلفه وانه قد أمرهم بطاعته وعزل ابن الزبير فى خلال ذلك عبدالله بن يزيد الأنصارى عن الكوفة ، وولاها عبد الله بن مطيع العدوى(٤) واجتمع الى المختار من بايعه فى السر وكانوا زهاء سبعة عشر ألف رجل ودخل فى بيعته عبد الله بن الحر(٥) الذى لم يكن فى زمانه أشجع منه ، وابراهيم بن مالك الأشتر، ولم يكن فى شيعة الكوفة أجل منه ولا أكثر منه تبعاً فخرج به على والى الكوفة عبد الله بن مطيع وهو يومئذ فى عشرين الف ودامت الحرب بينهما أياما ووقعت الهزيمة فى آخرها على الزبيرية واستولى المختار على الكوفة ونواحيها وقتل كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن على بكربلاء ثم خطب الناس فقال فى خطبته :—

---

(١) هو : ابن أخى على بن أبى طالب رضى الله عنه .
(٢) هو : أحد العبادلة وأول مولود فى المهاجرين بالمدينة بعد الهجرة مات بمكة شهيداً سنة ٧٣ هـ
(٣) هو : الأوسى توفى سنة ٦٨ هـ .
(٤) هو ابن الأسود استشهد مع عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ وكان ولى الكوفة قبل غلبة المختار
(٥) كان شجاعا ماكراً لا تلين له قناة قتل سنة ٦٨ هـ

الحمد لله الذى وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعلهما إلى آخر الدهر قضاء مقضيا ووعداً مأتياً ، ياأيها الناس قد سمعنا دعوة الداعى وقبلنا قول الداعى، فكم من باغ وباغية وقتلى فى الواعية، فهلموا عباد الله الى بيعة الهدى ، ومجاهدة العدى ، فانى أنا المسلط على المحلين ، والطالب بثأر ابن بنت خاتم النبيين . ثم نزل عن منبره وانفذ بصاحب شرطته إلى دار عمر بن سعد (١) حتى أخذ رأسه، ثم أخذ رأس ابنه جعفر بن عمر وهو ابن اخت المختار وقال : ذاك برأس الحسين ، وهذا برأس ابن الحسين الكبير، ثم بعث بابراهم بن مالك الاشتر مع ستة آلاف رجل الى حرب عبيد الله بن زياد وهو يومئذ بالموصل فى ثمانين الف من جند الشام قد ولاه عليهم عبد الملك بن مروان فلما التقى الجيشان على باب الموصل انهزم جند الشام وقتل منهم سبعون الف فى المعركة وقتل عبيدالله بن زياد والحصين بن نمر السكونى (٢) . وانفذ ابراهيم بن الأشتر برؤوسهم إلى المختار فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة ، والعراقين إلى حدود ارمينية تكهن بعد ذلك وسجع كأسجاع الكهنة. وحكى ايضا: أنه ادعى نزول الوحى عليه فمن اسجاعه قوله : أما والذى أنزل القرآن وبين الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأقتلن البغاة من أزدعمان ، ومذحج وهمدان، ونهد وخولان، وبكر وهزان ، وثعل ونبهان ، وعبس وذبيان ، وقيس غيلان ثم قال : وحق السميع العليم ، العلى العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم لأعركن عرك الأديم اشراف بنى تميم ثم رفع خبر المختار الى ابن الحنفية وخاف من جهة الفتنة فى الدين، فاراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا إمامته ، وسمع المختار ذلك فخاف من قدومه العراق ذهاب رياسته وولايته فقال لجنده : انا على بيعة المهدى ولكن للمهدى علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلده فهو المهدى وانتهى قول هذا إلى ابن الحنفية فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة ، ثم إن المختار خدعته السبابية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع بعد ذلك فقال : أما ومنشى السحاب ، الشديد العقاب

---

(١) من دعاة الشر قتل مع عبيد الله ابن زياد سنة ٦٧ ﻫ سبحان من يخرج الميت من الحى وهو ابن سعد بن أبى وقاص .

(٢) قتل مع ابن زياد سنه ٦٧ ﻫ .

السريع الحساب ، العزيز الوهاب ، القدير الغلاب لأنبشن قبر ابن شهاب (١) المفترى الكذاب المجرم المرتاب ، ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين لأقتلن الشاعر المهين ، وراجز المارقين وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وأخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على الأباطيل وتقولوا على الأقاويل وليس خطابي إلا لذوى الأخلاق الحيدة ، والأفعال السديدة والآراء العتيدة والنفوس السعيدة .

ثم خطب بعد ذلك فقال فى خطبته : الحمد لله الذى جعلنى بصيراً ، ونور قلبى تنويراً والله لأحرقن بالمصر دورا ، ولا نبشن بها قبوراً ولأشفين منها صدوراً ، وكفى بالله هاديا ونصيرا . ثم أقسم فقال : برب الحرم ، والبيت المحرم ، والركن المكرم ، والمسجد المعظم وحق ذى القلم ، ليرفعن لى علم ، من هنا إلى أضم . ثم إلى أكناف ذى سلم . ثم قال : أما ورب السماء ، لتنزلن نار من السماء ، فلتحرقن دار أسماء فانتهى هذا القول إلى أسماء بن خارجة (٢) فقال : قد سجع بى أبو اسحاق وأنه سيحرق دارى وهرب من داره . وبعث المختار إلى داره من أحرقها بالليل وأظهر من عنده ان ناراً من السماء نزلت فاحرقتها . ثم أن أهل الكوفة خرجوا على المختار لما تكهن واجتمعت السبابة اليه مع عبيد أهل الكوفة لأنه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه فظفر بهم وقتل منهم الكثير ، واسر جماعة منهم وكان فى الاسراء رجل يقال له سراقة بن مرداس البارق (٣) فقدم إلى المختار وخاف البارق أن يأمر بقتله فقال للذين أسروه وقدموه إلى المختار : ما انتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدتكم ، وانما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم . فأعجب المختار قوله هذا فاطلق عنه فلحق بمصعب بن الزبير (٤) بالبصرة وكتب منها إلى المختار هذه الأبيات : ـ

ألا أبلغ أبا أسحاق أنى	رأيت البلق دهما مصمتات

---

(١) هو : محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المشهور .

(٢) هو : أبو حسان الكوفى وفى وفاته خلاف . راجع الاصابة من القسم الثالث . يقال أنه توفى سنة ٦٥هـ .

(٣) نسبة إلى جبل بارق باليمن ينزله الازد . فارس مشهور ، وشاعر معروف .

(٤) ولاه أخوه عبد الله العراقين فسار اليه عبد الملك بن مروان فقتله سنة ٧٢هـ رحمه الله

أرى عيني مالم تنظراه (١) كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى الممات

وفي هذا الذي ذكرناه بيان سبب كهانة المختار ودعواه الوحي اليه.

وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو: أن ابراهيم بن الاشتر لما بلغه أن المختار تكهن وادعى نزول الوحي اليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة وعلم مصعب بن الزبير أن ابراهيم بن الأشتر لاينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفي، ومحمد بن الأشعث الكندي، (٢) وأكثر سادات الكوفة غيظا منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم، وأطمعوا مصعبا في أخذ الكوفة قهراً فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم اليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلب بن أبي صفرة (٣) مع اتباعه من الأزد وجعل أعنة الخيل إلى عبيد الله بن معمر التميمي (٤)، وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط (٥) إلى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره، وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له: لماذا تعدنا بالنصر على عدونا؟!! فقال: ان الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه بداله. واستدل على الله بقول الله عز وجل: «يمحو الله مايشاء ويثبت» فهذا كان سبب قول الكيسانية بالبداء.

ثم إن المختار باشر قتال مصعب بن الزبير بنفسه بالمزار من ناحية الكوفة وقتل في تلك الواقعة محمد بن الاشعث الكندي. قال المختار. طابت نفسي بقتله ان لم يكن قد بقي من قتلة الحسين غيره ولا أبالي بالموت بعد هذا. ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه فانهزموا إلى دار الامامة بالكوفة وتحصن فيها مع اربعمائة من أتباعه وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة

---

(١) ترأياه رواية معروفة عند أصحاب الشواهد.
(٢) هو: ابن قيس من قواد المختار قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.
(٣) هو: أمير خراسان الداهي صاحب الحروب والفتوح مات سنة ٨٢ هـ.
(٤) من كبار قواد مصعب بن الزبير. وفي ابن كثير عمر بن عبيد الله.
(٥) هو: من قواد المختار قتله مصعب بن الزبير في موقعة سنة ٦٧ هـ.

أيام حتى فنى طعامهم ثم خرجوا اليه فى اليوم الرابع مستقتلين فقتلوا وقتل المختار معهم قتله اخوان يقال لهما طارف، وطريف أبناء عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة وقال أعشى همدان فى ذلك :—

لقد نبئت والأنباء تنمى ... بما لاقى الكوارث بالمزار
وما إن سرنى اهلاك قومى ... وان كانوا وحقك فى خسار
ولكنى سررت بما يلاقى ... أبو إسحاق من خزى وعار

فهذا بيان سبب قول الكيسانية بجواز البداء على الله عز وجل، واختلفت الكيسانية الذين انتظروا محمد بن الحنفية وزعموا أنه حى محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج واختلفوا فى سبب حبسه هنالك بزعمهم. فمنهم من قال: لله فى أمره سر لا يعلمه إلا هو ولا يعرف سبب حبسه. ومنهم من قال: إن الله تعالى عاقبه بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن على إلى يزيد بن معاوية وطلبه الأمان منه وأخذه عطاءه ثم لخروجه فى وجه ابن الزبير من مكة إلى عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير. وزعموا ان صاحبه عامر بن واثلة الكنانى سار بين يديه وقال فى ذلك المسير لأتباعه: ياإخوانى: ياشيعتى: لاتبعدوا وازروا المهدى كيما تهتدوا. محمد الخيرات، يامحمد أنت الامام الطاهر المسدد. لا ابن الزبير السامرى الملحد، ولا الذى نحن اليه نقصد. وقالوا: انه كان يجب عليه ان يقاتل ابن الزبير ولا يهرب فعصى ربه بتركه قتاله، وعصاه بقصده عبد الملك بن مروان وكان قد عصاه قبل ذلك بقصده يزيد بن معاوية، ثم انه رجع من طريقه إلى ابن مروان إلى الطائف، ومات بها بن عباس ودفنه ابن الحنفية بالطائف، ثم سار منها إلى الذر فلما بلغ شعب رضوى اختلفوا فيه. فزعم المقرون بموته أنه مات فيه وزعم المنتظرون له أن الله حبسه هنالك وغيبه عن عيون الناس عقوبة له على الذنوب التى أضافوها اليه إلى أن يؤذن له بالخروج وهو المهدى المنتظر.

ذكر الإمامية من الرافضة :

هؤلاء الامامية المخالفة للزيدية، والكيسانية، والغلاة خمس عشرة فرقة :— الكاملية، والمحمدية، والباقرية، والناووسية، والشميطية، والعمارية، والاسماعيلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والاثنى عشرية، والهشامية، والزرارية، واليونسية، والشيطانية.

ذكر الكاملية منهم: هؤلاء اتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبي كامل(١)، وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي بتركه قتالهم وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين، وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى(٢) على هذا المذهب وروى أنه قيل له: ماتقول فى الصحابة ؟ قال: كفروا. فقيل له: فما تقول فى على فتمثل بقول الشاعر: —

وما شر الثلاثة أم عمرو | بصاحبك الذى لاتصحبينا

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضم إلى ضلالته فى تكفير الصحابة وتكفير على معهم ضلالتين أخريين: —

إحداهما: قوله برجعته الى الدنيا قبل يوم القيـامة كما ذهب اليه أصحاب الرجعة من الرافضة.

الثانية: قوله بتصويب ابليس فى تفضيل النار على الأرض. واستدلوا على ذلك بقول بشار فى شعر له: —

الأرض مظلمة والنار مشرقة | والنار معبودة مذ كانت النار

وقد رد عليه صفوان الأنصارى فى قصيدته التى قال فيها: —

زعمت بأن النار أكرم عنصراً | وفى الأرض تحيا فى الحجارة والزند
ويخلق فى أرجائها وأرومها | أعاجيب لاتحصى بخط ولاعقد
وفى القعر من لج البحار منافع | من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
ولابد من أرض لكل مطير | وكل سبوح فى الغمائر ذى خد
كذاك وماينساخ فى الأرض ماشيا | على بطنه يمشى المجانب للقصد
وفى فلك الأجبال فوق مقطم | زبرجد املاك الورى ساعة الحشد
وفى الحرة [الرجلاء كم من] معادن | لهن مغارات تبجسن بالنقد
من الذهب الابريز والفضة التى | تروق وتغنى ذا القناعة والزهد
وكل فلز من نحاس وآنك | ومن زئبق حى ونوشادر سندى

---

(١) هو: رئيس فرقة الكاملية من الرافضة ومن جملة من تابعه بشار الشاعر الأعمى.

(٢) هو: أشعر المولدين على الاطلاق، أصله من طخارستان، غربى نهر جيحون، نشأ فى البصرة وقدم بغداد. نسبته الى امرأة عقيلية قيل انها أعتقته من الرق ولد سنة ٩٥هـ ومات ضربا بالسياط سنة ١٦٧هـ.

وفيها زرانيخ وشب ومرقب — ومرمر فشا غير كاب ولا مكدى
وفيها ضروب القار والزفت والمها — وأصناف كبريت مطاولة الوقد
ومن أثمد جوز وكلس وفضة — ومن توتيا فى معـادنها هندى
وكل يواقيت الأنام وحليها — من الأرض والاحجار فاخرة المجد
وفيها مقام الحل والركن والصفا — ومستلم الحجاج من جنة الخلد
مفاخر للطين الذى كان أصلنا — ونحن بنوه غير شك ولا جحد
فذلك تدبير ونفع وحكمة — وأوضح برهان على الواحد الفرد
فيابن حليف الشؤم واللؤم والعمى — وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعده — علياً وتعزو كل ذاك الى برد
كأنك غضبان على الدين كله — وطالب دحل لا يبيت على حقد
تواثب أقماراً وأنت مشوه — وأقرب خلق الله من نسب القرد

وقد هجا حماد عجرد(١) بشاراً وقال فى هجائه :ـ

ويا أقبح من قرد — اذا عمى القرد

وقيل ان بشاراً ماجزع من شىء جزعه من هـذا البيت وقال : يرانى فيصفنى ولا أراه فأصفه .

قال عبد القاهر : أكفر هؤلاء الكاملية من وجهين :ـ

أحدهما : من جهة تكفيرها جميع الصحابة من غير تخصيص .

والثانى : من جهة تفضيلها النار على الأرض وقد ذكرنا بعض فضائح بشار بن برد وقد فعل الله به ما استحقه وذلك أنه هجا المهدى (٢) فأمر به حتى غرق فى دجلة ذلك له خزى فى الدنيا ولأهل ضلالته فى الآخرة عذاب أليم .

ذكر المحمدية : هؤلاء ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ولا يصدقون بقتله ولا بموته ويزعمون أنه فى جبل حاجر من ناحيه نجد إلى أن يؤمر بالخروج ، وكان المغيرة بن سعيد العجلى (٣) فى صلاته فى التشبيه يقول لأصحابه : إن

---

(١) توفى سنة ١٩١ هـ

(٢) هو محمد بن عبد الله ثالث خلفاء الدولة العباسية توفى سنة ١٦٩ هـ

(٣) هو : شيخ المغيرية من الغلاة قتله خالد القسرى حرقا بالنار سنة ١١٩ هـ

المهدى المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ويستدل على ذلك بأن اسمه محمد كاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه عبد الله كاسم أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال فى الحديث عن النبي عليه السلام قوله فى المهدى: «ان اسمه يوافق اسمى واسم أبيه اسم أبى». فلما اظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على دعوته بالمدينة استولى على مكة والمدينة، واستولى أخوه ابراهيم بن عبد الله على البصرة، واستولى أخوهما الثالث، وهو: ادريس بن عبد الله على بعض بلاد المغرب وكان ذلك فى زمان الخليفة أبى جعفر المنصور (١) فبعث المنصور إلى حرب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بعيسى ابن موسى(٢) فى جيش كثيف وقاتلوا محمداً بالمدينة وقتلوه فى المعركة. ثم أنفذ بعيسى بن موسى أيضاً إلى حرب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على مع جنده فقتلوا ابراهيم بباب حمرين على ستة عشر فرسخا من الكوفة، ومات فى تلك الفتنة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بارض المغرب وقيل إنه سم بها، ومات عبد الله بن الحسن ابن الحسن والد أولئك الاخوة الثلاثة فى سجن المنصور وقبره بالقادسية وهو مشهد معروف يزار. فلما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالمدينة اختلفت المغيرية فيه فرقتين:

فرقة: أقروا بقتله وتبرءوا من المغيرة بن سعيد العجلى وقالوا: إنه كذب فى قوله إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن هو المهدى الذى ملك الأرض لأنه قتل وما ملك الأرض.

وفرقة منهم: ثبتت على موالاة المغيرة بن سعيد العجلى وقالت: إنه صدق فى قوله إن المهدى محمد بن عبد الله وإنه لم يقتل وانما غاب عن عيون الناس وهو فى جبل حاجر من ناحية نجد مقيم هناك إلى أن يؤمر بالخروج فيخرج ويملك الأرض وتعقد البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحيا له من الأموات سبعة عشر رجلا يعطى كل واحد منهم حرفا من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش. وزعم هؤلاء أن الذى قتله جند عيسى بن موسى بالمدينة لم يكن محمد بن عبد الله بن الحسن. فهذه الطائفة يقال لهم المحمدية لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسن، وكان جابر بن يزيد الجعفى على هذا المذهب وكان يقول: برجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة وفى ذلك قال شاعر هذه الفرقة فى شعر له: —

---

(١) هو: عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ثانى خلفاء العباسية اباؤه معروفة توفى سنة ١٥٨هـ

(٢) ولى عهد السفاح العباس بعد أخيه المنصور. خلعه المهدى توفى سنة ١٦٨ هـ.

إلى يوم يؤوب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب

وقال أصحابنا لهذه الطائفة : إن أجزتم أن يكون المقتول بالمدينة غير محمد بن عبدالله بن الحسن وأجزتم أن يكون المقتول هنا شيطانا تصور للناس فى صورة محمد بن عبد الله بن الحسن فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه وانما كانوا شياطين تصوروا للناس بصورة الحسين وأصحابه وانتظروا حسينا كما انتظرتم محمد بن عبدالله بن الحسن أو انتظروا علياً كما انتظرته السبأية منكم الذين زعموا أنه فى السحاب والذى قتله عبد الرحمن بن ملجم[1] كان شيطانا تصور للناس بصورة على وهذا ما لا انفصال لهم عنه والحمد لله على ذلك .

ذكر الباقرية منهم : هؤلاء قوم ساقوا الإمامة من على بن أبى طالب رضى الله عنه فى أولاده الى محمد بن على المعروف بالباقر[2] . وقالوا : ان علياً نص على إمامة ابنه الحسن ونص الحسن على إمامة أخيه الحسين . ونص الحسين على إمامة ابنه على بن الحسين زين العابدين . ونص زين العابدين على امامة محمد بن على المعروف بالباقر ، وزعموا أنه هو المهدى المنتظر بما روى أن النبى عليه السلام قال لجابر بن عبدالله الانصارى : « انك تلقاه فاقرئه منى السلام » ، وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان قد عمى فى آخر عمره ، وكان يمشى فى المدينة ويقول : ياباقر ، يا باقر . متى ألقاك فمر يوماً فى بعض سكك المدينة .

[فناولته جارية صبيا كان فى حجرها فقال لها : من هذا ؟ فقالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على . فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه ، ثم قال : يا بنى جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام . ثم قال جابر : قد نعيت الى نفسى . فمات فى تلك الليلة .

وحجتهم فى هذا أن رسول الله بعث يقرىء عليه السلام فدل على أنه المهدى المنتظر قلنا : وقد قال رسول الله لعمر وعلى : « أقرئا عنى أويساً السلام » ، ولم يوجب ذلك كونه المهدى المنتظر . وقد تواترت الروايات بموت الباقر عليه السلام كما تواترت الرواية بقتل أويس القرنى بصفين . ولايصح انتظار واحد منهما بعد موته .

ذكر الناووسية : وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس بها . وهم

---

(١) هو : عبد الرحمن بن ملجم المرادى الحميرى فاتك ثائر هالك سنة ٤٠ ه لعنه الله بعد اغتياله لعلى عليه السلام . (٢) هو : من أئمة أهل البيت عليهم السلام توفى سنة ١١٤ ه .

يسوقون الامامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه ، وزعموا انه لم يمت وأنه المهدى المنتظر وزعم قوم أن الذى كان يتبدى للناس لم يكن جعفراً ، وانما تصور للناس فى تلك الصورة وانضم إلى هذه الفرقة قوم من السباية فزعموا جميعا ان جعفراً كان عالما بجميع معالم الدين فى العقليات والشرعيات فإذا قيل للواحد منهم : ماتقول فى القرآن أوفى الرؤية ، أوفى غير ذلك من اصول الدين أوفى فروعه؟ يقول : أقول فيها ماكان يقوله جعفر الصادق ، يقلدونه

ذكر الشميطية : وهم منسوبون إلى يحيى بن شميط وقد ساقوا الامامة بطريق النص من جعفر الى ابنه محمد بن جعفر وأقروا بموت جعفر وزعموا أن جعفراً أوصى بها لابنه محمد . ثم أداروا الامامة فى أولاد محمد بن جعفر ، وزعموا أن المنتظر من ولده .

ذكر العمارية : وهم منسوبون إلى زعيم منهم يسمى عماراً . وهم يسوقون الامامة إلى جعفر الصادق ثم زعموا أن الامام بعده ولده عبد الله . وكان أكبر أولاده وكان أفطح الرجلين — ولهذا قيل لأتباعه الأفطحية .

ذكر الاسماعيلية : وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا ان الامام بعده ابنه اسماعيل وافترق هؤلاء فرقتين :

فرقة : منتظرة لاسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت اسماعيل فى حياة أبيه . وفرقة : قالت كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر حيث] . إن جعفراً نصب ابنه اسماعيل للامامه بعده فلما مات اسماعيل فى حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه اسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل وإلى هذا القول مالت الاسماعيلية من الباطنية وسنذكرهم فى فرق الغلاة بعد هذا .

ذكر الموسوية منهم : هؤلاء الذين ساقوا الامامة إلى جعفر ثم زعموا أن الامام بعد جعفر كان ابنه موسى[1] بن جعفر وزعموا أن موسى بن جعفر حى لم يمت وأنه هو المهدى المنتظر وقالوا : انه دخل دار الرشيد [2] ولم يخرج منها . وقد علمنا إمامته وشككنا فى موته فلانحكم فى موته إلا بيقين فقيل لهذه الفرقة الموسويه : إذا شككتم فى حياته وموته

---

(١) هو : الامام موسى الكاظم رضى الله عنه مشهده معروف ببغداد توفى سنة ١٧٣ هـ .

(٢) هو : هارون (الرشيد) بن محمد بن المهدى خامس خلفاء الدولة العباسية له وقائع كثيرة مع ملوك الروم وهو صاحب وقعة البرامكة ولد سنة ١٤٩ ومات بطوس سنة ١٩٣ هـ .

فشكوا فى إمامته ولا تقطعوا القول بانه باق وانه هو المهدى المنتظر . هذا مع علمكم بان مشهد موسى بن جعفر معروف فى الجانب الغربى من بغداد يزار . ويقال لهذه الفرقة موسوية لانتظارها موسى بن جعفر ويقال لها الممطورة ايضا لأن يونس بن عبد الرحمن القمى (١) كان من القطعية وناظر بعض الموسوية فقال فى بعض كلامه : انتم أهون على عينى من الكلاب الممطورة .

ذكر المباركية : هؤلاء يريدون الامامة فى ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر كدعوى الباطنية فيه . وقد ذكر أصحاب الأنساب فى كتبهم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب .

ذكر القطعية منهم : هؤلاء ساقوا الامامة من جعفر الصادق (٢) إلى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى ، وزعموا أن الامام بعده سبط محمد بن الحسن الذى هو سبط على ابن موسى الرضا . ويقال لهم الاثنا عشرية أيضا لدعواهم أن الامام المنتظر هو الثانى عشر من نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه واختلفوا فى سن هذا الثانى عشر عند موته فنهم من قال : كان ابن أربع سنين . ومنهم من قال : كان ابن ثمانى سنين واختلفوا فى حكمه فى ذلك الوقت . فمنهم من زعم أنه فى ذلك الوقت كان اماماً عالما بجميع مايجب أن يعلمه الامام وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال : كان فى ذلك الوقت إماما على معنى أن الامام لايكون غيره . وكانت الاحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه . فلما بلغ تحققت امامته ، ووجبت طاعته وهو الآن الامام الواجب طاعته وإن كان غائبا .

ذكر الهشامية منهم : هؤلاء فرقتان فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضى (٣) والفرقة الثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليق . وكلتا الفرقتين قد ضمت إلى حيرتها فى الامامه

---

(١) فى التبصير للاسفرايني : (زرارة بن أعين)

(٢) هو : أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمى القرشى سادس الأئمة الاثنى عشرة عند الامامية . لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط مات سنة ١٤٨ هـ رضى الله عنه .

(٣) مات بعد نكبة البرامكة مستتراً وقيل انه أدرك زمان المأمون وله انباء فى الرفض والتجسيم ربما تكون بعضها مولدة لصلته بالبرامكة .

ضلالتها فى التجسيم وبدعتها فى التشبيه

ذكر قول هشام بن الحكم : زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل، عريض عميق وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه . ولم يثبت طولا غير الطويل ، ولاعرضا غير العريض . وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض ، وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة ، وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها وزعم أيضا : أنه ذو لون، وطعم، ورائحة ، ومجسة . وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته ، ورائحته هو مجسته . ولم يثبت لونا وطعما هما غير نفسه بل زعم أنه هو اللون وهو الطعم . ثم قال : قدكان الله ولامكان، ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه بحركته فصار فيه ومكانه هو العرش .

وحكى بعضهم عن هشام أنه قال فى معبوده أنه سبعة أشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الانسان لأن كل انسان فى الغالب من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه .

وذكر أبو الهذيل فى بعض كتبه أنه لقى هشام بن الحكم فى مكة عند جبل أبى قبيس فسأله : أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل ؟ قال : فاشار إلى أن الجبل يوفى عليه تعالى أن الجبل أعظم منه .

وحكى ابن الراوندى فى بعض كتبه عن هشام أنه قال : بين الله وبين الاجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه لولا ذلك مادلت عليه .

وذكر الجاحظ فى بعض كتبه عن هشام أنه قال : إن الله عز وجل انما يعلم ماتحت الثرى بالشعاع المتصل منه والذاهب فى عمق الأرض . وقالوا لولا مماسة شعاعه لما وراء الأجسام الساترة لما رأى ما وراءها ولا علمها .

وذكر أبو عيسى الوراق فى كتابه أن بعض أصحاب هشام أجابه إلى أن الله عز وجل مماس لعرشه لاينفصل عن العرش ولاينفصل العرش عنه . وقد روى أن هشاما مع ضلالته فى التوحيد ضل فى صفات الله أيضا فاحال القول بان الله لم يزل عالما بالأشياء . وزعم أنه علم الاشياء بعد ان لم يكن عالما بها بعلم . وان العلم صفة له ليست هى هو ولاغيره ولا بعضه . قال: ولايقال لعلمه أنه قديم ولا محدث لانه صفة وزعم أن الصفة لاتوصف . وقال أيضا فى قدرة الله وسمعه ، وبصره ، وحياته ، وارادته انها لاقديمة ولا محدثة لأن الصفة لاتوصف وقال فيها : إنها لاهى هو ولاغيره . وقال ايضا لو كان لم يزل عالما بالمعلومات لكانت المعلومات أزلية لأنه لايصح عالم إلا بمعلوم موجود كأنه أحال تعلق العلم بالمعدوم .

وقال أيضا : لو كان عالما بما يفعله عباده قبل وقوع الافعـــال منهم لم يصح اختيار العباد وتكليفهم . وكان هشام يقول فى القرآن : إنه لاخالق ولامخلوق ، ولا يقال إنه غير مخلوق لأنه صفة والصفة لاتوصف عنده . واختلفت الرواية عنه فى أفعال العباد . فروى عنه أنها مخلوقة لله عز وجل . وروى عنه أنها معان وليست باشياء ولا أجسام لأن الشىء عنده لايكون الاجسما . وكان هشام يجيز على الأنبياء العصيان مع قوله بعصمة الائمة من الذنوب . وزعم أن نبيه صلى الله عليه وسلم عصى ربه عز وجل فى أخذ الفداء من أسارى بدر ، غير أن الله عز وجل عفا عنه وتأول على ذلك قول الله تعالى : « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » وفرق فى ذلك بين النبى والامام بان النبى إذا عصى أتاه الوحى بالتنبيه على خطاياه ، والامام لاينزل عليه الوحى فيجب أن يكون معصوما عن المعصية . وكان هشام على مذهب الامامية فى الامامة ، وأكفره سائر الامامية باجازته المعصية على الأنبياء . وكان هشام يقول بنفى نهاية أجزاء الجسم وعنه أخذ النظام إبطال الجزء الذى لايتجزى .

وحكى زرقان عنه فى مقالته أنه قال بمداخلة الأجسام بعضها فى بعض كما أجاز النظام تداخل الجسمين اللطيفين فى حيز واحد .

وحكى عنه زرقان أنه قال : الانسان شيئآن . بدن . وروح . والبدن موات والروح حساسة مدركة فاعلة وهى نور من الأنوار . وقال هشام فى سبيل الزلزلة : ان الأرض مركبة من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضا فاذا ضعفت طبيعة منها غلبت الأخرى فكانت الزلزلة . فان ازدادت الطبيعة ضعفا كان الخسف .

وحكى زرقان عنه أنه أجاز المشى على الماء لغير نبى مع قوله بأنه لايجوز ظهور الأعلام المعجزة على غير نبى .

ذكر هشام بن سالم الجواليقى (١) : هذا الجواليقى مع رفضه على مذهب الامامية مفرط فى التجسيم والتشبيه ، لأنه زعم أن معبوده على صورة الانسان ولكنه ليس بلحم ولا دم بل هو نور ساطع بياضا . وزعم أنه ذو حواس خمس كحواس الانسان وله يد ، ورجل ، وعين ، وأذن ، وأنف ، وفم وانه يسمع بغير مايبصر به . وكذلك سائر حواسه متغايرة وان نصفه الأعلى مجوف ، ونصفه الأسفل مصمت .

---

(١) متقدم على هشام بن الحكم زمنا ، وأنباؤه فى التجسيم ، والرفض معروفة .

وحكى أبو عيسى الوراق : انه زعم أن لمعبوده وفرة سوداء وأنه نور أسود وباقيه نور أبيض .

وحكى شيخنا أبو الحسن الاشعرى[١] فى مقالاته : أن هشام بن سالم قال فى ارادة الله تعالى بمثل قول هشام بن الحكم فيها وهى : ان إرادته حركة وهى معنى لاهى الله ولاغيره . وان الله تعالى إذا أراد شيئا تحرك فكان كما أراد . قال : ووافقهما أبو مالك الحضرمى ، وعلى بن هيثم وهما من شيوخ الروافض ان ارادة الله تعالى حركة غير أنهما قالا إن ارادة الله تعالى غيره .

وحكى أيضا عن الجواليقى أنه قال فى أفعال العباد أنها اجسام لأنه لاشىء فى العالم إلا الأجسام ، وأجاز أن يفعل العباد الأجسام وروى مثل هذا القول عن شيطان الطاق أيضاً .

ذكر الزرارية منهم : هؤلاء أتباع زرارة بن أعين[٢] ، وكان على مذهب الأفطحية القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر ، ثم انتقل الى مذهب الموسوية وبدعته المنسوبة اليه قوله : بأن الله عز وجل لم يكن حياً ، ولا قادراً ، ولا سميعا ، ولا بصيراً ، ولا عالما ، ولامريداً حتى خلق لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلما ، وإرادة ، وسمعا ، وبصراً فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات حيا ، قادراً ، عالما ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً . وعلى منوال هذا الضال نسجت القدرية البصرية فى القول بحدوث كلام الله . وعليه نسجت الكرامية قولها بحدوث قول الله وإرادته وادراكاته .

ذكر اليونسية منهم : هؤلاء أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى[٣] وكان فى الامامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر وأفرط يونس هذا فى باب التشبيه فزعم أن الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم ، كما ان الكرسى يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على انه محمول بقوله : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، وقال أصحابنا الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى .

---

(١) هو : امام أهل السنة أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى نشأ فى الاعتزال ثم هداه الله إلى الحق فقام بالذب عن معتقد أهل السنة فى عهد استفحال شرور المعتزلة والحشوية كما شرحت ذلك فى مقدمة « تبيين كذب المفترى » لابن عساكر توفى سنة ٣٢٤ هـ .

(٢) توفى سنة ١٥٠ هـ ويقال إنه رجع عن التشيع . (٣) مترجم فى تنقيح المقال .

ذكر الشيطانية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن النعمان الرافضى(١) الملقب بشيطان الطاق كان فى زمان جعفر الصادق وعاش بعده مدة وساق الامامة إلى ابنه موسى . وقطع بموت موسى وانتظر بعض أسباطه ، وشارك هشام بن سالم الجواليق فى دعواه ، أن أفعال العباد أجسام وان العبد يصح أن يفعل الجسم . وشارك هشام بن الحكم . وزعم ان الله تعالى إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ولا يكون قبل تقديره الأشياء عالما بها . وإلا ماصح تكليف العباد .

قال عبد القاهر : قد ذكرنا فى هذا الفصل فرق الرفض من الزيدية ، والكيسانية ، والامامية . والكيسانية منهم اليوم مغمورون فى غمار أخلاط الزيدية والامامية . وبين الزيدية والامامية منهم معاداة تورث تضليل بعضهم بعضا وقال بعض شعراء الامامية يهجو الزيدية :—

يا أيها الزيدية المهمله ... إمامكم ذا آفة مرسله
يا رخمات الجو تبا لكم ... غصتم فأخرجتم لنا جندله

فأجابه شاعر الزيدية :—

إمامنا منتصب قائم ... لا كالذى يطلب بالغربله
كل إمام لا يرى جهرة ... ليس يساوى عندنا خردله

قال عبد القاهر : قد أجبنا الفريقين عن شعرهما بقولنا :—

يا أيها الرافضة المبطله ... دعواكم من أصلها مبطله
إمامكم إن غاب فى ظلمة ... فاستدركوا الغائب بالمشعله
أوكان معموراً بأعماركم ... فاستخرجوا المعمور بالغربله
لكن إمام الحق فى قولنا ... من سنة أو آية منزله
وفيهما للمهتدى مقنع ... كفى بهذين لنا منزله

---

(١) هو: شيطان الطاق تسمي به . والشيعة يسمونه مؤمن الطاق صاحب نوادر معاصر لأبي حنيفة .

الفصل الثاني

من فصول هذا الباب : في بيان مقالات فرق الخوارج .

قد ذكرنا قبل هذا أن الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها : المحكمة الأولى، والأزارقة ، والنجدات، والصفرية، ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية ، والشعيبية ؛ والمعلومية ؛ والمجهولية ، وأصحاب طاعة لايراد الله تعالى بها ، والصلتية ، والأخنسية ؛ والشبيبية ؛ والشيبانية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والشمراخية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، والإباضية . والإباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية، وحارثية . فأما اليزيدية من الإباضية، والميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة وسنذكرهما في باب ذكر فرق الغلاة بعد هذا إن شاء الله عزوجل

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبي في مقالاته : ان الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار على ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الامام الجائر .

وقال شيخنا أبو الحسن : الذى يجمعهما إكفار على ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومن رضى بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ولم يرض ماحكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب . والصواب : ماحكاه شيخنا أبوالحسن عنهم ، وقد أخطأ الكعبي في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم . وذلك ان النجدات من الخوارج لايكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم وقد قال قوم من الخوارج : ان التكفير إنما يكون بالذنوب التى ليس فيها وعيد مخصوص . فاما الذى فيه حد أو وعيد في القرآن فلا يزاد صاحبه على الاسم الذى ورد فيه . مثل: تسميته زانياً ، وسارقا ونحوذلك . وقد قالت النجدات: إن صاحب الكبيرة من موافقيهم كافر نعمة وليس فيه كفردين وفي هذا بيان خطأ الكعبي في حكايته عن جميع الخوارج تكفير أصحاب الذنوب كلهم منهم ومن غيرهم ، وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ماحكاه شيخنا أبو الحسن رحمه الله من تكفيرهم عليا ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضى بالتحكيم ونذكر الآن تفصيل كل فرقة منهم إن شاء الله عز وجل .

ذكر المحكمة الأولى منهم : يقال للخوارج محكمة ، وشراة واختلفوا فى أول من تشرى منهم فقيل عروة بن حدير(١) أخو مرداس الخارجى ، وقيل أولهم يزيد بن عاصم المحاربى(٢) ، وقيل رجل من ربيعة من بنى يشكر كان مع على بصفين فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا وحمل على أصحاب على وقتل منهم رجلا ثم نادى بأعلى صوته . ألا انى قد خلعت علياً ومعاوية وبرئت من حكمهما . ثم قاتل أصحاب على حتى قتله قوم من همدان ، ثم إن الخوارج بعد رجوع على من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشرة ألفا ولذلك سميت الخوارج حرورية وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء(٣) ، وشبث بن ربعى(٤) وخرج اليهم على يناظرهم فوضحت حجته عليهم فاستأمن اليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم إلى النهروان وأمروا على أنفسهم رجلين . أحدهما : عبد الله بن وهب الراسبى(٥) . والآخر : حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية(٦) . والتقوا فى طريقهم إلى نهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به وقالوا له من أنت؟ قال : أنا عبد الله بن خباب بن الأرت(٧) . فقالوا له : حدثنا حديثا سمعته عن أبيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى ، فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكونن قاتلا(٨) » . فشد عليه رجل من الخوارج

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى كثير من كتب الملل . وأما كتب الرجال فتذكر فيها بدل حدير (ادية) . (٢) خارجى من المحكمة الأولى هلك فى النهروان .

(٣) هو : اليشكرى من الخوارج ثم استأمن بنصح على كرم الله وجهه .

(٤) كان قائد الميسرة فى حرب على كرم الله وجهه للخوارج ، ثم خان والتحق بهم ولقى جزاء عمله

(٥) من رؤساء الخوارج قتل سنة ٣٨ ﻫ فى موقعة النهروان .

(٦) من رؤساء الخوارج قتل سنة ٣٨ ﻫ على الأصح فى وقعة النهروان . وهو المعروف بذى الثدية .

(٧) صحابى ابن صحابى قتله الخوارج سنة ٣٨ ﻫ قبل موقعة النهروان .

(٨) والحديث بمعناه فى الصحيحين عن أبى هريرة ، وحكاية قتله فى الاصابة رضى الله عنه وأخزى الخوارج .

يقال له مسمع بسيفه فقتله فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر ثم إنهم دخلوا منزله وكان فى القرية التى قتلوه على بابها فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ثم عسكروا بنهروان وانتهى خبرهم إلى على رضى الله عنه فسار اليهم فى أربعة آلاف من أصحابه وبين يديه عدى بن حاتم الطائى(١) وهو يقول : ـــ

نســير اذا ما كاع قوم وبلدوا ... برايات صدق كالنسور الخوافق
الى شر قوم من شراة تحزبوا ... وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى ... وكل يرى فى قوله غير صادق
وفينــا على ذو المعالى يقودنا ... اليهم جهاراً بالسيوف البوارق

فلما قرب على منهم أرسل اليهم أن سلموا قاتل عبـــد الله بن خباب فأرسلوا اليه : إنا كلنا قتله ولئن ظفرنا بك قتلناك . فأتاهم على فى جيشه وبرزوا اليه بجمعهم فقال لهم قبل القتال : ماذا نقمتم منى ؟ فقالوا له : أول مانقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ماوجدنا فى عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النســاء والذرية ؟! فقال : إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليـه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم . والنسـاء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الاسلام ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ولايجوز استرقاق من لم يكفر . وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة (٢) فى سهمه ؟ فخجل القوم من هذا ثم قالوا له : نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية فى ذلك . فقال : فعلت مثل مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو(٣) . لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك فكتب : (هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو) وأخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لى منهم يوما مثـل ذلك . فكانت قصتى فى هذا مع الأبناء قصة رسول الله عليه السلام مع الآباء . فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتانى . فإن كنت فى شك من خـــلافتك فغيرك

---

(١) من معمرى الاصحاب مات سنة ٦٨ هـ عن مائة وعشرين سنة .
(٢) أم المؤمنين رضى الله عنها توفيت سنة ٥٧ هـ .
(٣) تولى أمر الصلح بالحديبية من جهة قريش ثم أسلم وحسن إسلامه توفى سنة ١٨ هـ

بالشك فيك أولى . فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية . ولو قلت للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض بذلك معاوية . وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (١) » . فأنصفهم بذلك عن نفسه . ولو قال : أبتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك . لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسى ولم أدر غدر عمرو بن العاص . قالوا : فلم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟ . فقال : وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ (٢) فى بنى قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضاً حكما لكن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بالعدل وحكمى خدع حتى كان من الأمر ما كان . فهل عندكم شىء سوى هذا ؟ . فسكت القوم وقال أكثرهم : صدق والله . وقالوا التوبة ، واستأمن اليه منهم يومئذ ثمانية آلاف وانفرد منهم أربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير البجلى . وقال على للذين استأمنوا اليه : اعتزلونى فى هذا اليوم . وقال لأصحابه قاتلوهم فوالذى نفسى بيده لا يقتل منا عشرة ولا ينجو عشرة منهم . فقتل من أصحاب على يومئذ تسعة وهم : ذؤيبة بن وبرة البجلى ، وسعد بن مجالد السبيعى ، وعبد الله بن حماد الجريرى ، ورفاعة بن وائل الارحبى ، والفياض بن خليل الازدى ، وكيسوم بن سلمة الجهنى ، وعتبة بن عبيد الخولانى ، وجميع ابن جشم الكندى ، وحبيب بن عاصم الأودى . قتل هؤلاء التسعة تحت راية على رضى الله عنه فحسب . وبرز حرقوص بن زهير إلى على وقال . يا ابن أبى طالب لانريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة . وقال له على : بل مثلكم كما قال الله عز وجل « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (٣) » ، منهم أنت ورب الكعبة . ثم حمل عليه فى أصحابه وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة ، وصرع ذو الثدية عن فرسه وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس صار منهم رجلان الى سجستان ومن أتباعهما خوارج سجستان . ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما إباضية اليمن ، ورجلان صارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان ، ورجلان صارا إلى

---

(١) سورة آل عمران : مدنية ٦١ .
(٢) هو : سيد الاوس صحابى جليل رضى الله عنه توفى سنة ٥ هـ اهتز العرش لوفاته .
(٣) سورة الكهف : مكية ١٠٣ و ١٠٤ .

ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة . ورجل منهم صار الى تل موزن . وقال علي لأصحابه يومئذ : اطلبوا ذا الثدية فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده عند الإبط مثل ثدي المرأة فقال : صدق الله ورسوله(١) وأمر فقتل . فهذه قصة المحكمة الأولى وكان دينهم إكفار علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، و[إ]كفار كل ذي ذنب ومعصية .

ثم خرج علىَ علي بعد ذلك من الخوارج جماعة كانوا على رأى المحكمة الأولى منهم : أشرس بن عوف وخرج عليه بالأنبار، وغفلة التيمي من تيم عدي خرج عليه بماسبذان، والاشهب بن بشر العرني خرج عليه بجرجرايا، وسعد بن قفل خرج عليه بالمدائن. وأبو مريم السعدي خرج عليه في سواد الكوفة . فأخرج علي إلى كل واحد جيشاً مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج ثم قتل علي رضي الله عنه في تلك السنة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين(٢) من الهجرة .

فلما استوت الولاية لمعاوية خرج عليه وعلى من بعده إلى زمان الأزارقة قوم كانوا على رأى المحكمة الأولى . منهم : عبد الله بن جوشا الطائي خرج على معاوية بالنخيلة من سواد الكوفة فأخرج معاوية إليه أهل الكوفة حتى قتلوا أولئك الخوارج . ثم خرج عليه حوثرة بن وداع الأسدي وكان من المستأمنين الى علي يوم النهروان في سنة إحدى وأربعين . ثم خرج قرة بن نوفل الاشجعي، والمستورد بن علقمة التيمي على المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية فقتلا في حربه . ثم خرج معاذ بن جرير على المغيرة فقتل في حربه . ثم خرج زياد بن خراش العجلي على زياد بن أبيه فقتل في حربه . وخرج قريب بن مرة على عبيد الله بن زياد، وخرج عليه أيضاً زحاف بن زحر الطائي واستعرضا الناس في الطريق بالسيف فأخرج ابن زياد اليهما بعباد بن الحصين الحبطي في جيش فقتلوا

---

(١) في كتاب التبصير للاسفرايني : ان ذو الثدية مر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم بدر فقال له : اعدل يا محمد . فقال له عليه الصلاة والسلام : و خبت وخسرت إذاً من يعدل ؟ ثم قال : انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، انتهى . أخرجه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة وعادة المصنف ، أي الاسفرايني ، في الغالب رواية الحديث بالمعنى .

(٢) بل سنة أربعين اتفاقا .

أولئك الخوارج . فهؤلاء هم الخوارج الذين عاونوا على المحكمة الأولى قبل فتنة الأزارقة والله أعلم .

ذكر الأزارقة منهم : هؤلاء أتباع نافع بن الازرق الحنفي المكنى بأبي راشد (١) ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة . والذى جمعهم من الدين أشياء منها : قولهم بأن مخالفيهم من هـذه الأمة مشركون . وكانت المحكمة الأولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون . ومنها : قولهم إن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة اليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم . ومنها : انهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم اذا ادعى أنه منهم أن يدفع اليه أسير من مخالفيهم وأمروه بقتله فان قتله صدقوه فى دعواه أنه منهم ، وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه . ومنها : انهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم . وقتل أطفالهم ، وزعموا ان الاطفال مشركون وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار . واختلفوا فى أول من أحدث ما انفردت الأزارقة به من اكفار القعـدة عنهم . ومن امتحان من قصد عسكرهم . فمنهم من : زعم ان أول من أحدث ذلك منهم : عبد ربه الكبير (٢) ، ومنهم من قال: عبد ربه الصغير (٣) ، ومنهم من قال : أول من قال ذلك رجل منهم اسمه عبد الله بن الوضين (٤) وخالف نافع بن الازرق فى ذلك واستتابه منه فلما مات ابن الوضين رجع نافع واتباعه الى قوله وقالوا : كان الصواب معه ولم يكفر نافع نفسه بخلافه إياه حين خالفه وأكفر من يخالفه بعد ذلك . ولم يتبرأ من المحكمة الأولى فى تركهم اكفار القعدة عنهم وقال : ان هذا شيء مازلنا نأخذ به دونهم ، وأكفر من يخالفهم بعد ذلك فى اكفار القعدة عنهم . وزعم نافع وأتباعه أن دار مخالفيهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء . وأنكرت الأزارقة الرجم ، واستحلوا كفر الامانة التى أمر الله تعالى

---

(١) هو: شيخ الأزارقة له أسئلة فى القرآن عن ابن عباس رضى الله عنه فجاوبه من شعر العرب وهى مدونة فى باب من الاتقان للسيوطى . ولبعض السلف جزء خاص فى ذلك رأيته فى ظاهرية دمشق . وأكثر الطبرانى منها فى الكبير . قتل سنة ٦٥ هـ .

(٢) بايعه الخوارج الذين انشقوا من قطرى بن الفجاءة كما تجد تفصيل ذلك فى الكامل للمبرد .

(٣) هو: أول من هاج ضد قطرى بن الفجاءة من الخوارج حتى عمت الفتنة بينهم ، واستمر قتال بعضهم لبعض إلى أن سهل على المهلب إبادتهم .

(٤) من رؤوس الازارقة مات فى حدود سنة ٦٠ هـ .

بأدائها وقالوا : ان مخالفينا مشركون فلا يلزمنا أداء اماناتنا اليهم ، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء ، وقطعوا يد السارق فى القليل والكثير ولم يعتبروا فى السرقة نصاباً، وأكفرهم الأمة فى هذه البدع التى أحدثوها بعد كفرهم الذى شاركوا فيه المحكمة الأولى فباءوا بكفر على كفر كمن باء بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين .

ثم الأزارقة بعد اجتماعها على البدع التى حكيناها عنهم بايعوا نافع بن الازرق وسموه أمير المؤمنين، وانضم اليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين الفا واستولوا على الاهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وجبوا خراجها ، وعامل البصرة يومئذ عبد الله بن الحارث الخزاعى من قبل عبد الله بن الزبير فأخرج عبد الله بن الحارث جيشاً مع مسلم بن عبس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة فاقتتل الفريقان بدولاب الاهواز فقتل مسلم بن عبس وأكثر أصحابه . فخرج إلى حربهم من البصرة عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمى فى ألفى فارس فهزمته الأزارقة ، فخرج اليهم حارثة بن بدر الغدانى فى ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الأزارقة فكتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبى صفرة (١) وهو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الازارقة وولاه ذلك فرجع المهلب الى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف وانضم اليه قومه من الأزد فصار فى عشرين ألفاً وخرج وقاتل الازارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز الى الأهواز ومات نافع بن الازرق فى تلك الهزيمة وبايعت الازارقة بعده عبيد الله بن مأمون التميمى وقاتلهم المهلب بعد ذلك بالاهواز فقتل عبيد الله بن مأمون فى تلك الواقعة . وقتل أيضاً اخوه عثمان بن مأمون مع ثلاثمائة من اشد الازارقة وانهزم الباقون منهم إلى ايدج وبايعوا قطرى بن الفجاءة (٢) وسموه أمير المؤمنين . وقاتلهم المهلب بعد ذلك حروبا كانت سجالا وانهزمت الازارقة فى آخرها إلى سابور من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة بعضها فى أيام عبد الله بن الزبير وباقيها فى زمان خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق وقرر الحجاج المهلب على

---

(١) هو: أمير خراسان الداهى صاحب الحروب والفتوح مات سنة ٨٢ هـ .

(٢) اسم أمه على ماذكره المسعودى، ويقول المجد انها اسم والده . وهو: البطل المعروف عثر به فرسه فمات سنة ٧٩ وأتى برأسه الى الحجاج .

حرب الازارقة فدامت الحرب فى تلك السنين بين المهلب وبين الازارقة كراً وفراً فيما بين فارس والاهواز إلى أن وقع الخلاف بين الازارقة ففارق عبد ربه الكبير قطرياً وصار إلى واد بجيرفت كرمين فى سبعة آلاف رجل وفارقه عبد ربه الصغير فى أربعة آلاف وصار إلى ناحية أخرى من كرمان ، وبقى قطرى فى بضعة عشر الف رجل بأرض فارس وقاتله المهلب بها وهزمه إلى أرض كرمان وتبعه وقاتله بارض كرمان وهزمه منها الى الرى.

ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله وبعث بابنه يزيد بن المهلب الى عبد ربه الصغير فاتى عليه وعلى أصحابه وبعث الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبى فى جيش كثيف الى قطرى بعد أن انحاز من الرى إلى طبرستان فقتلوه بها وأنفذوا برأسه إلى الحجاج ، وكان عبيدة بن هلال اليشكرى(١) قد فارق قطريا وانحاز إلى قومس فتبعه سفيان بن الابرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه وطهر الله بذلك الأرض من الازارقة والحمد لله على ذلك .

ذكر النجدات منهم : هؤلاء أتباع نجدة بن عامر الحنفى (٢) وكان السبب فى رياسته وزعامته أن نافع بن الازرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، وفارقه أبوفديك ، وعطية الحنفى،وراشد الطويل ، ومقلاص . وأيوب الأزرق وجماعة من أتباعهم وذهبوا الى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فى جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع فأخبروهم بأحداث نافع وردوهم إلى اليمامة وبايعوا بها نجدة بن عامر وأكفروا من قال باكفار القعدة منهم عن الهجرة اليهم، وأكفروا من قال بإمامة نافع وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه فلما اختلفوا عليه صاروا ثلاث فرق . فرقة صارت مع عطية بن الاسود الحنفى(٣) إلى سجستان وتبعهم خوارج سجستان ولهذا قيل لخوارج سجستان فى ذلك الوقت عطوية . وفرقة صارت مع أبى فديك حرباً على نجدة وهم الذين قتلوا نجدة . وفرقة عذروا نجدة فى أحداثه وأقاموا على إمامته . والذى نقمه على نجدة أتباعه أشياء . منها : أنه بعث جيشا فى غزو البر ، وجيشا فى غزو البحر ففضل الذين بعثهم فى البر على الذين بعثهم

---

(١) هو: من أصحاب قطرى قتله سفيان بن الابرد سنة ٧٧ هـ فى قومس .

(٢) هو: رأس النجدات من الخوارج قتله أصحابه سنة ٦٩ هـ وانما قيل لاتباعه النجدات لتفرق بالنسبة إلى نجد . (٣) كان من أصحاب نجدة أرسله إلى سجستان فاظهر مذهبه بمرو منابذاً له فعرفت أتباعه بالعطوية .

فى البحر فى الرزق والعطاء . ومنها : أنه بعث جيشاً فأغاروا على مدينة الرسول عليه السلام وأصابوا منها جارية من بنات عثمان بن عفان فكتب اليه عبد الملك فى شأنها فاشتراها من الذى كانت فى يديه وردها إلى عبد الملك بن مروان فقالوا له: إنك رددت جارية لنا على عدونا . ومنها : أنه عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد بالجهالات . وكان السبب فى ذلك أنه بعث ابنه المطرح مع جند من عسكره إلى القطيف فأغاروا عليها وسبوا منها النساء والذرية وقوموا النساء على أنفسهم ونكحوهن قبل إخراج الخمس من الغنيمة وقالوا : ان دخلت النساء فى قسمتنا فهو مرادنا وان زادت قيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة من أموالنا . فلما رجعوا إلى نجدة سألوه عما فعلوا من وطء النساء ومن أكل طعام الغنيمة قبل إخراج الخمس منها وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين . فقال لهم : لم يكن لكم ذلك فقالوا : لم نعلم ان ذلك لايحل لنا فعذرهم بالجهالة ثم قال : إن الدين أمران :ـــ

أحدهما : معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله ، وتحريم دماء المسلمين ، وتحريم غصب أموال المسلمين ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة فهذا واجب معرفته على كل مكلف . وماسواه فالناس معذورون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة فى الحلال والحرام . فمن استحل باجتهاده شيئا محرما فهو معذور . ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر .

الثانى : ومن بدع نجدة أنه تولى أصحاب الحدود من موافقيه وقال : لعل الله يعذبهم بذنوبهم فى غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة . وزعم أن النار يدخلها من خالفه فى دينه . ومن ضلالاته أيضاً أنه أسقط حد الخمر ومنها أيضا أنه قال: من نظر نظرة صغيرة ، أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك . ومن زنى ، وسرق ، وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم . إذا كان من موافقيه على دينه . فلما أحدث هذه الأحداث وعذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من أحداثه وقالوا له: اخرج الى المسجد وتب من أحداثك ففعل ذلك .

ثم ان قوما منهم ندموا على استتابته وانضموا إلى العاذرين له وقالوا له : أنت الإمام ولك الاجتهاد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك واستتب الذين استتابوك وإلا نابذناك . ففعل ذلك فافترق عليه أصحابه وخلعه أكثرهم وقالو له : اختر لنا إماما فاختار أبا فديك (١) وصار راشد الطويل مع أبى فديك يداً واحدة . فلما استولى أبو فديك على

---

(١) كان من أصحاب نجدة ثم خالفه إلى أن قتله .

اليمامة علم أن أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الامارة فطلب نجدة ليقتله فاختفى نجدة فى دار بعض عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرقهم فى سواحل الشام ونواحى اليمن . ونادى منادى أبى فديك من دلنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم . وأى مملوك دلنا عليه فهو حر . فدلت عليه أمة للذين كان نجدة عندهم فأنفذ أبو فديك راشداً الطويل فى عسكر اليه فكبسوه وحملوا رأسه إلى أبى فديك فلما قتل نجدة صارت النجدات بعده ثلاث فرق : فرقة أكفرته وصارت الى أبى فديك . كراشد الطويل ، وأبى بيهس، وأبى الشمراخ وأتباعهم . وفرقة عذرته فيما فعل وهم النجدات اليوم . وفرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة شكوا فيما حكى من أحداث نجدة وتوقفوا فى أمره وقالوا : لاندرى هل أحدث تلك الأحداث أم لا فلا نبرأ منه إلا باليقين . وبقى أبو فديك بعد قتل نجدة إلى أن بعث اليه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى فى جند فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه إلى عبد الملك بن مروان فهذه قصة النجدات .

ذكر الصفرية من الخوارج : هؤلاء أتباع زياد بن الأصفر(1). وقولهم فى الجملة كقول الازارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون . غير أن الصفرية لايرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم . والازارقة يرون ذلك . وقد زعمت فرقة من الصفرية . ان ماكان من الأعمال عليه حد واقع لايسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له . كزان ، وسارق ، وقاذف ، وقاتل عمد ، وليس صاحبه كافراً ولا مشركا . وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وان المؤمن المذنب يفقد اسم الايمان فى الوجهين جميعاً . وفرقة ثالثة من الصفرية قالت بقول من قال من البيهسية ان صاحب الذنب لايحكم عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالى فيحده . فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق :

فرقة : تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك كما قالت الازارقة .

والثانية : تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه حد والمحدود فى ذنبه خارج عن الايمان وغير داخل فى الكفر .

والثالثة : تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حده الوالى على ذنبه . وهذه الفرق الثلاث من الصفرية يخالفون الأزارقة فى الأطفال والنساء كما بيناه قبل هذا .

---

(1) هو : رئيس الصفرية بالضم ويقال : الاصفرية ، كالبترية ، والابترية .

وكل الصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسى ، وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى ويقولون بإمامة أبي بلال مرداس الخارجى بعدهم ، وبإمامة عمران ابن حطان السدوسى بعد أبي بلال .

فاما أبو بلال مرداس فانه خرج فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله ابن زياد فبعث اليه عبيد الله بن زياد زرعة بن مسلم العامرى(١) فى ألفى فارس وكان زرعة يميل إلى قول الخوارج فلما اصطف الفريقان للقتال . قال زرعة لأبى بلال : أنتم على الحق ولكننا نخاف من ابن زياد أن يسقط عطاءنا فلابد لنا من قتالكم فقال له أبو بلال : وددت لو كنت قبلت فيكم قول أخى عروة فانه أشار على بالاستعراض لكم كما استعرض قريب وزحاف الناس فى طرقهم بالسيف ولكنى خالفتهما وخالفت أخى . ثم حمل أبو بلال وأتباعه على زرعة وجنده فهزموهم . ثم ان عبيد الله بن زياد بعث اليه بعباد بن اخضر التميمى(٢) فقاتل أبا بلال بتوج وقتله مع أتباعه . فلما ورد على ابن زياد خبر قتل أبي بلال قتل من وجدهم بالبصرة من الصفرية وظفر بعروة (٣) أخى مرداس فقال له : أشرت على أخيك مرداس بالاستعراض للناس فقد انتقم الله للناس منك ، ومن أخيك ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه . فلما قتل مرداس اتخذت الصفرية عمران بن حطان إماما وهو الذى رثى مرداساً بقصائد يقول فى بعضها :ـ

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يامرداس بالناس

وكان عمران بن حطان هذا ناسكا شاعراً شديداً فى مذهب الصفرية وبلغ من خبثه فى غزوة على رضى الله عنه أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم وقال فى ضربه عليا :ـ

ياضربة من منيب ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عنــد الله ميزانا

قال عبد القاهر وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا :ـ

ياضربة من كفور ما استفادبها إلا الجزاء بما يصليه نيرانا

---

(١) هو : من قواد عبيدالله بن زياد فى عهد يزيد هزمه الخوارج سنة ٥٨ ﻫ .وهو مذكور فى كامل المبرد باسم أسلم بن زرعة . (٢) هو : عباد بن اخضر التميمى من قواد عبيد الله بن زياد فى عهد يزيد وكان قتله سنة ٦١ ﻫ . (٣) هو : عروة بن حدير المعروف بابن أدية باسم جدة له . كان من رؤوس الخوارج نجا من حرب النهروان ثم قتله زياد أو ابنه سنة ٥٨ ﻫ

اني لألعنه دينا وألعن من يرجو له أبداً عفواً وغفرانا
ذاك الشقى لأشقى الناس كلهم أخفهم عند رب الناس ميزانا

ذكر العجاردة من الخوارج : العجاردة كلها أتباع عبد الكريم بن عجرد[1] ، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن الاسود الحنفي وكانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الاسلام أو يصفه هو . وفارقوا الازارقة فى شىء آخر . وهو : ان الازارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال . والعجاردة لايرون أموال مخالفيهم فيئا إلا بعد قتل صاحبه . فكانت العجاردة على هذه الجملة إلى أن افترقت فرقها التى نذكرها بعد هذا .

ذكر الخازمية منهم : هؤلاء أكثر عجاردة سجستان وقد قالوا فى باب القدر ، والاستطاعة ، والمشيئة بقول أهل السنة . أن لاخالق إلا الله ولايكون إلا ماشاء الله . وان الاستطاعة مع الفعل ، وأكفروا الميمونية الذين قالوا فى باب القدر والاستطاعة بقول القدرية المعتزلة عن الحق . ثم ان الخازميـــة خالفوا أكثر الخوارج فى الولاية والعداوة وقالوا انهما صفتان لله تعالى . وان الله عز وجل إنما يتولى العبد على ماهو صائر اليه من الايمان . وان كان فى أكثر عمره كافراً ويرى منه مايصير اليه من الكفر فى آخر عمره وان كان فى أكثر عمره مؤمنا . وان الله تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضا لأعدائه . وهذا القول منهم موافق لقول أهل السنة فى الموافاة غير أن أهل السنة ألزموا الخازميـة على قولها بالموافاة أن يكون على ، وطلحة[2] ، والزبير[3] ، وعثمان من أهل الجنة لأنهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » وقالوا لهم : إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علم أنه يموت على الايمان وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة . وكان على ، وطلحة ، والزبير منهم . وكان عثمان يومئذ أسيراً فبايع له النبى عليه السلام وجعل يده

---

(١) هو : رئيس العجاردة من الخوارج .
(٢) هو : ان عبيد الله القرشى رضى الله عنه أحد العشرة المبشرة قتله مروان بن الحكم سنة ٣٦ يوم الجمل .
(٣) هو : ابن العوام رضى الله عنه أحد العشرة المبشرة قتله ابن جرموز غدراً سنة ٣٦هـ .

بدلا عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الأربعة .

ذكر الشعيبية منهم : قول هؤلاء فى باب القدر والاستطاعة والمشيئة كقول الحازمية وإنما ظهر ذكر الشعيبية حين نازع زعيمهم المعروف بشعيب رجلا من الخوارج اسمه ميمون . وكان السبب فى ذلك أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه . فقال له شعيب : أعطيكه ان شاء الله . فقال له ميمون : قد شاء الله ذلك الساعة . فقال شعيب(١) : لوكان قد شاء ذلك لم أستطع أن لا أعطيكه فقال ميمون : قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاءه ومالم يشأ لم يأمر به فافترقت العجاردة عند ذلك . فتبع قوم شعيباً ، وتبع آخرون ميموناً وكتبوا فى ذلك إلى عبد الكريم بن عجرد وهو يومئذ فى حبس السلطان فكتب فى جوابهم : إنما نقول ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن، ولانلحق بالله سوءاً . فوصل الجواب اليهم بعد موت ابن عجرد وادعى ميمون انه قال بقوله لأنه قال : لا نلحق بالله سوءاً . وقال شعيب : بل قال بقولى لأنه قال نقول : ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . ومالت الحازمية وأكثر العجاردة إلى شعيب ، ومالت الحزبية مع القدرية إلى ميمون . ثم زادت الميمونية على كفرها فى القدر نوعا من المجوسية فأباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ورأوا قتال السلطان ومن رضى بحكمه فرضاً . فاما من أنكره فلايرون قتله إلا اذا أغار عليهم أوطعن فى دينهم أوكان دليلا للسلطان . وسنذكر الميمونية فى جملة الغلاة الخارجين عن الملة فى باب بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وقد كان من جملة الميمونية رجل يقال له خلف . ثم خالف الميمونية فى القدر والاستطاعة والمشيئة وقال فى هذه الثلاثة بقول أهل السنة وتبعه على ذلك خوارج كرمان ومكران فيقال لهم الخلفية . وهم الذين قاتلوا حمزة بن اكرك الخارجى فى أرض كرمان .

ذكر الخلفية منهم : هم أتباع خلف(٢) الذى قاتل حمزة الخارجى . والخلفية لايرون القتال إلا مع إمام منهم . وصارت الخلفية الى قول الأزارقة فى شىء واحد، وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم فى النار .

ذكر المعلومية والمجهولية منهم : هاتان فرقتان من جملة الحازمية ثم ان المعلومية منهما خالفت سلفها فى شيئين :ـ

أحدهما : دعواها ان من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهوجاهل به والجاهل به كافر.

---

(١) هو : شعيب بن محمد من الخوارج . (٢) هو : رئيس الخلفية من خوارج كرمان .

والثانى : إنهم قالوا إن أعمال العباد غير مخلوقة لله تعالى . ولكنهم قالوا فى الاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة فى أن الاستطاعة مع الفعل وأنه لايكون إلا ماشاء الله . وهذه الفرقة تدعى إمامة من كان على دينها وخرج بسيفه على أعدائه من غير براءة منهم عن القعدة عنهم . وأما المجهولية منهم : فقولهم كقول المعلومية غير أنهم قالوا من عرف الله ببعض أسمائه فقد عرفه وأكفروا المعلومية منهم فى هذا الباب .

ذكر الصلتية منهم : هؤلاء منسوبون الى صلت بن عثمان(١)، وقيل صلت بن أبي الصلت وكان من العجاردة غير أنه قال : اذا استجاب لنا الرجل وأسلم تولیناه وبرئنا من أطفاله لأنه ليس لهم اسلام حتى يدركوا فيدعون حينئذ الى الاسلام فيقبلونه . وبازاء هذه الفرقة فرقة أخرى وهى التاسعة من العجاردة زعموا أنه ليس لأطفال المؤمنين ولا لأطفال المشركين ولاية ولا عداوة حتى يدركوا فيدعوا الى الاسلام فيقبلوا أو ينكروا .

ذكر الحزية منهم : هؤلاء أتباع حمزة بن أكرك(٢) الذى عاث فى سجستان ، وخراسان ، ومكران . وقهستان ، وكرمان وهزم الجيوش الكثيرة وكان فى الأصل من العجاردة الخازمية ثم خالفهم فى باب القدر والاستطاعة فقال فيهما بقول القدرية فأكفرته الخازمية فى ذلك ، ثم زعم مع ذلك أن أطفال المشركين فى النار فأكفرته القدرية فى ذلك . ثم إنه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لايوافقه على قتال مخالفيه من فرق هذه الأمة مع قوله بأنهم مشركون . وكان اذا قاتل قوماً وهزمهم أمر باحراق أموالهم وعقر دوابهم وكان مع ذلك يقتل الاسراء من مخالفيهم ، وكان ظهوره فى أيام هارون الرشيد فى سنة تسع وسبعين ومائة . وبقى الناس فى فتنته الى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ولما استولى على بعض البلدان جعل قاضيه أبا يحي يوسف بن بشار ، وصاحب جيشه رجلا اسمه حيويه بن معبد ، وصاحب حرسه عمرو بن صاعد وكان معه جماعة من شعراء الخوارج كطلحة بن فهد ، وابى الجلندى ، وأقرانهم . وبدأ بقتال البيهسية من الخوارج وقتل الكثير منهم فسموه عند ذلك أمير المؤمنين وقال الشاعر طلحة بن فهد فى ذلك : —

أمير المؤمنين على رشاد   وخير هداية نعم الأمير

---

(١) وفى المقريزى عثمان أبى الصلت .

(٢) هو : حمزة الخارجي القدري خرج فى عهد الرشيد بخراسان جمع بين البدعتين الخروج والقدر .

أمير يفضل الأمراء فضلا   كما فضل السها القمر المنير

ثم إن حمزة أسرى سرية إلى الخازمية من الخوارج بناحية فلجرد فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم قصد بنفسه هراة فمنعه أهلها من دخولها فاستعرض الناس خارج المدينة وقتل منهم الكثير فخرج اليه عمرو بن يزيد الأزدى وهو يومئذ والى هراة مع جنده فدامت الحرب بينهم شهوراً وقتل من أرض هراة جماعة وقتل من أصحاب حمزة هيصم الشارى وكان داعية حمزة يدعو الناس إلى ضلالته . ثم أغار حمزة على كروخ من رستاق هراة وأحرق أموالهم وعقر أشجارهم . ثم حارب ابن يزيد الأزدى بقرب بوشنج وقتل عمراً . ثم انتصب على بن عيسى بن ماديان وهو يومئذ والى خراسان لحرب حمزة فانهزم منه إلى أرض سجستان بعد أن قتل من قواده ستون رجلا سوى اتباعه فلما وصل إلى سجستان منعه أهل زرنج عن دخول البلد فاستعرض الناس بالسيف فى صحراء البلد .

ثم تنكر لأهل زرنج بان ألبس أصحابه السواد يوهمهم أنهم أصحاب السلطان وانذرهم بذلك منذر فمنعوه من دخول البلدة فعقر نخلهم فى سوادهم وقتل المجتازين فى صحاريهم ثم قصد نهر شعبة وقتل بها الكثير من الخوارج الخلفية وعقر أشجارهم ، وأحرق أموالهم وانهزم منه رئيس للخلفيـة اسمه مسعود بن قيس وعبر فى هزيمته واديا وغرق فيه وشك أتباعه فى موته . وهم ينتظرونه اليوم . ثم رجع حمزة من كرمان وأغار فى طريقه على رستاق بست من رساتيق نيسابور وكان بهم قوم من الخوارج الثعالبة فقتلهم حمزة ودامت فتنه بخراسان ، وكرمان ،وقهستان ، وسجستان إلى آخر أيام الرشيد وصدر فى خلافة المأمون لاشتغال جند أكثر خراسان بقتال رافع بن ليث بن نصر بن سيار على باب سمرقند .فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إلى حمزة كتابا استدعاه فيه إلى طاعته فما ازداد الا عتواً فى امره . فبعث المأمون بطاهر بن الحسين لقتال حمزة فدارت بين طاهر وحمزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين الفاً أكثرهم من أتباع حمزة وانهزم فيها حمزة إلى كرمان وأتى طاهر على القعدة عن حمزة ممن كانوا على رأيه وظفر بثلاثمائة منهم فأمر بشد كل رجل منهم بالحبال بين شجرتين قد جذبت رؤوس بعضها إلى بعض ثم قطع الرجل بين الشجرتين فرجعت كل واحدة من الشجرتين بالنصف من بدن المشدود عليها . ثم إن المأمون استدعى طاهر بن الحسين من خراسان وبعث به إلى منصبه فطمع حمزة فى خراسان فاقبل فى جيشه من كرمان فخرج اليه عبد الرحمن النيسابورى فى عشرين الف رجل من غزاة نيسابور ونواحيها فهزموا حمزة باذن الله وقتلوا الألوف من أصحابه وانفلت منهم حمزة جريحا ومات فى هزيمته

هذه وأراح الله عز وجل منه ومن أتباعه العباد بعد ذلك وكانت هذه الواقعة التى هلك بعدها حمزة الخارجى القدرى من مفاخر أهل نيسابور والحمد لله على ذلك .

ذكر الثعالبة منهم : هؤلاء اتباع ثعلبة بن مشكان (١) والثعالبة تدعى إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد وتزعم أن عبد الكريم بن عجرد كان إماما قبل أن خالفه ثعلبة فى حكم الأطفال فلما اختلفا فى ذلك كفر ابن عجرد وصار ثعلبة اماما . والسبب فى اختلافهما أن رجلا من العجاردة خطب الى ثعلبة بنته فقال له : بين مهرها . فارسل الخاطب امرأة الى أم تلك البنت يسألها هل بلغت البنت فان كانت قد بلغت ووصفت الاسلام على الشرط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها . فقالت أمها : هى مسلمة فى الولاية بلغت أم لم تبلغ فاخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد ، وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الأطفال قبل البلوغ وقال ثعلبة نحن على ولايتهم صغاراً وكباراً إلى أن يبين لنا منهم انكارا للحق فلما اختلفا فى ذلك برىء كل واحد منهما من صاحبه وصار أتباع كل واحد منها فرقاً . وقد ذكرنا فرق العجاردة قبل هذا . وصارت الثعالبة بعد ذلك ست فرق فرقة أقامت على إمامة ثعلبة ولم تقل بامامة أحد بعده ولم يكترثوا لما ظهر فيهم من خلاف الأخنسية والمعبدية .

ذكر المعبدية منهم : والفرقة الثانية منهم معبدية قالت بامامة رجل منهم بعد ثعلبة اسمه معبد خالف جمهور الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد فى اعطائهم منها واكفر من لم يقل بذلك وأكفره سائر الثعالبة فى قوله .

الأخنسية : والفرقة الثالثة منهم الأخنسية اتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس (٢) وكان فى بدء أمره على قول الثعالبة فى موالاة الأطفال ثم خنس من بينهم فقال : يجب علينا أن نتوقف عن جميع من فى دار التقية إلا من عرفنا منه ايمانا فنوليه عليه أو كفراً فنبرئنا منه . وقالوا بتحريم القتل والاغتيال فى السر وان يبدأ أحد من أهل القبلة بقتال حتى يدعى الامن عرفوه بعينه وصار له تبع على هذا القول وبرىء من سائر الثعالبة وبرىء منه سائرهم

الشيبانية : والفرقة الرابعة من الثعالبة شيبانية . هم أتباع شيبان بن سلمة الخارجى (٣) الذى خرج فى أيام أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وأعان أبا مسلم على أعدائه فى حروبه وكان مع ذلك يقول بتشبيه الله سبحانه لخلقه فأكفره سائر الثعالبة مع أهل السنة فى قوله

---

(١) وفى المقريزى ، والشهرستانى : ثعلبة بن عامر .

(٢) هو : أخنس بن قيس . (٣) ساعد أبا مسلم فهجره الخوارج .

بالتشبيه ، وأكفرته الخوارج كلها فى معاونته أبا مسلم (١) والذين أكفروه من الثعالبة يقال لهم زيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمن . والشيبانية يزعمون أن شيبان تاب من ذنوبه وقالت الزيادية إن ذنوبه كان منها مظالم العباد التى لاتسقط بالتوبة . وأنه أعان أبا مسلم على قتاله مع الثعالبة كما أعانه على قتاله مع بنى أمية .

ذكر الرشيدية منهم : والفرقة الخامسة من الثعالبة يقال لها رشيدية نسبوا إلى رجل اسمه رشيد وانفردوا بأن قالوا فيما سقى بالعيون والأنهار الجارية نصف العشر . وإنما يجب العشر الكامل فيما سقته السماء فحسب . وخالفهم زياد بن عبد الرحمن فأوجب فيما سقى بالعيون والأنهار الجارية العشر الكامل .

ذكر المكرمية منهم : والفرقة الثالثة من الثعالبة يقال لهم المكرمية أتباع أبى مكرم (٢) زعموا أن تارك الصلاة كافر لا لأجل ترك الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل . وزعموا أن كل ذى ذنب جاهل بالله والجهل بالله كفر . وقالوا أيضا بالموافاة فى الولاية والعداء . فهذا بيان فرق الثعالبة وبيان أقوالها .

ذكر الإباضية وفرقها : أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن إباض (٣) . وافترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والايمان ، وانهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار . وأجازوا شهادتهم ، وحرموا دماءهم فى السر ، واستحلوها فى العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم وزعموا أنهم فى ذلك محاربون لله ولرسوله لايدينون دين الحق ، وقالوا

---

(١) هو : مؤسس الدولة العباسية قتله المنصور سنة ١٦٨ هـ .

(٢) وفى الشهرستانى : مكرم بن عبد الله العجلى .

(٣) كان خروجه فى عهد مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية . ووهم اللالكائى فى شرح السنة حيث ذكر معاصرته لأبى الهذيل . وإباض بكسر الهمزة كما فى أنساب السمعانى . ويقول أبو الحسين الملطى : عن الإباضية أنهم أصحاب إباض بن عمرو خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا الناس وسبوا الذرية ، وقتلوا الأطفال وكفروا الأمة وأفسدوا فى العباد والبلاد فمنهم اليوم بقايا بسواد الكوفة اه . يعنى فى القرن الرابع فتكون قدوتهم إباضا أبا عبد الله ونسبتهم اليه . ويقول ابن قتيبة : انه من بنى مرة بن عبيد من بنى تميم .

باستحلال بعض أموالهم دون بعض، والذى استحلوه الخيل والسلاح . فاما الذهب والفضة فانهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة . ثم افترقت الإباضية فيما بينهم أربع فرق وهى: الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لايراد الله بها . واليزيدية منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الاسلام فى آخر الزمان وسنذكرهم فى باب فرق الغلاة المنتسبين الى الاسلام بعد هذا . وانما نذكر فى هذا الباب : الحفصية ، والحارثية ، وأصحاب طاعة لايراد الله بها .

ذكر الحفصية منهم : هؤلاء قالوا بإمامة حفص بن أبى المقدام وهو الذى زعم أن بين الشرك والايمان معرفة الله تعالى وحدها فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة، أو نار . او عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات فهو كافر برىء من الشرك . ومن جهل بالله تعالى وانكره فهو مشرك . وتأول هؤلاء فى عثمان بن عفان مثل تأويل الرافضة فى أبى بكر، وعمر . وزعموا أن علياً هو الذى أنزل الله تعالى فيه « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام[١] » . وان عبد الرحمن بن ملجم هو الذى أنزل فيه : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله[٢] » ثم قالوا بعد هذا كله ان الايمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل . فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل . وهذا نقيض قولهم ان الفصل بين الشرك والايمان معرفة الله وحده . وأن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول ، أو جنة ، أو نار فصار قولهم فى هذا الباب متناقضا .

ذكر الحارثية منهم : هؤلاء اتباع حارث بن يزيد الإباضى وهم الذين قالوا فى باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا أيضا أن الاستطاعة قبل الفعل وأكفرهم سائر الإباضية فى ذلك لأن جمهورهم على قول أهل السنة فى أن الله تعالى خالق أعمال العباد . وفى أن الاستطاعة مع الفعل . وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم أمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض وبعده حارث بن يزيد الإباضى

ذكر أصحاب طاعة لايراد الله بها : زعم هؤلاء أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها . كما قال أبو الهذيل واتباعه من القدرية . وقال أصحابنا أن ذلك لا يصح إلا فى طاعة واحدة وهو النظر الأول فان صاحبه اذا استدل به كان مطيعا لله تعالى فى فعله

---

(١) و(٢) سورة البقرة : مدنية ٢٠٤و٢٠٧ .

وإن لم يقصد به التقرب إلى الله تعالى لاستحالة تقربه اليه قبل معرفته فاذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى إلا بعد قصـــده التقرب بها اليه . وزعمت الإباضية كلها أن دور مخالفيهم من أهل ملة دار توحيد إلا معسكر السلطان فانه دار بغي عندهم واختلفوا فى النفاق على ثلاثة أقوال . فقال فريق منهم : إن النفاق براءة من الشرك والايمان جميعاً . واحتجوا بقول الله عز وجل فى المنافقين : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا والله رءوف بالعباد (١) » . وفرقة منهم قالت : لانزيل اسم النفاق عن موضعه ولانسمى بالنفاق غير القوم الذين سماهم الله تعالى منافقين . ومن قال منهم بان المنافق ليس بمشرك زعم أن المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين ، وكانوا أصحاب كبائر فكفروا وان لم يدخلوا فى حد الشرك .

قال عبد القاهر بعد الجملة التى حكيناها عنهم شذوذ من الأقوال انفردوا بها :ـ

منها : أن فريقاً منهم زعموا أن لاحجة لله تعالى على الخلائق فى التوحيد وغيره إلا بالخبر وما يقوم مقام الخبر من إشارة وإيماء .

ومنها: أن قوماً منهم قالوا : كل من دخل فى دين الاسلام وجبت عليه الشرائع والأحكام سمعها أو عرفها أو لم يسمعها ولم يعرفها . وقال سائر الأمة لايأثم بترك مالم يقف عليه منها إلا إن ثبتت عليه الحجة فيه .

ومنها: أن قوماً منهم قالوا : بجواز أن يبعث الله تعالى الى خلقه رسولا بلا دليل يدل على صدقه .

ومنها: أن قوماً منهم قالوا : من ورد عليه الخبر بأن الله تعالى قد حرم الخمر ، أو أن القبلة قد حولت فعليه أن يعلم ان الذى أخبره به مؤمن أو كافر وعليه أن يعلم ذلك بالخبر وليس عليه أن يعلم أن ذلك عليه بالخبر .

ومنها: قول بعضهم : ليس على الناس المشى الى الصلاة ولا الركوب والمسير للحج ، ولاشىء من الأسباب التى يتوصل بها إلى أداء الواجب . وإنما يجب عليهم فعل الطاعات الواجبة بأعيانها دون أسبابها الموصلة إليها .

ومنها: قولهم جميعا بوجوب استتابة مخالفيهم فى تنزيل أو تأويل فان تابوا وإلا قتلوا

---

(١) سورة النساء : مدنية ١٤٣ .

سواء كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله أو فيما لايسع جهله . وقالوا : من زنى أو سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب فان تاب والا قتل . وقالوا : إن العالم يفنى كله إذا أفنى الله أهل التكليف ولايجوز إلا ذلك لأنه إنما خلقه لهم . وأجازت الإباضية وقوع حكمين مختلفين فى شىء واحد من وجهين . كمن دخل زرعا بغير اذن مالكه فان الله قد نهاه عن الخروج منه اذا كان خروجه منه مفسداً للزرع وقد أمره به . وقالوا : لايتبع المدبر فى الحرب إذا كان من أهل القبلة وكان موحداً ولا نقتل منهم امرأة ولاذرية ، وأباحوا قتل المشبهة ، واتباع مدبرهم وسبى نسائهم وذراريهم وقالوا : إن هذا كما فعله أبو بكر بأهل الردة .

وقد كان من الإباضية رجل يعرف بابراهيم دعا قوماً من أهل مذهبه إلى داره وأمر جارية له كانت على مذهبه بشىء فابطأت عليه فحلف ليبيعنها فى الأعراب . فقال له رجل منهم اسمه ميمون[١] وليس هو صاحب الميمونية من العجاردة : كيف تبيع جارية مؤمنة إلى الكفرة ؟. فقال له ابراهيم : إن الله تعالى قد أحل البيع وقد مضى أصحابنا وهم يستحلون ذلك . فتبرأ منهم ميمون وتوقف آخرون منهم فى ذلك وكتبوا بذلك إلى علمائهم فأجابوهم بأن بيعها حلال وبأنه يستتاب ميمون ، ويستتاب من توقف فى ابراهيم فصاروا فى هذا ثلاث فرق : ابراهيمية ، وميمونية ، وواقفة . وتبع ابراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم فى دار التقية . فأما فى دار حكمهم فلايستحلون ذلك . وقوم منهم : توقفوا فى هذه المسلمة وفى أمر الزوجة . وقالوا : إن ماتت لم نصل عليها ولم نأخذ ميراثها لأنا لاندرى ماحالها . وتبع بعد هؤلاء الابراهيمية قوم يقال لهم البيهسية أصحاب أبى بيهس هيصم بن عامر[٢] . قالوا ، إن ميموناً كفر بأن حرم بيع الأمة فى دار التقية من كفار قومنا وكفرت الواقفة بان لم يعرفوا كفر ميمون ، وصواب ابراهيم ، وكفر ابراهيم بان لم يتبرأ من الواقفة . قالوا : وذلك ان الوقوف ليس فيما يسع الأبدان وانما الوقوف على الحكم بعينه مالم يوافقه أحد فاذا وافقه أحد من المسلمين لم يسع من حظر ذلك إلا أن يعرف من عرف الحق ودان به ، ومن أظهر الباطل ودان به . ثم إن البيهسية قالت ان من واقع ذنباً لم نشهد عليه بالكفر

---

(١) هو : ابن عمران كما فى شرح المواقف ، والمقريزى ، وفى الشهرستانى : ابن خالد .
(٢) كان فى زمن الحجاج وقتل فى المدينة .

حتى يرفع إلى الوالى ويحد ولا نسميه قبل الرفع إلى الوالى مؤمناً ولا كافراً . وقال بعض البيهسية فاذا كفر الإمام كفرت الرعية . وقال بعضهم : كل شراب حلال الأصل موضوع عمن سكر منه كل ما كان منه فى السكر من ترك الصلاة ، والشتم لله عز وجل وليس فيه حد ولا كفر مادام فى سكره .

وقال قوم من البيهسية يقال لهم العوفية : السكر كفر إذا كان معه غيره من ترك الصلاة ونحوه . وافترقت العوفية من البيهسية فرقتين . فرقة قالت : من رجع عنا من دار هجرته ومن الجهاد الى حال القعود برئنا منه . وفرقة قالت : بل نتولاه لأنه رجع إلى أمر كان مباحاً له قبل هجرته الينا . وكلا الفريقين قال : إذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد . وللإباضية والبيهسية بعد هذا مذاهب قد ذكرناها فى كتاب «الملل والنحل»(١) وفيما ذكرنا منه فى هذا الكتاب كفاية .

ذكر الشبيبية منهم : هؤلاء يعرفون بالشبيبية لانتسابهم إلى شبيب بن يزيد الشيبانى(٢) المكنى بأبى الصحارى ويعرفون بالصالحية أيضا لانتسابهم الى صالح بن مسرح الخارجى(٣) وكان شبيب بن يزيد الخارجى من أصحاب صالح ثم تولى الأمر بعده على جنده وكان السبب فى ذلك أن صالح بن مسرح التميمى كان مخالفا للأزارقة ، وقد قال أنه كان صفريا وقيل انه لم يكن صفرياً ، ولا أزرقيا وكان خروجه على بشر بن مروان فى أيام ولايته على العراق من جهة أخيه عبدالملك بن مروان وبعث بشر اليه بالحارث بن عمير . وذكر المدائنى أن خروج صالح كان على الحجاج بن يوسف ، وأن الحجاج بعث بالحارث بن عمير الى قتاله وأن القتال وقع بين الفريقين على باب حصن جلولاء . وانهزم صالح جريحا فلما أشرف على الموت قال لأصحابه : قد استخلفت عليكم شبيبا . وأعلم أن فيكم من هو أفقه منه ولكنه رجل شجاع مهيب فى عدوكم فليعنه الفقيه منكم بفقهه . ثم مات وبايع اتباعه شبيبا إلى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو : أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم اذا قامت بأمورهم وخرجت

---

(١) فى مكتبة الأوقاف ببغداد ، وكان فى مكتبة عاشر فى الآستانه .

(٢) هو : من قواد صالح بن مسرح واليه تنسب الشبيبية من الخوارج مات غريقا سنة ٧٧ هـ .

(٣) هو : من متقشفى الصفرية بالموصل قتله الحارث بن عميرة أحد قواد الحجاج سنة ٧٦ هـ وخلفه شبيب .

على مخالفيهم وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت الامام بعد قتل شبيب إلى أن قتلت واستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت . وذكر أصحاب التواريخ أن شبيبا فى ابتداء أمره قصد الشام ونزل على روح بن زنباع [1] وقال له :سل أمير المؤمنين أن يفرض لى فى أهل الشرف فان لى فى بنى شيبان تبعا كثيراً . فسأل روح ابن زنباع عبد الملك بن مروان ذلك . فقال : هذا رجل لا أعرفه وأخشى أن يكون حرورياً : فذكر روح لشبيب أن عبد الملك بن مروان ذكر أنه لايعرفه . فقال: سيعرفنى بعد هذا . ورجع الى بنى شيبان وجمع من الخوارج الصالحية مقدار الف رجل واستولى بهم على مابين كسكر والمدائن . فبعث الحجاج اليه بعبيد بن أبى المخارق المتنبىء فى الف فارس فهزمه شبيب . فوجه اليه بعبد الرحمن بن محمد الأشعث فهزمه شبيب . وبعث بعتاب ابن ورقاء التيمى فقتله شبيب . ومازال كذلك حتى هزم للحجاج عشرين جيشا فى مدة سنتين ثم إنه كبس الكوفة ليلا ومعه الف من الخوارج ومعه أمه غزالة ، وامرأته جهيزة فى مائتين من نساء الخوارج قد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف . فلما كبس الكوفة ليلا قصد المسجد الجامع وقتل حراس المسجد والمعتكفين فيه ونصب أمه غزالة على المنبر حتى خطبت وقال خزيمة بن فاتك الأسدى [2] فى ذلك : —

أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا
سمت للعراقين فى جيشها فلاقى العراقان منها أطيطا

وصبر الحجاج لهم فى داره لأن جيشه كانوا متفرقين إلى أن اجتمع جنده اليه بعد الصبح وصلى شبيب بأصحابه فى المسجد وقرأ فى ركعتى الصبح سورتى البقرة وآل عمران ثم وافاه الحجاج فى أربعة آلاف من جنده واقتتل الفريقان فى سوق الكوفة إلى أن قتل أصحاب شبيب وانهزم شبيب فيمن بقى معه الى الأنبار فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبى فى ثلاثة آلاف لطلب شبيب فنزل سفيان على شط الدجيل وركب شبيب جسر الدجيل ليعبر اليه وأمر سفيان أصحابه بقطع حبال الجسر فاستدار الجسر وغرق شبيب مع فرسه . وهو يقول : « ذلك تقدير العزيز العليم [3] » وبايع أصحاب شبيب فى الجانب الآخر من الدجيل غزالة أم شبيب وعقد سفيان بن الابرد الجسر وعبر مع جنده إلى

---

(١) هو : أمير فلسطين ، كان ذا منزلة عند الملك بن مروان توفى سنة ٨٤ هـ .
(٢) من رجال الأغانى . (٣) سورة ياسين : مكية ٣٨

أولئك الخوارج وقتل أكثرهم وقتل غزالة أم شبيب وامرأته جهيزة وأسر الباقين من أتباع شبيب وأمر الغواصين باخراج شبيب من الماء وأخذ رأسه وأنفذه مع الأسرى الى الحجاج فلما وقف الأسرى بين يدى الحجاج أمر بقتل رجل منهم قال له اسمع منى بيتين أختم بهما عملى ثم أنشأ يقول : —

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ومن على ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغى وشيعته لابارك الله فى القوم الملاعين

فأمر بقتله وبقتل جماعة منهم وأطلق الباقين .

قال عبدالقاهر : يقال للشبيبية من الخوارج : أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها الى البصرة مع جندها الذى كل واحد منهم محرم لها لأنها أم جميع المؤمنين فى القرآن وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى « وقرن فى بيوتكن (١) » فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة أم شبيب وهلاقلتم بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج الى قتال جيوش الحجاج ، فان أجزتم لهن ذلك لأنه كان معهن أزواجهن أو بنوهن ، أو إخوتهن فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمن، وابن اختها عبد الله بن الزبير وكل واحد منهم محرم لها . وجميع المسلمين بنوها وكل واحد محرم لها فهلا أجزتم لها ذلك . على أن من أجاز منكم إمامة غزالة فامامتها لائقة به وبدينه والحمد لله على العصمة من البدعة .

الفصل الثالث

من فصول هذا الباب :

فى بيان مقالات فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق :

قد ذكرنا قبل هذا أن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن: الواصلية ، والعمروية . والهذلية، والنظامية والأسوارية ، والمعمرية، والإسكافية، والجعفرية ، والبشرية ، والمردارية ، والهشامية ، والثمامية ، والجاحظية ، والحابطية ، والحمارية ، والخياطية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والشحامية، والكعبية ، والجبائية والبهشمية المنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى فهذه ثنتان وعشرون فرقة . فرقتان منها : من جملة فرق الغلاة فى الكفر . نذكرهما فى الباب الذى نذكر فيه فرق الغلاة وهما : الحابطية ، والحمارية . وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها فى بدعتها أمور : —

---

(١) سورة الأحزاب : مدنية ٣٣ .

منها : نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته (١) الأزلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم ان الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسم ولاصفة . ومنها : قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار وزعموا أنه لايرى نفسه ولا يراه غيره واختلفوا فيه هل هو راء لغيره أم لا فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم .

ومنها : اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل وحدوث أمره ونهيه وخبره .وكلهم يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث وأكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقا . ومنها : قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وانه ليس لله عز وجل فى أكسابهم ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير . ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية .

ومنها : اتفاقهم على دعواهم فى الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى أنه فاسق لامؤمن ولا كافر ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها .

ومنها : قولهم أن كل مالم يأمر الله تعالى به أونهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئا منها . وزعم الكعبى فى مقالاته أن المعتزلة اجتمعت على أن الله عز وجل شيء لا كالأشياء ، وانه خالق الأجسام والأعراض ، وأنه خلق كل ماخلقه لامن شيء وعلى أن العباد يفعلون أعمالهم بالقدرة التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم . قال : وأجمعوا على أنه لايغفر لمرتكبي الكبائر بلا توبة وفى هـذا الفصل من كلام الكعبي غلط منه على أصحابه من وجوه .

منها : قوله أن المعتزلة اجتمعت على أن الله تعالى شيء لا كالأشياء وليست هـذه الخاصية لله تعالى وحده عند جميع المعتزلة فان الجبائى وابنه أبا هاشم قد قالا : إن كل قدرة

---

(١) : والقول الفصل فى هذا وروداطلاق المشتقات عليه تعالى . ولا يعقل ذلك بدون ثبوت مبدأ الاشتقاق له سبحانه وانكار اطلاق الأسماء الحسنى عليه تعالى يكون كفراً لكن لا يوجد من ينكر ذلك بين فرق المسلمين سوى جهم . ومبدأ الاشتقاق أمر نسبي لا يوجد من ينفيه . ولذا قال القاضى عضد الدين فى المواقف : (لاثبت فى غير الاضافة) وهذا حد من نزاع القوم . قال بعض الباحثين: ان المؤلف جارى فى ذلك ، فضيحة المعتزلة ، للراوندى كما يظهر من انتصار الخياط

محدثة شيء لا كالأشياء ولم يخصوا ربهم بهذا المدح .

ومنها: حكايته عن جميع المعتزلة قولها : بان الله عز وجل خالق الأجسام والأعراض وقد علم أن الأصم من المعتزلة ينفي الأعراض كلها وأن المعروف منهم بمعمر يزعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض ، وأن ثمامة يزعم أن الأعراض المتولدة لافاعل لها فكيف يصح دعواه إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه خالق الأجسام والأعراض وفيهم من ينكر وجود الأعراض وفيهم من يثبت الأعراض ويزعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا منها . وفيهم من يزعم أن المتولدات أعراض لافاعل لها والكعبي مع سائر المعتزلة زعموا أن الله تعالى لم يخلق أعمال العباد وهي أعراض عند من أثبت الأعراض . فبان غلط الكعبي في هذا الفصل على أصحابه .

ومنها : دعوى إجماع المعتزلة على أن الله خلق ماخلق لامن شيء وكيف يصح اجماعهم على ذلك . والكعبي مع سائر المعتزلة سوى الصالحي يزعمون ان الحوادث كلها كانت قبل حدوثها أشياء . والبصريون منهم يزعمون أن الجواهر والأعراض كانت في حال عدمها جواهر وأعراضا وأشياء . والواجب على هذا الفصل أن يكون الله خلق الشيء من شيء ، وإنما يصح القول بأنه خلق الشيء لامن شيء على أصول أصحابنا الصفاتية الذين أنكروا كون المعدوم شيئاً . وأما دعوى إجماع المعتزلة على أن العباد يفعلون(١) أفاعيلهم بالقدرة التي خلقها الله تعالى فيهم فغلط منه عليهم لأن معمراً منهم زعم : أن القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى. والأصم منهم ينفي وجود القدرة لأنه ينفي الأعراض كلها . وكذلك دعوى إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه لايغفر لمرتكبي الكبائر من غير توبة منهم غلط منه عليهم . لأن محمد بن شبيب البصري ، والصالحي ، والخالدي هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة . وهم واقفية في وعيد مرتكبي الكبائر ، وقد أجازوا من الله

(١) وأول من ابتدع نسبة الخلق الى المخلوق هو الجبائي من بين المعتزلة . وتشغيباته في ذلك معروفة . وقال المسعودي في بيان مذهبهم في افعال العباد : ان الله تعالى لم يكلفهم مالا يطيقونه ولا أراد منهم مالا يقدرون عليه . وان أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التي أعطاهم إياها وهو المالك لها دونهم يفنيها إذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراريا عن معصيته ولكان على ذلك قادراً غير أنه لا يفعل إذ كان في ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى اهـ

تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة فبان بما ذكرناه غلط الكعبي فيما حكاه عن المعتزلة وصح أن المعتزلة يجمعها ماحكيناه عنهم مما أجمعوا عليه . فأما الذين اختلفوا فيه فيما بينهم فعلى ما نذكره فى تفصيل فرقهم إن شاء الله عز وجل

ذكر الواصلية منهم : هؤلاء أتباع واصل بن عطاء الغزال(١) رأس المعتزلة وداعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهنى(٢)، وغيلان الدمشقى . وكان واصل من منتابى مجلس الحسن البصرى فى زمان فتنة الأزارقة وكان الناس يومئذ مختلفين فى أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق . فرقة تزعم : أن كل مرتكب للذنب صغير أو كبير مشرك بالله . وكان هذا قول الأزارقة من الخوارج . وزعم هؤلاء أن أطفال المشركين مشركون ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفيهم وقتل نسائهم سواء كانوا من أمة الاسلام أو من غيرهم . وكانت الصفرية من الخوارج يقولون فى مرتكبي الذنوب بأنهم كفرة مشركون كما قالته الأزارقة غير أنهم خالفوا الأزارقة فى الأطفال . وزعمت النجدات من الخوارج أن صاحب الذنب الذى أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك ، وصاحب الذنب الذى اختلفت الأمة فيه حكم على اجتهاد أهل الفقه فيه وعذروا مرتكب مالايعلم بجهالة تحريمه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه . وكانت الإباضية من الخوارج يقولون : إن مرتكب مافيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة ، وليس بكافر كفر شرك . وزعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق . والمنافق شر من الكافر المظهر لكفره . وكان علماء التابعين فى ذلك العصر مع أكثر الامة يقولون : إن صاحب الكبيرة من أمة الاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن كل ماجاء من عند الله حق ولكنه فاسق بكبيرته وفسقه لاينفى عنه اسم الايمان والإسلام ، وعلى هذا القول الخامس مضى سلف الامة من الصحابة وأعلام

---

(١) له ترجمة واسعة عند ابن خلكان . أخذ عن أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . والحسن البصرى ومنه انتشر الاعتزال بالبصرة بانضمام عمرو بن عبيد اليه وقيل بالعكس توفى سنة ١٣١هـ. (٢) قال اللالكائى فى شرح السنة :أخبرنا عبدالله بن عبيد . ثنا :احمد بن سليمان ثنا: جعفر بن محمد و محمد بن اسماعيل قالا: ثنا: صفوان بن صالح. ثنا : عمرو بن شعيب قال : سمعت الأوزاعي يقول : ان أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد

التابعين . فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز واختلف الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التى ذكرناها خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان . فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هذه التى خالف بها اقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة وانضم اليه قرينه فى الضلالة عمرو بن عبيد بن باب كعبد صريخه أمه فقال الناس يومئذ فيهما أنهما قد اعتزلا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ معتزله [1] . ثم إنهما أظهرا بدعتهما فى المنزلة بين المنزلتين وضما اليها دعوة الناس إلى قول القدرية على رأى معبد الجهنى . فقال الناس يومئذ لواصل إنه مع كفره قدري وجرى المثل بذلك فى كل كافر قدرى . ثم ان واصلا وعمراً وافقا الخوارج فى تأبيد عقاب صاحب الكبيرة فى النار مع قولهما بأنه موحداً وليس بمشرك ولا كافر . ولهذا قيل للمعتزلة انهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود فى النار سموهم كفرة وحاربوهم . والمعتزلة رأت لهم الخلود فى النار ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلاعن قتال جمهور مخالفيهم ولهذا نسب اسحاق بن سويد العدوى واصلا ، وعمرو بن عبيد الى الخوارج لاتفاقهم على تأبيد عقاب أصحاب الذنوب فقال فى بعض قصائده : —

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا علياً   يردون السلام على السحاب

ثم أن واصلا فارق السلف ببدعة ثالثة . وذلك أنه وجد أهل عصره مختلفين فى على وأصحابه ، وفى طلحة ، والزبير ، وعائشة ، وسائر أصحاب الجمل . فزعمت الخوارج أن

---

(١) روى المقريزى فى تسميتهم بهذا أقوالا منها : قول الحسن (هؤلاء اعتزلوا) ومنها : ان قتادة هو الذى سماهم معتزلة بعد وفاة الحسن وهذا خلاف مافى ابن خلكان. ومنها : قول ابن منبه (اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة) ومثله فى انساب السمعانى . وذكر المسعودى ان تسميتهم معتزلة لقولهم باعتزال الفاسق عن منزلتى المؤمن والكافر اه. وفى نشأة المعتزلة يقول أبو الحسين الملطى فى رد الأهواء والبدع ــ وهو أقدم مصدر يبين وجه التلقيب باسم المعتزلة ــ : (وهم سموا انفسهم معتزلة وذلك عند ما بايع الحسن بن على معاوية وسلم اليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ــ وكانوا من أصحاب على ــ ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة)

طلحة ، والزبير ، وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم علياً وأن علياً كان على الحق فى قتال أصحاب الجمل وفى قتال أصحاب معاوية بصفين إلى وقت التحكيم ثم كفر بالتحكيم وكان أهل السنة والجماعة يقولون بصحة إسلام الفريقين فى حرب الجمل. وقالوا إن علياً كان على الحق فى قتالهم .وأصحاب الجمل كانوا عصاة مخطئين فى قتال على ولم يكن خطؤهم كفرا ولافسقاً يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين وخرج واصل عن قول الفريقين وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم وأنه لايعرف الفسقة منهما وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين علياً وأتباعه كالحسن، والحسين، وابن عباس، وعمار[1] بن ياسر . وأبى أيوب الأنصارى وسائر من كان مع على يوم الجمل وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائشة، وطلحة، والزبير، وسائر أصحاب الجمل ثم قال فى تحقق شكه فى الفريقين لو شهد على وطلحة أو على والزبير أو رجل من أصحاب على ورجل من أصحاب الجمل عندى على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمى بأن أحدهما فاسق لابعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمى بأن أحدهما فاسق لابعينه . ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان قبلت شهادتهما .

ولقد سخنت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة فى عدالة على وأتباعه ومقالة واصل فى الجملة كما قلنا فى بعض أشعارنا : —

مقالة ماوصلت بواصل　　بل قطع الله به أوصالها

وسنذكر تمام أبيات هذه القصيدة بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

ذكر العمروية منهم : هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم وكان جده من سبى كابل وما ظهرت البدع والضلالات فى الأديان إلا من أبناء السبايا كما روى[2] فى الخبر وقد شارك عمرو واصلا فى بدعة القدر وفى ضلالة قولها بالمنزلة بين المنزلتين وفى ردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب على . وزاد عمرو على واصل فى هذه البدعة فقال : بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل . وذلك أن واصلا إنما رد شهادة رجلين أحدهما : من أصحاب الجمل ، والآخر من أصحاب على رضى الله عنه وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين . وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد لأنه قال بفسق الفريقين جميعاً . وقد افترقت القدرية بعد واصل . وعمرو فى

(١) صحابى جليل قتلته الفئة الباغية يوم صفين سنة ٣٧ ﻫ رضى الله عنه
(٢) أشار بصيغة التمريض الى ضعف الرواية — راجع : تأنيب الخطيب

هذه المسألة . فقال النظام ، ومعمر ، والجاحظ فى فريق يوم الجمل بقول واصل . وقال حوشب وهاشم الأوقص: نجت القادة وهلكت الأتباع . وقال أهل السنة والجماعة بتصويب على وأتباعه يوم الجمل وقالوا : إن الزبير رجع عن القتال يومئذ تائبا فلما بلغ وادى السباع قتله بها عمرو بن جرموز غرة وبشر على قاتله بالنار . وهم طلحة بالرجوع فرماه مروان ابن الحكم - وكان مع أصحاب الجمل - بسهم فقتله . وعائشة رضى الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو أزد ، وبنو ضبة على أمرها حتى كان من الأمر ما كان . ومن قال بتكفير الفريقين أو أحدهما فهو الكافر دونهم . هذا قول أهل السنة فيهم والحمد لله على ذلك .

ذكر الهذلية منهم : هؤلاء اتباع أبى الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف [1] . كان مولى لعبد القيس وقد جرى على منهاج أبناء السبايا لظهور أكثر البدع منهم . وفضائحه تترى تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم . وللمعروف بالمردار من المعتزلة كتاب كبير فيه فضائح أبى الهذيل وفى تكفيره بما انفرد به من ضلالاته . وللجبائى أيضاً كتاب فى الرد على أبى الهذيل فى المخلوق ويكفره فيه . ولجعفر بن حرب المشهور فى زعماء المعتزلة أيضا كتاب سماه توبيخ أبى الهذيل وأشار بتكفير أبى الهذيل وذكر فيه أن قوله يجر الى قول الدهرية .

فمن فضائح أبى الهذيل قوله : بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فنا مقدوراته قادرا على شىء . ولأجل هذا زعم نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شىء . ولا يقدر الله عز وجل فى تلك الحال على احياء ميت ، ولا على اماتة حى ، ولا على تحريك ساكن ، ولا على تسكين متحرك ، ولا على احداث شى ، ولا على افناء شىء مع صحة عقول الاحياء فى ذلك الوقت . وقوله فى هذا الباب شر من قول من قال بفناء الجنة والنار كما ذهب اليـــه جهم . لأن جهما وإن قال بفنائهما فقد قال بان الله عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما . وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقـــدوراته على شىء . وقد شنع المعروف منهم بالمردار على أبى الهذيل فى هـــذه

---

(١) قال المسعودى : توفى سنة ٢٢٧ هـ وفى عيون التواريخ أنه توفى سنة ٢٣٥ هـ عن مائة سنة بعد وفاة النظام بنحو خمس سنين . ويحاول أبو الحسين الخياط تبرئته من كثير مما يرميه به الراوندى فى « فضيحة المعتزلة » ويقول أبو الحسين الملطى : وأبو الهذيل هذا لم يدرك فى أهل الجدل مثله .

المسألة فقال : يلزمه اذا كان ولى الله عز وجل فى الجنة قد تناول باحدى يديه الكأس وبالأخرى بعض التحف ثم حضر وقت السكون الدائم أن يبقى ولى لله عز وجل أبداً على هيئة المصلوب . وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن أبى الهذيل فى هذا الباب باعتذارين .

أحدهما : دعواه أن أبا الهذيل أشار إلى أن الله عز وجل عند قرب انتهاء مقدوراته يجمع فى أهل الجنة اللذات كلها فيبقون على ذلك فى سكون دائم . واعتذاره الثانى : دعواه أن أبا الهذيل أنه كان يقول هذا القول مجادلا به خصومه فى البحث عن جوابه ، واعتذاره الأول عنه باطل من وجهين :

احدهما : أنه يوجب اجتماع لذتين متضادتين فى محل واحد فى وقت واحد وذلك محال كاستحالة اجتماع لذة وألم فى محل واحد .

والوجه الثانى : أن هذا الاعتذار لو صح لوجب أن يكون أهل الجنة بعد فناء مقدورات الله عز وجل أحسن من حالهم فى حال كونه قادراً . وأما دعواه أن أبا الهذيل إنما قال بفناء المقدورات مجادلا به غير معتقد لذلك فالفاصل بيننا وبين المعتذر عنه كتب أبو الهذيل وأشار فى كتابه الذى سماه «بالحجج» إلى ماحكيناه عنه . وذكر فى كتابه المعروف بكتاب « القوالب » باباً فى الرد على الدهرية وذكر فيه قولهم للموحدين : اذا جاز أن يكون بعد كل حركة حركة سواها لا إلى آخر ، وبعد كل حادث حادث آخر لا إلى غاية فهلا صح قول من زعم أن لاحركة إلا وقبلها حركة ، ولاحادث إلا وقبله حادث لاعن أول ولاحالة قبله . وأجاب عن هذا الإلزام بتسويته بينهما وقال : كما أن الحوادث لها ابتداء لم يكن قبلها حادث كذلك لها آخر لايكون بعده حادث . ولأجل هذا قال بفناء مقدورات الله عز وجل . وسائر المتكلمين من أصناف فرق الاسلام فرقوا بين الحوادث الماضية والحوادث المستقبلة بفروق واضحة لم يهتد إليها أبو الهذيل فارتكب لأجل جهله بها قوله بفناء المقدورات وقد ذكرنا تلك الفروق الواضحة فى باب الدلالة على حدوث العالم فى كتبنا المؤلفة فى ذلك .

والفضيحة الثانية : من فضائح أبى الهذيل قوله بأن أهل الآخرة مضطرون إلى مايكون منهم ، وأن أهل الجنة مضطرون إلى أكلهم ، وشربهم ، وجماعهم . وأن أهل النار مضطرون إلى أقوالهم وليس لأحد فى الآخرة من الخلق قدرة على اكتساب فعل . ولا على اكتساب قول . والله عز وجل خالق أقوالهم وحركاتهم وسائر مايوصفون به . وكانت القدرية يعيبون جهما فى قوله : إن العباد فى الدنيا مضطرون إلى مايكون منهم ، وينكرون على أصحابنا

قولهم بأن الله عز وجل خالق اكساب العباد ويقولون لأصحابنا : إذا كان هو خالق ظلم العباد وجب أن يكون ظالما ، واذا خلق كذب الانسان وجب أن يكون كاذبا. فهلا قالوا لأبى الهذيل . إذا قلت أن الله عز وجل يخلق فى الآخرة كذب أهل النار فى قولهم : « والله ربنا ما كنا مشركين (١) » . وجب أن يكون هو الكاذب بهذا القول إن كان الكاذب عندهم من خلق الكذب . ولا يتوجه علينا هذا الالزام لأنا لا نقول أن الكاذب والظالم من خلق الكذب والظلم . ولكنا نقول: أن الظالم من قام به الظلم، والكاذب من قام به الكذب لا من فعله . وقد اعتذر الخياط عن أبى الهذيل فى بدعته هذه بأن قال : إن الآخرة دار جزاء وليست بدار تكليف فلو كان أهل الآخرة مكتسبين لاعمالهم لكانوا مكلفين ولوقع ثوابهم وعقابهم فى دار سواها . فيقال للخياط هل ترضى بهذا الاعتذار من أبى الهذيل ام تسخطه ؟ فان رضيته فقل فيه بمثل قوله وذلك خلاف قولك ، وإن سخطته فلا معنى لاعتذارك عنه فى شىء تكفره فيه وقلنا لأبى الهذيل : ماتنكر من كون اهل الآخرة مكتسبين لأعمالهم وان يكونوا فيها مأمورين للشكر لله عز وجل على نعمه ولا يكونوا مأمورين بصلاة، ولا زكاة، ولا صيام ولا يكونوا منهيين عن المعاصى ويكون ثوابهم على الشكر وترك المعصية دوام النعيم عليهم وما أنكرت عليهم من انهم يكونون فى الآخرة منهيين عن المعاصى ومعصومين منها كما قال اصحابنا مع أكثر الشيعة . ان الأنبياء عليهم السلام كانوا فى الدنيا منهيين عن المعاصى ومعصومين عنها ، وكذلك الملائكة منهيون عن المعاصى ومعصومون عنها . ولذلك قال الله عز وجل فيهم : « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون (٢) » .

والفضيحة الثالثة من فضائحه : قوله بطاعات كثيرة لا يراد الله عز وجل بها كما ذهب اليه قوم من الخوارج الإباضية . وقد زعم ان ليس فى الأرض صاحب هوى ولا زنديق إلا وهو مطيع لله تعـــالى فى اشياء كثيرة وان عصاه من جهة كفره . وقال اهل السنة والجماعة : إن الطاعة لله عز وجل ممن لا يعرفه إنما تصح فى شىء واحد وهو النظر والاستدلال الواجب عليه قبل وصوله إلى معرفة الله تعالى فان يفعل ذلك يكن مطيعا لله تعالى لأنه قد أمره به . وإن لم يكن قصد بفعله لذلك النظر الأول التقرب به إلى الله عز وجل . ولا تصح منه طاعة لله تعـــالى سواها إلا إذا قصد بها التقرب اليه لأنه يمكنه ذلك إذا توصل

---

(١) سورة الأنعام : مكية ٢٣ . (٢) سورة التحريم : مدنية ٦

بالنظر الأول إلى معرفة الله تعالى ولا يمكنه قبل النظر الأول التقرب به اليه إذا لم يكن عارفاً به قبل نظره واستدلاله . واستدل أبو الهذيل على دعواه صحة وقوع طاعات الله تعالى ممن لا يعرفه بأن قال : إن أوامر الله تعالى بازائها زواجر . فلو كان من لا يعرفه فعل ترك جميع أوامره وجب أن يكون قد صار إلى جميع زواجره وأن يكون من ترك جميع الطاعات قد صار إلى جميع المعاصي . ولو كان كذلك لصار الدهري يهوديا ، ونصرانياً ومجوسياً وعلى أديان سائر الكفرة . وإذا صار المجوسي تاركا لكل كفر سوى المجوسية علمنا أنه عاص بمجوسيته التي قد نهي عنها ومطيع لله عز وجل بترك ما تركه من أنواع الكفر لأنه مأمور بتركها . فقلت له ليس الأمر في أوامر الله تعالى وزواجره على ماظننته ولكن لاخصلة من الطاعة إلا ويضادها معاص متضادة ولاخصلة من الايمان الا ويضادها خصال متضادة كل نوع منها يضاد النوع الآخر كما يضادها الطاعة وذلك بمنزلة القيام ، والقعود ، والاضطجاع ، والاستلقاء . وقد يخرج عن القعود من لا يصير إلى جميع أضداده وإنما يخرج من القعود بنوع واحد من أضداده كذلك يخرج عن كل طاعة لله تعالى بنوع واحد من الكفر المضاد للطاعات كلها . لأن ذلك النوع من الكفر يضاد نوعا آخر من الكفر كما يضاد سائر الطاعات وهذا واضح في نفسه وإن جهله أبو الهذيل .

والفضيحة الرابعة من فضائحه : قوله بأن علم الله سبحانه وتعالى هو الله ، وقدرته هي هو ويلزمه على هذا القول أن يكون الله تعالى علماً وقدرة . ولو كان هو علماً وقدرة لاستحال أن يكون عالما قادراً . لأن العلم لا يكون عالما ، والقدرة لا تكون قادرة . ويلزمه أيضا إذا قال ان علم الله هو الله ، وقدرته هي هو أن يقول : إن علمه هو قدرته ولو كان علمه قدرته لوجب أن يكون كل معلوم له مقدوراً له . وهذا يوجب أن يكون رأيه مقدوراً له . لأنه معلوم له وهذا كفر فما يؤدي اليه مثله .

والفضيحة الخامسة : تقسيمه كلام الله عز وجل إلى مايحتاج إلى محل وإلى مالايحتاج الى محل . وقد زعم أن قول الله سبحانه للشيء كن حادث لافي محل ، وسائر كلامه حادث في جسم من الاجسام وكل كلامه عنده أعراض . وقد زعم أن قوله للشيء كن من جنس قول الانسان كن ففرق بين عرضين من جنس واحد في حاجة أحدهما الى محل واستغناء الآخر عن المحل . فأما قوله بحدوث إرادة الله سبحانه لافي محل فقد شاركه فيه المعتزلة البصرية مع قولهم بأنهـــا من جنس إرادتنا المفتقرة الى المحل ووجود كلمة لا في محل يوجب أن لا يكون بعض المتكلمين أولى بأن يتكلم بها من بعض . وليس لأبي

الهذيل أن يقول إن فاعلها أولى بأن يتكلم بها من غيره لأنه قد قال بأن الله تعالى يخلق فى الآخرة كلام أهل الجنة وكلام أهل النار ولا يكون متكلما بكلامهم فقد أداه قوله بوجود كلمة لافى محل إلى تصحيح كلام لا لمتكلم وهذا محال فما يؤدى اليه مثله .

والفضيحة السادسة من فضائحه : قوله إن الحجة من طريق الاخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها لاتثبت بأقل من عشرين نفسا فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقة حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذين لايمكن تواطؤهم على الكذب إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة . وزعم أن خبر مادون الأربعة لايوجب حكما ومن فوق الأربعة الى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لايقع العلم بخبرهم . وخبر العشرين اذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لامحالة . واستدل على أن العشرين حجة بقول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين (١) » ، وقال : لم يبح لهم قتالهم إلا وهم عليهم حجة . وهذا يوجب عليه أن يكون خبر الواحد حجة موجبة للعلم لأن الواحد فى ذلك الوقت كان له قتال العشرة من المشركين فيكون جواز قتاله لهم دليلا على كونه حجة عليهم .

قال عبد القاهر : ماأراد أبو الهذيل باعتبار عشرين فى الحجة من جهة الخبر اذا كان فيهم واحد من أهل الجنة الا تعطيل الأخبار الواردة فى الأحكام الشرعية عن فوائدها لأنه أراد بقوله ينبغى أن يكون فيهم واحد من أهل الجنة واحد يكون على بدعته فى الاعتزال والقدر وفى فناء مقدورات الله عز وجل لأن من لم يقل بذلك لايكون عنده مؤمنا ولا من أهل الجنة . ولم يقل قبل أبى الهذيل أحد ببدعة أبى الهذيل حتى تكون روايته فى جملة العشرين على شرطه .

الفضيحة السابعة : انه فرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال : لايجوز وجود أفعال القلوب من الفاعل مع قدرته عليه ولا مع موته وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منا بعد موته وبعد عدم قدرته إن كان حيا لم يمت وزعم أن الميت والعاجز يجوز أن يكونا فاعلين لأفعال الجوارح بالقدرة التى كانت موجودة قبل الموت والعجز . وزعم الجبائى وابنه أبو هاشم أن افعال القلوب فى هذا الباب كأفعال الجوارح فى أنه يصح وجودها بعد فناء القدرة عليها ومع وجود العجز عنها . وقول الجبائى وابنه فى هذا الباب

---

(١) سورة الانفال: مدنية ٦٥

أشر من قول أبي الهذيل غير أن أبا الهذيل سبق الى القول باجازة كون الميت والعاجز فاعلين لأفعال الجوارح . ونسج الجبائي وابنه على منواله في هذه البدعة وقاسا عليه إجازة كون العاجز فاعلا لأفعال القلب، ومؤسس البدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير نقصان يدخل في وزن العاملين بها .

الفضيحة الثامنة من فضائحه : انه لما وقف على اختلاف الناس في المعارف هل هي ضرورية أم اكتسابية ترك قول من زعم أنها كلها ضرورية وقول من زعم أنها كلها كسبية وقول من قال إن المعلوم منها بالحواس والبداهة ضرورية ، وما علم منها بالاستدلال اكتسابية . واختار لنفسه قولا خارجا عن أقوال السلف فقال : المعارف ضربان : —

أحدهما : باضطرار وهو معرفة الله عز وجل ومعرفة الدليل الداعي إلى معرفته وما بعدهما من العلوم الواقعة عن الحواس أو القياس فهو علم اختيار واكتساب . ثم إنه بنى على ذلك قوله في مهلة المعرفة نخالف فيها سائر الأمة فقال في الطفل . انه يلزمه في الحال الثانية من حال معرفته بنفسه أن يأتي بجميع معارف التوحيد والعدل بلا فصل . وكذلك عليه أن يأتي مع معرفته بتوحيد الله سبحانه وعدله بمعرفة جميع ما كلفه الله تعالى بفعله حتى انه إن لم يأت بذلك كله في الحال الثانية من معرفته بنفسه ومات في الحال الثالثة مات كافراً وعدواً لله تعالى مستحقاً للخلود في النار . وأما معرفته بما لا يعرف إلا بالسمع من جهة الأخبار فعليه أن يأتي بمعرفة ذلك في الحال الثانية من سماعه للخبر الذي يكون حجة قاطعة للعذر . وكان بشر بن المعتمر يقول : عليه أن يأتي بالمعارف العقلية في الحال الثالثة مع معرفته بنفسه لأن الحال الثانية حال نظر وفكر فان لم يأت بها في الحال الثالثة ، ومات في الحال الرابعة كان عدواً لله تعالى مستحقا للخلود في النار . فهذان القدريان اللذان أنكرا على الأزارقة قولها بأن أطفال مخالفيهم في النار ، وعلى من زعم أن أطفال المشركين في النار قد زعما أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا في حال الثالثة أو الرابعة من معرفتهم بأنفسهم قبل اتيانهم بالمعارف العقلية كفرة مخلدون في النار من غير كفر اعتقدوه .

---

(١) هو صاحب الاراجيز المعروفة له أربعون الف بيت في مذهبه . أخذ الاعتزال عن عمرو بن عبيد، وبشر بن سعيد صاحبي واصل . حبسه الرشيد ثم أطلقه حيث قيل له ان مايقوله في الحبس من الشعر ويذيع بين الناس اضر . ومنه انتشر الاعتزال ببغداد توفي سنة ٢١٠ هـ .

الفضيحة التاسعة من فضائحه : أنه أجاز حركة الجسم الكثير الأجزاء بحركة تحل فى بعض أجزائه ولم يجز مثل هذا فى اللون . وقال سائر المتكلمين أن الجزء الذى قامت به الحركة هو المتحرك بها دون غيره من أجزاء الجملة كما ان الجزء الذى يقوم به السواد هو الأسود به دون غيره من أجزاء الجملة وإن تحركت الجملة كان فى كل جزء منها حركة كما لو اسودت الجملة كان فى كل جزء منها سواد .

الفضيحة العاشرة من فضائحه : قوله بأن الجزء الذى لا يتجزأ لا يصح قيام اللون به إذا كان منفرداً ولا تصح رؤيته إذا لم يكن فيه لون . وهذا يوجب عليه أن الله تعالى لو خلق جزءاً منفرداً لم يكن رائيا له . والحمد لله الذى أنقذ أهل السنة من البدع التى حكيناها فى هذا الباب عن أبى الهذيل

ذكر النظامية منهم : هؤلاء أتباع أبى اسحاق ابن سيار المعروف بالنظام[1]. والمعتزلة يموهون على الاغمار بدينه ويوهمون أنه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون وإنما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظام وكان فى زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية ، وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة ، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة . ثم خالط هشام بن الحكم الرافضى فأخذ عن هشام وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذى لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفرة التى لم يسبق اليها وهم أحد قبله وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب وأخذ عن هشام ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات أجسام وبنى على هذه البدعة قوله بتداخل الأجسام فى حيز واحد ودون مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة فى دين الاسلام ، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف فأنكر إعجاز القرآن فى نظمه . وأنكر ماروى فى معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من انشقاق القمر ، وتسبيح الحصا فى يده ، ونبوع الماء من بين أصابعه ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه السلام الى إنكار نبوته . ثم انه استثقل أحكام شريعة الإسلام فى فروعها ولم يجسر على إظهار رفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر لأجل

---

(١) هو ابن أخت أبى الهذيل وعنه أخذ الاعتزال يعد من أذكياء المعتزلة إلا أنه ظنين متهم كثير الوقيعة فى أهل الحديث أول من نفى القياس والاجماع وبتشغيباته فيهما انخدع الخوارج ، والظاهرية ، والشيعة توفى فى حدود سنة ٢٣١ ﻫ.

ذلك حجة الإجماع وحجة القياس فى الفروع الشرعيـة ، وأنكر الحجة من الأخبار التى لاتوجب العلم الضرورى ثم إنه علم إجماع الصحابة على الاجتهاد فى الفروع الشرعية فذكرهم بما يقرؤه غدا فى صحيفة مخازيه . وطعن فى فتاوى أعلام الصحابة رضى الله عنهم ، وجميع فرق الأمة من فريق الرأى والحديث مع الخوارج ، والشيعة ، والنجارية . وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام وإنما تبعه فى ضلالته شرذمة من القدرية ، كالأسوارى ، وابن خابط ، وفضل الحدثى ، والجاحظ مع مخالفة كل واحد منهم له فى بعض ضلالاته وزيادة بعضهم عليه فيها وإعجاب هؤلاء النفر اليسير به كإعجاب الجعل بدحروجته . وقد قال بتكفيره اكثر شيوخ المعتزلة منهم : أبو الهذيل فانه قال بتكفيره فى كتابه المعروف و بالرد على النظام » وفى كتابه عليه فى الاعراض ، والانسان والجزء الذى لايتجزأ . ومنهم الجبائى كفر النظام فى قوله ان المتولدات من افعال الله بايجاب الخلقة . والجبائى فى هذا الباب هو الكافر دون غيره غير أنا أردنا أن نذكر تكفير شيوخ المعتزلة بعضها بعضا . وكفره الجبائى فى إحالته قدرة الله تعالى على الظلم وكفره فى قوله بالطبائع وله فى ذلك كتاب عليه وعلى معمر فى الطبائع . ومنهم الاسكافى له كتاب على النظام كفره فيه فى أكثر مذاهبه ، ومنهم جعفر بن حرب (١) صنف كتابا فى تكفير النظام بابطاله الجزء الذى لايتجزأ . وأما كتب أهل السنة والجماعة فى تكفيره فالله يحصيها . ولشيخنا أبى الحسن الاشعرى رحمه الله فى تكفير النظام ثلاثة كتب . وللقلانسى عليه كتب ورسائل ، وللقاضى أبى بكر محمد بن أبى الطيب الاشعرى رحمه الله كتاب كبير فى بعض أصول النظام وقد أشار إلى ضلالاته فى كتاب « إكفار المتأولين » ونحن نذكر فى هذا الكتاب ماهو المشهور من فضائح النظام :

فأولها : قوله بأن الله عز وجل لايقدر أن يفعل بعباده خلاف مافيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم . والنقصان مما فيه الصلاح ظلم عنده ، ولايقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من عذابهم شيئا . وزعم أيضا أن الله تعالى لايقدر على أن يخرج أحداً من اهل الجنة عنها ولايقدر على ان يلقى فى النار من ليس من أهل النار .

وقال لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادرا على القائه فيها وقدر الطفل على

---

(١) هو من الطبقة السابعة من المعتزلة أخذ عن أبى الهذيل وتوفى بعدسنة ٢٣٠ ﻫ.

القاه نفسه فيها، وقدرت الزبانية ايضا على القائه فيها . ثم زاد على هذا بان قال ان الله تعالى لايقدر على ان يعمى بصيراً اوزمن صحيحاً ، أو يفقر غنيـاً إذا علم أن البصر ، والصحة والغنى أصلح لهم . وكذلك لايقدر على أن يغنى فقيراً أو يصحح زمنا إذا علم أن المرض والزمانة والفقر أصلح لهم . ثم زاد على هذا ان قال إنه لايقدر على أن يخلق حية ، أو عقربا أو جسما يعلم أن خلق غيره أصلح من خلقه . وقد أكفرته البصرية من المعتزلة فى هـذا القول وقالوا : إن القادر على العدل يجب أن يكون قادراً على الظلم ، والقادر على الصدق يجب أن يكون قادراً على الكذب وإن لم يفعل الظلم والكذب لقبحهما ، ولغناه عنهما ولعلمه بغناه عنهما لأن القدرة على الشىء يجب أن يكون قدرة على ضده . فاذا قال النظام إن الله تعالى لايقدرعلى الظلم والكذب لزمه أن لايكون قادرا على الصدق والعدل . والقول بأنه لايقدر على العدل كفر فما يؤدى اليه مثله . وقالوا أيضاً لافرق بين قول النظام إنه يكون من الله تعالى مالا يقدر على ضده ولا على تركه وبين قول من زعم أنه مطبوع على فعل لايصح منه خلافه وهذا كفر فما يؤدى اليه مثله . ومن عجائب النظام فى هذه المسألة انه صنف كتابا على الثنوية ، وتعجب فيه من قول المانوية بأن النور يمدح فى أشكاله المختلفة بفعل الخير وهى لاتقدر على الشر ولايصح منها فعل الشرور وتعجب من ذم الثنوية الظلمة على فعل الشر مع قولها بأن الظلمة لاتستطيع فعل الخير ولا تقدر إلا على الشر . فيقال له : إذا كان الله عندك مشكوراً على فعل العدل والصدق وهو غير قادر على فعل الظلم والكذب فما وجه انكارك على الثنوية فى ذم الظلمة على الشر وهى عندهم لا تقدر على خلاف ذلك .

الفضيحة الثانية من فضائحه : قوله ان الانسان هو الروح وهو جسم لطيف تداخل لهذا الجسم الكثيف . مع قوله بأن الروح هى الحياة المشابكة لهذا الجسد . وقد زعم أنه فى الجسد على سبيل المداخلة ، وأنه جوهر واحد غير مختلف ولا متضاد . وفى قوله هذا فضائح له :

منها : إن الانسان على هذا القول لايرى على الحقيقة وإنما يرى الجسد الذى فيه الإنسان

ومنها : انه يوجب أن الصحابة مارأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما رأوا قالبا فيه الرسول .

ومنها : انه يوجب أن لايكون أحد قد رأى أباه وأمه وإنما رأى قالبيهما .

ومنها : انه إذا قال فى الانسان إنه ليس هو الجسد الظاهر وإنما هو روح مداخل

للجسد لزمه أن يقول فى الجماد أيضا إنه ليس هو جسده وإنما هو روح فى جسده وهو الحياة المشابكة للجسد : وكذلك القول فى الفرس، وسائر البهائم، وجميع الطيور والحشرات، وأصناف الحيوانات. وكذلك القول فى الملائكة، والجن، والإنس، والشياطين. وهذا يوجب أن أحداً ما رأى حماراً، ولا فرسا، ولا طيرا، ولا نوعا من الحيوان. ويوجب أيضاً أن لايكون النبى رأى ملكا، ويوجب أن الملائكة لايرى بعضهم بعضا وإنما رأى الراؤون قوالب هذه الأشياء التى ذكرناها.

ومنها : انه إذا قال إن الروح التى فى الجسد هى الإنسان وهى الفاعلة دون الجسد الذى هو قالبه لزمه أن يقول إن الروح هى الزانية، والسارقة، والقاتلة فاذا جلد الجسد، وقطعت يده صار المقطوع غير السارق، والمجلود غير الزانى وفى هذا غنى، ويقول الله عز وجل : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (١) »، وقوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (٢) جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »، وكفاه بعناد القرآن خزيا.

الفضيحة الثالثة من فضائحه : قوله بأن الروح التى هى الإنسان بزعمه مستطيع بنفسه حى بنفسه وإنما يعجز لآفة تدخل عليه، والعجز عنده جسم ولايخلو من أن يقول فى العاجز والميت إنهما نفس الإنسان الذى يكون حياً قادراً، أو يقول إن الميت العاجز جسده. فإن قال: إن الإنسان هو الذى يعجز ويموت أبطل قوله بان الإنسان حى بنفسه، ومستطيع بنفسه لوجود نفسه فى حال موته، وعجزه ميتة أو عاجزة. وإن زعم أن الروح هى قوى بنفسه وأن الجسد هو الذى يموت ويعجز غير الذى كان حياً قادراً ويجب على هذا القول أن لا يكون الله تعالى قادراً على إحياء ميت، ولا على إماتة حى، ولا على إقدار عاجز. ولا على تعجيز قادر. لأن الحى عنده لايموت، والقوى لايعجز وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يحيي الموتى. وإن زعم أن الروح حى قوى بنفسه وإنما تموت وتعجز لأنه تدخل عليه لم ينفصل ممن يزعم أنها ميتة عاجزة بنفسها وانما تحي وتقوى بحياة وقدرة تدخلان عليهما.

الفضيحة الرابعة من فضائحه : قوله أن الروح جنس واحد وأفعاله جنس واحد، وأن الأجسام ضربان حى وميت، وأن الحى منها يستحيل أن يصير ميتاً، والميت يستحيل أن يصير حياً. وإنما أخذ هذا القول من الثنوية البرهمية الذين زعموا أن النور حى خفيف من شأنه الصعود

---

(١) سورة النور : مدنية ٢ . (٢) سورة المائدة : مدنية ٣٨

أبداً ، وأن الظلام موات ثقيل من شأنه التسفل أبداً ، وأن الثقيل الميت محال ان يصير خفيفا وان الخفيف الحى محال أن يصير ثقيلا ميتا .

الفضيحة الخامسة من فضائحه : دعواه ان الحيوان كله جنس واحد لاتفاق جميعه فى التحرك بالإرادة ، وزعم أن العمل اذا اتفق دل اتفاقه على اتفاق ماولده . وزعم أيضا أن الجنس الواحد لايكون منه عملان مختلفان كما لايكون من النار تسخين وتبريد ، ولامن الثلج تسخين وتبريد . وهذا تحقيق قول الثنوية : ان النور يفعل الخير ولا يكون منه الشر . والظلام يفعل الشر ولا يكون منه الخير لأن الفاعل الواحد لايفعل فعلين مختلفين كمالا يقع من النار تسخين وتبريد ، ولا من الثلج تسخين وتبريد . ومن العجب أنه صنف كتابا على الثنوية ألزمهم فيه استحالة مزاج النور والظلمة إذا كانا مختلفين فى الجنس والعمل ، وكانت جهات تحركها مختلفة . ثم زعم مع ذلك أن الخفيف والثقيل من الأجسام مع اختلافهما فى جنسيهما واختلاف جهتى حركتهما تتداخلان والمداخلة فى حين واحد أعظم من المزاج الذى أنكره على الثنوية .

الفضيحة السادسة من فضائحه : قوله بأن النار من شأنها أن تعلو بطباعها على كل شىء وأنها اذا سلمت من الشوائب الحابسة لها فى هذا العالم ارتفعت حتى تجاوز السماوات والعرش الا أن يكون من جنسها ماتصل به فلا تفارقه .

وقال فى الروح أيضا أنه اذا كان فارق الجسد ارتفع ويستحيل منها غير ذلك . وهذا بعينه قول الثنوية إذ الذى شاب من أجزاء النور بأجزاء الظلمة إذا انفصل منها ارتفع الى عالم النور . فان كان يثبت فوق السماء نوراً تتصل به الأرواح فهو ثنوى ، وان كان يثبت فوق الهواء ناراً يخلص إليها النيران المرتفعة فى الهواء فهو من جملة الطبيعيين الذين زعموا ان مسافة الهواء فى الارتفاع عن الأرض ستة عشر ميلا وفوقها نار متصلة بفلك القمر يلحق بها مايرتفع من لهب النار فهو إما ثنوى ، وإما طبيعى يدلس نفسه فى غمار المسلمين .

الفضيحة السابعة من فضائحه: قوله بأن أفعال الحيوان كلها من جنس واحد وهى كلها حركة وسكون . والسكون عنده حركة اعتماد ، والعلوم والإرادات عنده من جملة الحركات وهى الأعراض والأعراض كلها عنده جنس واحد وهى كلها حركات ، فأما الألوان ، والطعوم ، والأصوات والخواطر فهى عنده أجسام مختلفة ومتداخلة ونتيجة قوله بأن أفعال الحيوان جنس واحد توجب عليه أن يكون الإيمان مثل الكفر ، والعلم مثل الجهل ، والحب مثل البغض . وأن يكون فعل النبى عليه السلام بالمؤمنين مثل فعل ابليس بالكافرين ، وأن يكون دعوة النبى

عليه السلام إلى دين الله تعالى مثل دعوة ابليس الى الضلالة وقد قال فى بعض كتبه : إن هذه الأفعال كلها جنس واحد وإنما اختلفت أسماؤها لاختلاف أحكامها وهى فى الجنس واحد لأنها كلها أفعال الحيوانات . ولا يفعل الحيوان عنده فعلين مختلفين كما لايكون من النار تبريد وتسخين . ويلزمه على هذا الأصل أن لايغضب على من شتمه ولعنه لأن قول القائل لعن الله النظام عند النظام مثل قوله رحمه الله . وقوله إنه ولد زنى كقوله انه ولد حلال فان رضى لنفسه بمثل هذا المذهب فهو أهل له ولما يلزمه عليه .

الفضيحة الثامنة من فضائحه : قوله بأن الألوان والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر أجسام وإجازته تداخل الأجسام فى حيز واحد . وقد أنكر على هشام بن الحكم قوله : بأن العلوم والارادات ، والحركات أجسام وقال : لو كانت هذه الثلاثة أجساماً لم يجتمع فى شىء واحد ولا فى حيز واحد . وهو يقول : إن اللون ، والطعم ، والصوت ، أجسام متداخلة فى حيز واحد وينقض بمذهبه اعتلاله على خصمه ومن أجاز مداخلة الأجسام فى حيز واحد لزمه إجازة دخول الجمل فى سم الخياط .

الفضيحة التاسعة من فضائحه : قوله فى الأصوات وذلك أنه زعم أنه ليس فى الأرض اثنان سمعا صوتا واحداً إلا على معنى أنهما سمعا جنسا واحداً من الصوت كما يأكلان جنسا واحداً من الطعام وإن كان مأكول أحدهما غيرمأكول الآخر . وإنما ألجأه إلى هذا القول دعواه أن الصوت لايسمع إلا بهجومه على الروح من جهة السمع ، ولايجوز أن يهجم من قطعة واحدة على سمعين متباينين . وشبه ذلك بالماء المصبوب على قوم يصيب كل واحد منهم غير مايصيب الآخر . ويلزمه على هـذا الأصل أن لايكون أحد سمع كلمة واحدة من الله تعالى ولامن رسوله صلى الله عليه وسلم . لأن مسموع كل واحد من السامعين جنس من صوت المتكلم بالكلمة الواحدة . والكلمة الواحدة ربما كانت من حرفين وبعض الحرفين لايكون كلمة عنده وإن زعم أن الصوت لايكون كلاماً ولا مسموعا إلا إذا كان من حروف لزمه أن لايسمع الجماعة حرفا واحداً لأن الحرف الواحد لاينقسم حروفا كثيرة على عدد السامعين .

الفضيحة العاشرة من فضائحه : قوله بانقسام كل جزء لا إلى نهاية . وفى ضمن هـذا القول إحالة كون الله تعالى محيطا بآخر العالم عالماً بها وذلك قول الله تعالى : « وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا »[1]. ومن عجائبه أنه أنكر على المانوية قولهم بأن الهامة التى

---

(١) سورة الجن : مكية ٢٨ .

هى روح الظلمة عندهم قطعت بلادها ووافت الصفحة العليا من العلى حتى شاهدت النور وقال لهم : إن كانت بلادها لاتتناهى من جهة السفل فكيف قطعتها الهامة لأن قطع مالانهاية له محال . ثم زعم مع ذلك أن الروح إذا فارق البدن قطع العالم إلى فوق مع قوله بأن المقطوع من العالم غير متناهية الأجزاء . بل كل قطعة منها غير متناهية الأجزاء فكيف قطعها الروح فى وقت متناه . ولأجل هذا الإلزام قال بالطفرة التى لم يسبق إليها من أهل الأهواء غيره . وأعجب من هذا أنه ألزم الثنوية بتناهى النور والظلمة من كل جهة من الجهات الست من أجل قولهم بتناهى كل واحد منها من جهة ملاقاته للآخر . فهل استدل بتناهى كل جسم من جميع جهات أطرافه على تناهى أجزائه فى الوسط . وإذا كان تناهى الجسم من جهاته الست لايدل عنده على تناهيه فى الوسط لم ينفصل من الثنوية إذ قالوا أن تناهى كل واحد من النور والظلمة من جهة الملاقاة لايدل على تناهيهما من سائر الجهات.

الفضيحة الحادية عشرة من فضائحه : قوله بالطفرة وهى دعواه أن الجسم قد يكون فى مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث أو العاشر منه من غير مرور بالامكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ومن غير أن يصير معدوما فى الأول ومعاداً فى العاشر . ونحن نتحاكم إليه فى بطلان هذا القول ان أنصف من نفسه وان كان التحكيم بعد أبى موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص تضييعا للحزم .

الفضيحة الثانية عشرة من فضائحه . هى التى تكاد السموات يتفطرن منه وهى دعواه أنه لايعلم بإخبار الله عز وجل ولا بإخبار رسوله عليه السلام ، ولا باخبار أهل دينه شىء على الحقيقة . ودعواه أن الأجسام والألوان لايعلمان بالأخبار والذى ألجأه الى هذا القول الشنيع قوله بأن المعلومات ضربان : محسوس ، وغير محسوس . والمحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها الا من جهة الحس . والحس عنده لايقع الا على جسم ، واللون ، والطعم ، والرائحة ، والصوت عنده أجسام . قال : ولهذا أدركت بالحواس . وأما غير المحسوس فضربان : قديم ، وعرض . وليس طريق العلم بهما الخبر . وانما يعلمان بالقياس . والنظر دون الحس والخبر . فقيل له على هذا الأصل كيف عرفت أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان فى الدنيا وكذلك سائر الأنبياء والملوك . وإن كانت الأخبار عندك لايعلم بها شىء ؟ فقال : إن الذين شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم اقتطعوا منه حين رأوه قطعة توزعوها بينهم ووصلوها بأرواحهم فلما أخبروا التابعين عن وجوده خرج منهم بعض تلك القطعة فاتصل بأرواح التابعين ففرقه التابعون لاتصال أرواحهم ببعضه . وهكذا

قصه الناقلون عن التابعين ومن نقلوا عنهم الى أن وصل الينا . فقيل قد علمت اليهود والنصارى والمجوس ، والزنادقة أن نبينا عليه السلام كان فى الدنيا افترعم أن قطعة منه اتصلت بأرواح الكفرة . فالتزم ذلك فالزم أن يكون أهل الجنة إذا طلعوا على أهل النار وورآهم أهل النار أوخاطب كل واحد من الفريقين الفريق الآخر أن تنفصل قطعة من أرواح كل واحد منهم فيتصل بأرواح الفريق الآخر فيدخل الجنة قطع كثيرة من أبدان أهل النار وأرواحهم ، ويدخل النار قطع كثيرة من أبدان أهل الجنة وأرواحهم وكفاه بالتزام هذه البدعة خزياً .

الفضيحة الثالثة عشرة من فضائحه : ماحكاه الجاحظ عنه من قوله بتجدد الجواهر والأجسام حالا بعد حال وان الله تعالى يخلق الدنيا وما فيها فى كل حال من غير أن يفنيها ويعيدها . وذكر أبو الحسين الخياط فى كتابه (١) على ابن الراوندى أن الجاحظ غلط فى حكاية هذا القول على النظام فيقال له : إن صدق الجاحظ عليه فى هذه الحكاية فاحكم بحيل النظام وحمقه والحاده فيه . وان كذب عليه فاحكم بمجون الجاحظ وسفهه وهو شيخ المعتزلة وفيلسوفها ونحن لاننكر كذب المعتزلة على أسلافها إذا كانوا كاذبين على ربهم ونبيهم.

الفضيحة الرابعة عشرة من فضائحه : قوله بأن الله تعالى خلق الناس والبهائم ، وسائر الحيوان ، وأصناف النبات والجواهر المعدنية كلها فى وقت واحد ، وان خلق آدم عليه السلام لم يتقدم على خلق أولاده . ولا تقدم خلق الأمهات على خلق الأولاد : وزعم أن الله تعالى خلق ذلك أجمع فى وقت واحد غير أن أكثر الأشياء بعضها فى بعض . فالتقدم والتأخر إنما يقع فى ظهورها من أماكنها . وفى هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه سلف الأمة مع أهل الكتاب من اليهود ، والنصارى ، والسامرة من أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض . وإنما اختلفت المسلمون فى السماء والأرض أيتهما خلقت أولا فخالف النظام المسلمين وأهل الكتاب فى ذلك وخالف فيه أكثر المعتزلة . لأن المعتزلة البصرية زعمت أن الله تعالى خلق إراداته قبل مراداته وأقر سائرهم بخلق بعض أجسام العالم قبل بعض . وزعم أبو الهذيل أنه خلق قوله للشىء كن لافى محل قبل أن خلق الأجسام والأعراض . وقول النظام بالظهور ، والكمون فى الأجسام وتداخلها

---

(١) وهو كتاب الانتصار المطبوع ، والمصنف كان يتابع كتاب ابن الراوندى فيما عزاه الى المعتزلة كما يظهر من مقارنة الفرق بكتاب الانتصار وابن الراوندى ليس بموضع للتعويل على نقله .

شر من قول الدهرية الذين زعموا أن الأعراض كلها كامنة فى الأجسام ، وإنما يتعين الوصف على الأجسام بظهور بعض الأعراض ، وكمون بعضها وفى كل واحد من المذهبين تطريق الدهرية الى إنكار حدوث الاجسام والاعراض بدعواهم وجود جميعها فى كل حال على شرط كمون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شىء منها فى حال الظهور ، وهذا إلحاد وكفر وما يؤدى الى الضلالة فهو مثلها .

الفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه : قوله أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي عليه السلام ولا دلالة على صدقه فى دعواه النبوة . وإنما وجه الدلالة منه على صدقه مافيه من الأخبار عن الغيوب . فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فان العباد قادرون على مثله وعلى ماهو أحسن منه فى النظم والتأليف وفى هذا عناد منه لقول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) » ، ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن الا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله .

الفضيحة السادسة عشرة من فضائحه : قوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيها يجوز أن يقع كذبا هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد مايوجب العلم الضرورى . وقد كفره أصحابنا مع موافقيه فى الاعتزال فى هذا المذهب الذى صار اليه .

الفضيحة السابعة عشرة : من فضائحه تجويزه إجماع الأمة فى كل عصر وفى جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأى والاستدلال . يلزمه على هذا الأصل أن لايثق بشىء مما اجتمعت الأمة عليه لجواز خطئهم فيه عنده ، وإذا كانت أحكام الشريعة منها ماأخذه المسلمون عن خبر متواتر . ومنها ما أخذوه عن أخبار الآحاد . ومنها ماأجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهاد وقياس وكان النظام دافعا لحجة التواتر ولحجة الاجماع وقد ابطل القياس وخبر الواحد اذا لم يوجد العلم الضرورى فكأنه أراد ابطال احكام فروع الشريعة لإبطاله طرقها .

الفضيحة الثامنة عشرة : دعواه فى باب الوعيد أن من غصب ، أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهما لم يفسق بذلك حتى يكون ماسرقه أوغصبه وخان فيه مائتى درهم فصاعداً . فإن كان قد بنى هذا القول على مايقطع فيه اليد فى السرقة فما جعل أحد نصاب القطع فى

(١) سورة الاسراء : مكية ٨٨ .

السرقة مائتى درهم بل قال قوم فى نصاب القطع إنه ربع دينار أو قيمته وبه قال الشافعى وأصحابه . وقال مالك بربع دينار أو ثلاثة دراهم . وقال أبو حنيفة بوجوب القطع فى عشرة دراهم فصاعداً ، واعتبره قوم بأربعين درهما أو قيمتها وأوجبت الإباضية القطع فى قليل السرقة وكثيرها . وما اعتبر أحد نصاب القطع بمائتى درهم . ولوكان التفسيق معتبراً بنصاب القطع لما فسق الغاصب لألوف دنانير لأنه لا قطع على الغاصب المجاهر ولوجب أن لايفسق من سرق الألوف من غير حرز أو من الابن لأنه لا قطع فى هذين الوجهين . وإن كان إنما بنى تحديد المائتين فى الفسق على أن المائتين نصاب للزكاة لزمه تفسيق من سرق أربعين شاة بوجوب الزكاة فيها . وان كانت قيمتها دون مائتى درهم واذا لم يكن للقياس فى تحديده مجال ولم يدل عليه نص من القرآن والسنة الصحيحة لم يكن مأخوذاً إلا من وسوسة شيطانه الذى دعاه الى ضلالته .

الفضيحة التاسعة عشرة : من فضائحه قوله فى الإيمان انه اجتناب الكبيرة فحسب . ونتيجة هذا القول : أن الأقوال والافعال ليس شىء منها إيمانا ، والصلاة عنده وأفعالها ليست بايمان ولا من الإيمان ، وانما الايمان فيها ترك الكبائر فيها . وكان يقول مع هذا : ان الفعل والترك كلاهما طاعة والناس قبله فريقان : فريق قالوا : ان الصلاة كلها من الايمان . وفريق قالوا : ليس شىء من الصلاة ايمانا . وقد فارق هو الفريقين فزعم ان الصلاة ليست من الايمان وترك الكبائر فيها من الايمان .

الفضيحة العشرون : من فضائحه قوله فى باب المعاد بان العقارب، والحيات، والخنافس، والذباب، والغربان، والجعلان، والكلاب والخنازير وسائر السباع والحشرات تحشر الى الجنة. وزعم ان كل من تفضل الله عليه بالجنة لايكون لبعضهم على بعض درجة فى التفضيل ، وزعم أنه ليس لابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة تفضيل درجة على درجات أطفال المؤمنين ، ولا لأطفال المؤمنين فيها تفضيل بدرجة ، أو نعمة ، أو مرتبة على الحيات ، والعقارب ، والخنافس لأنه لا عمل لهم كما لا عمل لها لحجر على رب العالمين أن يتفضل على أولاد الأنبياء بزيادة نعمة لايتفضل بمثلها على الحشرات . ثم لم يرض بهذا الحجر حتى زعم أنه لايقدر على ذلك . وزعم أيضا أنه لا يتفضل على الأنبياء عليهم السلام إلا بمثل ما يتفضل به على البهائم لأن باب الفضل عنده لايختلف فيه العالمون وغيرهم ، وإنما يختلفون فى الثواب والجزاء لاختلاف مراتبهم فى الأعمال . وينبغى للنظام على قول هذا الأصل أن لايغضب على من قال له : حشرك الله مع الكلاب، والخنازير،

والحيات، والعقارب الى مأواها ، ونحن ندعو له بهذا الدعاء رضى به لنفسه .

الفضيحة الحادية والعشرون : من فضائحه أنه لما ابتدع ضلالاته فى العلوم العقلية أدخل فى أبواب الفقه أيضا ضلالات له لم يسبق اليها . منها : قوله ان الطلاق لا يقع بشيء من الكنايات كقول الرجل لامرأته أنت خلية ، أو برية ، أوحبلك على غاربك ، أو الحقى بأهلك ، أو اعتدى أو نحوها من كنايات الطلاق عند الفقهاء . سواء نوى بها الطلاق أو لم ينوه . وقد أجمع فقهاء الأمة على وقوع الطلاق بها إذا قارنتها نية الطلاق . وقد قال فقهاء العراق : إن كنايات الطلاق فى حال الغضب كصريح الطلاق فى وقوع الطلاق بهما من غير نية . ومنها : قوله فى الظهار إن من ظاهر من امرأته بذكر البطن أوالفرج لم يكن مظاهراً . وهذا فيه خلاف قول الأمة بأسرها والشأن فى أنه كان يقول بتفسيق أبي موسى الاشعرى فى حكمه ثم اختار قوله فى أن النوم لا ينقض الطهارة إذا لم يكن معهما حدث على قول الجمهور الأعظم بأن النوم مضطجعاً ينقض الوضوء . وانما اختلفوا فى النوم قاعداً ، وراكعا ، وساجداً . وسامح فيه أبو حنيفة وأوجبه أكثر أصحاب الشافعى من طريق القياس . ومنها : أنه زعم أن من ترك صلاة مفروضة عمداً لم يصح قضاؤه لها ولم يجب عليه قضاؤها . وهذا عند سائر الأمة كفر ككفر من زعم أن الصلوات الخمس غير مفروضة . وفى فقهاء الأمة من قال فيمن فاتته صلاة مفروضة أنه يلزمه قضاء صلوات يوم وليلة . وقال سعيد بن المسيب : من ترك صلاة مفروضة حتى فات وقتها قضى ألف صلاة وقد بلغ من تعظيم شأن الصلاة أن بعض الفقهاء أفتى بكفر من يتركها عامداً وان لم يستحل تركها كما ذهب اليه احمد بن حنبل . وقال الشافعى : بوجوب قتل تاركها عمداً وإن لم يحكم بكفره إذا تركها كسلاً لا استحلالا . وقال أبو حنيفة بحبس تارك الصلاة وتعذيبه إلى أن يصلى . وخلاف النظام للأمة فى وجوب قضاء المتروكة من فرائض الصلاة بمنزلة خلاف الزنادقة فى وجوب الصلاة ولا اعتبار بالخلافين . ثم إن النظام مع ضلالاته التى حكيناها عنه طعن فى أخبار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد . فذكر الجاحظ عنه فى كتاب «المعارف» وفى كتابه المعروف « بالفتيا » أنه عاب أصحاب الحديث وروايتهم أحاديث أبى هريرة وزعم ان أبا هريرة كان أكذب الناس وطعن فى الفاروق عمر رضى الله عنه . وزعم أنه شك يوم الحديبية فى دينه ، وشك يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وأنه كان فيمن نفر بالنبى عليه السلام ليلة العقبة ، وأنه ضرب فاطمة ومنع ميراث العترة . وأنكر عليه تغريب نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح

ونهى عن متعة الحج، وحرم نكاح الموالى للعربيات . وعاب عثمان بايوائه الحكم بن العاص الى المدينة ، واستعماله الوليد بن عقبة على الكوفة حتى صلى بالناس وهو سكران . وعابه بأن أعان سعيد بن العاص باربعين ألف درهم على نكاح عقده ، وزعم أنه استأثر بالحمى . ثم ذكر عليا رضى الله عنه وزعم أنه سئل عن بقرة قتلت حماراً فقال : أقول فيها برأيي . ثم قال بجهله : من هو حتى يقضى برأيه . وعاب ابن مسعود فى قوله فى حديث تزويج بروع بنت واشق أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله عز وجل ، وان كان خطأ فمنى . وكذبه فى روايته عن النبى عليه السلام أنه قال : « السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه » . وكذبه أيضا فى روايته انشقاق القمر ، وفى رواية الجن ليلة الجن فهذا قوله فى أخبار الصحابة وفى أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا [١] » . ومن غضب على من رضى الله عنه فهو المغضوب عليه دونه . ثم انه قال فى كتابه إن الذين حكموا بالرأى من الصحابة إما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم وجهلوا تحريم الحكم بالرأى فى الفتيا عليهم . وإما انهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف وأن يكونوا رؤساء فى المذاهب فاختاروا لذلك القول بالرأى فنسبهم إلى إيثار الهوى على الدين . وما للصحابة رضى الله عنهم عند هذا الملحد الفرى ذنب غير أنهم كانوا موحدين لايقولون بكفر القدرية الذين ادعوا مع الله تعالى خالقين كثيرين وانما أنكر على ابن مسعود روايته : أن السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه . لأن هذا خلاف قول القدرية فى دعواها فى السعادة والشقاوة ليستأمن قضاء الله عز وجل وقدره. وإنما انكاره انشقاق القمر فانما كره منه ثبوت معجزة لنبينا عليه السلام كما انكر معجزته فى نظم القرآن . فإن كان أحال انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله من طريق العقل فقد زعم أن جامع أجزاء القمر لا يقدر على تفريقها . وإن أجاز انشقاق القمر فى القدرة والإمكان فما الذى أوجب كذب ابن مسعود فى روايته انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر [٢] » فقول النظام بأن انشقاق القمر لم يكن أصلا شر من قول المشركين الذين قالوا لما رأوا انشقاقه وزعموا

---

(١) سورة الفتح : مدنية ١٨ . (٢) سورة القمر : مكية ١ و ٢ .

أن ذلك واقع بسحر . ومنكر وجود المعجزة شرّ من تاولها على غير وجهها . وأما انكاره رؤية الجن أصلا فيلزمه أن لايرى بعض الجن بعضا . وان أجاز رؤيتهم فما الذى أوجب تكذيب ابن مسعود فى دعواه رؤيتهم . ثم إن النظام مع ماحكيناه من ضلالاته كان أفسق خلق الله عز وجل ، وأجرأهم على الذنوب العظام ، وعلى إدمان شرب المسكر . وقد ذكر عبد الله بن مسلم بن قتيبة(١) رحمه الله فى كتاب «مختلف الحديث» أن النظام كان يغدو على مسكر ، ويروح على مسكر وانشد قوله فى الخمر :ـــ

مازلت آخذ روح الزق فى لطف　　　واستبيح دماً من غير مذبوح
حتى انثنيت ولى روحان فى بدن　　　والزق مطرح جسم بلا روح

ومثله فى طعنه على اخبار الصحابة مع بدعته فى اقواله وضلالته فى أفعاله كما قيل فى الأمثال السائرة : إن من كان فى دينه دميا وفى اصله لئيما لم يترك لنفسه عاراً يتهم به إلا نحله كريما ، واستباح به حريما وهل يضر السحاب نباح الكلاب . وكما لايضر السحاب نباح الكلاب كذلك لايضر [الأبرار ذم الأشرار . وما مثله فى طعنه على اخبار الصحابة مع بدعته وضلالته إلا كما قال حسان بن ثابت :ـــ

ما أبالى أنب بالحزن تيس　　　ام لحانى بظهر غيب لئيم

وقال غيره :ـــ

ماضر تغلب وائل أهجوتها　　　ام بلت حيث تناطح البحران

ذكر الأسوارية منهم : وهم اتباع على الأسوارى وكان من اتباع ابى الهذيل ثم انتقل الى مذهب النظام وزاد عليه فى الضلالة بأن قال : إن ماعلم الله ان لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى . وهذا القول منه يوجب ان يكون قدرة الله متناهية ، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية والقول به كفر من قائله .

ذكر المعمرية منهم : وهم اتباع معمر بن عبـــاد السلمى وكان رأسا للملحدة وذنبا للقدرية . وفضائحه على الأعداد كثيرة الأمداد . منها : انه كان يقول : ان الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض من لون ، اوطعم ، اورائحة ، اوحياة ، اوموت ، اوسمع ، اوبصر ، وانه لم يخلق شيئا من صفات الأجسام وهذا خلاف قوله تعالى «قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار» (٢)

---

(١) هو من أئمة العربية يذب عن أهل الحديث يبد ان له ميلا الى الحشوية فى مسائل توفى سنة ٢٧٦ هـ . (٢) سورة الرعد : مدنية ١٦

وخلاف قوله تعالى فى صفة نفسه : « له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » . وكان يزعم أن الله انما خلق الأجسام ، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ماسبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ماهو] إلا عرض فى الجسم من فعل الجسم بطبعه . والأصوات عنده فعل الأجسام المصوتة بطباعها ، وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه ، وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده . وزعم أيضا أن فناء كل فان فعل له بطبعه . وزعم أنه ليس لله تعالى فى الأعراض صنع ولا تقدير . وفى قوله ان الله تعالى لم يخلق حياة ولا موتا تكذيب منه لوصف الله سبحانه نفسه بأنه يحيي ويميت وكيف يحيي ويميت من لا يخلق حياة ولا موتا .

الفضيحة الثانية : من فضائحه أنه لما زعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض . وأنكر مع ذلك صفات الله تعالى الأزلية كما أنكرها سائر المعتزلة لزمه على هذه البدعة أن لايكون لله تعالى كلام إذ لم يمكنه أن يقول إن كلامه صفة له أزلية كما قال أهل السنة والجماعة لأنه لايثبت لله تعالى صفة أزلية . ولم يمكنه أن يقول إن كلامه فعله كما قاله سائر المعتزلة لأن الله سبحانه عنده لم يفعل شيئا من الأعراض . والقرآن عنده فعل الجسم الذى حل الكلام فيه وليس هو فعلا لله تعالى ولا صفة له فليس يصح على أصله أن يكون له كلام على معنى الصفة ولا على معنى الفعل . واذا لم يكن له كلام لم يكن له أمر ونهى وتكليف وهذا يؤدى الى رفع التكليف والى رفع أحكام الشريعة ، وما أراد غيره لأنه قال بما يؤدى اليه .

الفضيحة الثالثة : من فضائحه دعواه أن كل نوع من الأعراض الموجودة فى الأجسام لا نهاية لعدده وذلك أنه قال : إذا كان المتحرك متحركا بحركة قامت به فتلك الحركة اختصت بمحله لمعنى سواها . وذلك المعنى أيضا يختص بمحله لمعنى سواه وكذلك القول فى اختصاص كل معنى بمحله لمعنى سواه لا الى نهاية . وكذلك اللون ، والطعم ، والرائحة وكل عرض يختص بمحله لمعنى سواه . وذلك المعنى أيضا يختص بمحله لمعنى سواه لا الى نهاية . وحكى الكعبى عنه فى مقالاته : ان الحركة عنده انما خالفت السكون لمعنى سواها . وكذلك السكون خالف الحركة لمعنى سواه . وان هذين المعنيين مختلفان لمعنيين غيرهما . ثم هذا القياس معتبر عنده لا الى نهاية . وفى هذا القول إلحاد من وجهين :

احدهما : قوله بحوادث لانهاية لها وهذا يوجب وجود حوادث لايحصيها الله تعالى

وذلك عناد لقول الله تعالى : « وأحصى كل شيء عدداً (١) » .

والثانى : إن قوله بحدوث أعراض لا نهاية لها يؤديه الى القول بأن الجسم أقدر من الله لأن الله عنده أنه ماخلق غير الاجسام وهى محصورة عندنا وعنده . والجسم اذا فعل عرضاً فقد فعل معه مالانهاية له من الأعراض . ومن خلق مالا نهاية له ينبغى أن يكون أقدر مما لايخلق إلا متناهيا فى العدد . وقد اعتذر الكعبى عنه فى مقالاته بأن قال : أن معمراً كان يقول إن الانسان لافعل له غير الإرادة وسائر الأعراض أفعال الأجسام بالطباع . فان صحت هذه الرواية عنه لزمه أن يكون الطبع الذى نسب اليه فعل الأعراض أقوى من الله عز وجل لأن أفعال الله أجسام محصورة ، وأفعال الطباع أصناف من الأعراض . كل صنف منها غير محصور العدد وعلى أن قول معمر بأعراض لا نهاية لها تطريق لاصحاب الظهور والكمون على المسلمين فى حدوث الأعراض . وذلك أن المسلمين استدلوا على حدوث الأعراض فى الأجسام بتعاقب المتضادات منها على الأجسام . وأنكر أصحاب الكمون والظهور حدوث الأعراض وزعموا أنها كلها موجودة فى الأجسام . فاذا ظهر فى الجسم بعض الأعراض كمن فيه ضده . وإذا كمن فيه العرض ظهر ضده . فقال لهم الموحدون : لوكمن العرض تارة وظهر تارة لكان ظهوره بعد الكمون ، وكونه بعد الظهور لمعنى سواه . والا افتقر ذلك المعنى فى ظهوره وكمونه إلى معنى سواه لاإلى نهاية . وإذا بطل اجتماع مالا نهاية له من الأعراض فى الجسم الواحد صح تعاقبها على الجسم من جهة حدوثها فيه لامن جهة الكمون والظهور . وإذا قال معمر بجواز اجتماع مالا نهاية له من الأعراض فى الجسم لم يصح له دفع أصحاب الكمون والظهور فى محل واحد . وسوق هذا الأصل يؤدى الى القول بقدم الأعراض . وذلك كفر فما يؤدى اليه مثله .

الفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله فى الإنسان إنه شيء غير هذا الجسد المحسوس وهو حى ، عالم ، قادر ، مختار وليس هو متحركا ، ولاساكنا ، ولامتلونا ولايرى ولايلمس ، ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان دون مكان . فاذا قيل له : أتقول إن الإنسان فى هذا الجسد ، أم فى السماء ، أم فى الأرض ، أم فى الجنة ، أم فى النار ؟ قال : لا أطلق شيئا من ذلك ولكنى أقول إنه فى الجسد مدبر ، وفى الجنة منعم ، أو فى النار معذب وليس هو فى شيء من هذه الأشياء حالا ولامتمكنا لأنه ليس بطويل ولا عريض

---

(١) سورة الجن : مكية ٢٨ .

ولا عميق ولا ذى وزن فوصف الإنسان بما يوصف به الآله سبحانه . لأنه وصفه بأنه حى، عالم، قادر، حكيم . وهذه الأوصاف واجبة لله تعالى . ثم نزه الإنسان عن أن يكون متحركا، أوساكنا ، أو حاراً ، أو بارداً ، أو رطباً ، أو يابساً ، أو ذا لون ، أو وزن ، أو طعم، أو رائحة والله سبحانه منزه عن هذه الأوصاف . وكما زعم أن الإنسان فى الجسد مدبر له لا على معنى الحلول والتمكن فيه . كذلك الاله عنده فى كل مكان على معنى أنه مدبر له عالم بما يجرى فيه لا على معنى الحلول والتمكن فيه فكأنه أراد أن يعبد الإنسان لوصفه إياه بما يوصف الآله به . فلم يحسن على اظهار القول بذلك فقال بما يؤدى اليه . ثم إن هذا القول يوجب عليه أن لايرى إنسان إنسانا ويوجب أن لايكون الصحابة رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بذلك خزيا .

الفضيحة الخامسة : من فضائحه قوله بأن الله لايجوز أن يقال فيه إنه قديم مع وصفه إياه بأنه موجود أزلى .

الفضيحة السادسة : من فضائحه امتناعه عن القول بأن الله تعالى يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به وهذا يبطل عليه بذكر الذاكر نفسه . لأنه إذا جاز أن يذكر الذاكر نفسه جاز أن يعلم العالم نفسه وقد افتخر الكعبى فى مقالاته بأن معمراً من شيوخه فى الاعتزال ومن افتخر بمثله وهبناه منه وتمثلنا بقول الشاعر :—

هل مشتر والسعيد بايعه   هل بائع والسعيد من وهبا

ذكر البشرية منهم : هؤلاء أتباع بشر بن المعتمر[1] وقال إخوانه من القدرية بتكفيره فى أمور هو فيها مصيب عند غير القدرية . فما كفرته القدرية فيه قوله : بأن الله تعالى قادر على لطف لو فعله بالكافر لآمن طوعا . وكفروه أيضا فى قوله : بأن الله تعالى لو خلق العقلاء ابتداء فى الجنة وتفضل عليهم بذلك لكان ذلك أصلح لهم . وكفروه أيضا بقوله : إن الله لو علم من عبده أنه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه إياه أصلح له من أن يميته كافراً . وكفروه أيضا بقوله : ان الله تعالى لم يزل مريداً . وفى قوله : إن الله تعالى إذا علم حدوث شىء من أفعال العباد ولم يمنع منه فقد أراد حدوثه . والحق فى هذه المسائل الخمس التى كفرت المعتزلة البصرية فيها بشراً مع بشر . والمكفرون له فيها هم الكفرة ونحن نكفر بشراً فى أمور سواها كل واحد منها بدعة شنعاء .

(١) توفى فى حدود سنة ٢١٠ هـ .

أولها : قول بشر بأن الله تعالى ماوالى مؤمنا فى حال إيمانه ولا عادى كافراً فى حال كفره . ويجب تكفيره فى هذا على قول جميع الأمة . أما على قول أصحابنا فلأنا نقول: إن الله تعالى لم يزل مواليا لمن علم أنه يكون وليا له إذا وجد . ومعاديا لمن علم أنه إذا وجد كفر ومات على كفره يكون معاديا له قبل كفره وفى حال كفره وبعد موته، وأما على أصول المعتزلة غير بشر فلأنهم قالوا : ان الله لم يكن مواليا لأحد قبل وجود الطاعة منه فكان فى حال وجود طاعته مواليا له . وكان معاديا للكافر فى حال وجود الكفر منه فإن ارتد المؤمن صار الله تعالى معاديا له بعد أن كان مواليا له عندهم . وزعم بشر أن الله تعالى لا يكون مواليا للمطيع فى حال وجود طاعته ، ولا معاديا للكافر فى حال وجود كفره وإنما يوالى المطيع فى الحالة الثانية من وجود طاعته ، ويعادى الكافر فى الحالة الثانية من وجود كفره . واستدل على ذلك بأن قال : لو جاز أن يوالى المطيع فى حال طاعته وجاز أن يعادى الكافر فى حال وجود كفره لجاز أن يثيب المطيع فى حال طاعته ، ويعاقب الكافر فى حال كفره . فقال أصحابنا : لو فعل ذلك لجاز . فقال : لو جاز ذلك لجاز أن يمسخ الكافر فى حال كفره فقلنا له لو فعل ذلك لجاز .

الفضيحة الثانية : من فضائح بشر إفراطه بالقول فى التولد حتى زعم أنه يصح من الإنسان أن يفعل الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والرؤية ، والسمع وسائر الإدراكات على سبيل التولد إذا فعل أسبابها . وكذلك قوله فى الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . وقد كفره أصحابنا وسائر المعتزلة فى دعواه ان الإنسان قد يخترع الألوان ، والطعوم والروائح ، والإدراكات .

الفضيحة الثالثة : من فضائحه قوله : بأن الله تعالى قد يغفر للإنسان ذنوبه ثم يعود فيما غفر له فيعذبه عليه إذا عاد إلى معصيته فسئل على هذا عن كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر بعد توبته عن كفره من غير استحــــلال منه للخمر وفاجأه الموت قبل توبته عن شرب الخمر هل يعذبه الله تعالى فى القيامة على الكفر الذى قد تاب منه . فقال : نعم . فقيل له : يجب على هذا أن يكون عذاب من هو على ملة الاسلام مثل عذاب الكافر فالتزم ذلك .

الفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله : بأن الله تعالى يقدر على أن يعذب الطفل ظالما له فى تعذيبه إياه فإنه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغا عاقلا مستحقا للعذاب . وهذا فى التقدير كأنه يقول : إن الله تعالى قادر على أن يظلم ولو ظلم لكان بذلك الظلم عادلا .

وأول هذا الكلام ينقض آخره . وأصحابنا يقولون : إن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل ذلك كان عدلا منه فلا يناقض قولهم فى هذا الباب . وقول بشر فيه متناقض .

الفضيحة الخامسة: من فضائحه قوله : بأن الحركة تحصل وليس الجسم فى المكان الأول ولا فى المكان الثانى ولكن الجسم يتحرك به من الأول إلى الثانى . وهذا قول غير معقول فى نفسه واختلف المتكلمون قبله فى الحركة هل هو معنى أم لا ؟ فنفاها نفاة الأعراض واختلف الذين اثبتوا الأعراض فى وقت وجود الحركة . فمنهم من زعم أنها توجد فى الجسم وهو فى المكان الأول فينتقل بها عن الاول إلى الثانى . وبه قال النظام ، وأبو شمر المرجىء . ومنهم من قال ان الحركة تحصل فى الجسم وهو فى المكان الثانى لأنها أول كون فى المكان الثانى . وهذا قول ابى الهذيل ، والجبائى ، وابنه أبى هاشم . وبه قال شيخنا أبو الحسن الاشعرى رحمه الله . ومنهم من قال : إن الحركة كونان فى مكانين احدهما : يوجد فى المتحرك وهو فى المكان الأول والثانى : يوجد فيه وهو فى المكان الثانى وهذا قول الراوندى . وبه قال شيخنا ابو العباس القلانسى . وقد خرج قول بشر بن المعتمر عن هذه الاقوال بدعواه أن الحركة تحصل وليس الجسم فى المكان الاول ولا فى الثانى مع علمنا بأنه لاواسطة بين حالى كونه فى المكان الاول وكونه فى المكان الثانى . وقوله هذا غير معقول له فكيف يكون معقولا لغيره .

ذكر الهشامية منهم : هؤلاء أتباع هشام بن عمر الفوطى (١) وفضائحه بعد ضلالته بالقدر تترى منها : أنه حرم على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل من جهة تسميته بالوكيل . وقد نطق القرآن بهذا الاسم لله تعالى . وذكر ذلك فى السنة الواردة فى تسعة وتسعين اسما من أسماء الله تعالى . فاذا لم يجز إطلاق هذا الاسم على الله تعالى مع نزول القرآن به ومع ورود السنة الصحيحة به فأى اسم بعده يطلق عليه ؟. وقد كان أصحابنا يتعجبون من المعتزلة البصرية فى اطلاقها على الله عز وجل من الاسماء مالم يذكر فى القرآن والسنة إذا دل عليه القياس وزاد هذا التعجب بمنع الفوطى عن الإطلاق على الله تعالى بما قد نطق به القرآن والسنة . واعتذر الخياط عن الفوطى بأن قال : إن هشاما كان يقول : حسبنا الله ونعم المتوكل عليه بدلا من الوكيل . وزعم أن وكيلا يقتضى موكلا فوقه . وهذا من

(١) كان فى عصر المأمون .

علامات جهل هشام والمعتذر عنه بمعانى الأسماء فى اللغة . وذلك : أن الوكيل فى اللغة بمعنى الكافى لأنه يكفى موكله أمرما وكله فيه . وهذا معنىقولهم : حسبنا الله ونعم الوكيل . ومعنى حسبنا كافينا وواجب أن يكون مابعد نعم موافقا لما قبله كقول القائل . الله رازقنا . ونعم الرازق . ولايقال الله رازقنا . ونعم الغافر . ولأن الله تعالى قال : ومن يتوكل على الله فهو حسبه . أى كافيه . وقد يكون الوكيل أيضاً بمعنى الحفيظ ومنه قوله تعالى : «قل لست عليكم بوكيل(١)» . أى حفيظ . ويقال فى نقيض الحفيظ . رجل وكل أى بليد . والوكال البلادة . وإذا كان الوكيل بمعنى الحفيظ وكان الله عز وجل كافيا وحفيظا لم يكن للمنع من إطلاق الوكيل فى أسمائه معنى . والعجب من هشام فى أنه أجاز أن يكتب لله عز وجل هذا الاسم ، وأن يقرأ به القرآن . ولم يجز أن يدعى به فى غير قراءة القرآن .

الفضيحة الثانية : من فضائح الفوطى امتناعه من اطلاق كثير مما نطق به القرآن فمنع الناس من أن يقولوا ان الله تعالى عز وجل ألف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين . وهذا عناد منه لقول الله عز وجل : «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم(٢)» ، ولقوله تعالى : «ويضل الله الظالمين ويفعل مايشاء(٣)» ، وقوله : «وما يضل به إلا الفاسقين(٤)» ، ومنع أن يقول فى القرآن انه عمى على الكافرين ووافقه صاحبه عباد بن سليمان الضمرى(٥) فى هذه الضلالة فمنع الناس أن يقولوا ان الله تعالى خلق الكافر لأن الكافر اسم لشيئين إنسان وكفره وهو غير خالق لكفره عنده ويلزمه على هذا القياس أن لايقول ان الله تعالى خلق المؤمن لأن المؤمن اسم لشيئين انسان وإيمان . والله عنده غير خالق لإيمانه ويلزمه على قياس هذا الأصل أن لايقول إن أحداً قتل كافراً أو ضربه لأن الكافر اسم للانسان وكفره والكفر لايكون مقتولا ولا مضروباً ومنع عباد من أن يقال : ان الله تعالى ثالث كل

---

(١) سورة الأنعام : مكية ٦٦ . (٢) سورة الانفال : مدنية ٦٣ .
(٣) سورة ابراهيم : مكية ٢٧ . (٤) سورة البقرة : مدنية ٢٦ .
(٥) هو : من الطبقة السابعة من المعتزلة : كان من أصحاب هشام بن عمرو الفوطى ربما تكون وفاته فى حدود سنة ٢٥٠ هـ . يقول أبو الحسين الملطى عنه : ملأ الأرض كتباً وخلافاً وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة . وحاول صاحب الانتصار الدفاع عنه .

اثنين ، ورابع كل ثلاثة . وهذا عناد منه لقول الله عز وجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم (١) » . وكان يمنع أن يقال ان الله عز وجل أملى الكافرين وفي هذا عناد منه لقوله عز وجل : « إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين (٢) » فان كان عباد قد أخذ هذه الضلالة عن استاذه هشام فالعصا من العصية ، ولن تلد الحية إلا الحية . وإن انفرد بها دونه فقد قاس التلميذ ما منع من اطلاقه على ما منع أستاذه من اطلاق اسم الوكيل والكفيل على الله تعالى .

الفضيحة الثالثة : من فضائح الفوطي قوله : بأن الأعراض لايدل شيء منها على الله تعالى وكذلك قال صاحبه عباد ، وزعما أن فلق البحر ، وقلب العصا حية ، وانشقاق القمر ، وفلق البحر ، والمشي على الماء لايدل شيء من ذلك على صدق الرسول في دعواه الرسالة . وزعم الفوطي ان الدليل على الله تعالى يجب أن يكون محسوساً ، والأجسام محسوسة فهي الأدلة على الله تعالى والأعراض معلومة بدلائل نظرية فلو دلت على الله تعالى لاحتاج كل دليل منها إلى دليل سواه لا إلى نهاية فقيل له يلزمك على هذا الاستدلال أن تقول إن الاعراض لاتدل على شيء من الأشياء ، ولا على حكم من الأحكام . لأنها لو دلت على شيء أو على حكم لاحتاجت في دلالتها على مدلولها إلى دلالة على صحة دلالتها عليه واحتاج كل دليل إلى دليل لا إلى نهاية . فان صار إلى ان الأعراض لاتدل على شيء ولا على حكم صار إلى إبطال دلالة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على الحلال والحرام والوعد والوعيد على أن من الأعراض ما يعلم وجوده بالضرورة كالألون ، والطعوم ، والروائح ، والحركة ، والسكون فيلزمه أن تكون هذه الأعراض المعلومة بالضرورة دلالة على الله سبحانه لانها محسوسة كما دلت الأجسام عليه لانها محسوسة . فان قال : ان الأعراض غير محسوسة لأن نفاة الأعراض قد أنكروا وجودها قيل : فالنجارية ، والضرارية قد أنكروا وجود جسم لايكون عرضاً لدعواهم أن الاجسام أعراض مجتمعة فيجب على قياس قولك أن لاتكون الاجسام معلومة بالضرورة وأن لاتدل عليه سبحانه .

الفضيحة الرابعة : من فضائح الفوطي قوله بالمقطوع والموصول وذلك قوله : لو أن

---

(١) سورة المجادلة : مدنية ٧ . (٢) سورة آل عمران : مدنية ١٧٨ .

رجلا أسبغ الوضوء وافتتح الصلاة ، متقرباً بها إلى الله سبحانه ، عازماً على اتمامها ثم قرأ فركع فسجد مخلصاً لله تعالى فى ذلك كله غير أنه قطعها فى آخرها إن أول صلاته وآخرها معصية قد نهاه الله تعالى عنها وحرمها عليه وليس له سبيل قبل دخوله فيها إلى العلم بأنها معصية فيتجنبها . واجتمعت الأمة قبله على أن ما مضى منها كانت طاعة لله تعالى وإن لم تكن صلاة كاملة .

الفضيحة الخامسة : من فضائحه إنكاره حصار عثمان وقتله بالغلبة والقهر . وزعم أن شرذمة قليلة قتلوه غرة من غير حصار مشهور ، ومنكر حصار عثمان مع تواتر الأخبار به كمنكر وقعتى بدر، وأحد مع تواتر الأخبار بهما ، وكمنكر المعجزات التى تواترت الأخبار بها .

الفضيحة السادسة : من فضائحه قوله فى باب الأمة ان الامة إذا اجتمعت كلمتها وتركت الظلم والفساد احتاجت إلى إمام يسوسها واذا عصت وفجرت وقتلت إمامها لم تعقد الامامة لأحد فى تلك الحال . وانما أراد الطعن فى إمامة على لأنها عقدت له فى حال الفتنة وبعد قتل إمام قبله . وهذا قريب من قول الأصم منهم : إن الامامة لا تنعقد إلا باجماع عليه . وإنما قصد بهذا الطعن فى إمامة على رضى الله عنه لأن الامة لم تجتمع عليه لثبوت أهل الشام على خلافه إلى أن مات فانكر امامة على مع قوله بامامة معاوية لاجتماع الناس عليه بعد قتل على رضى الله عنه . وقرت عيون الرافضة المائلين الى الاعتزال بطعن شيوخ المعتزلة فى إمامة على وبعد شك زعيمهم واصل فى شهادة على وأصحابه .

الفضيحة السابعة : من فضائح الفوطى قوله بتكفير من قال ان الجنة والنار مخلوقتان . وأخلافه من المعتزلة شكوا فى وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال انهما مخلوقان . والمثبتون لخلقهما يكفرون من أنكرهما ويقسمون بالله تعالى ان من أنكرهما لا يدخل الجنة ولاينجو من النار .

الفضيحة الثامنة : من فضائحه انكاره افتضاض الأبكار فى الجنة . ومن أنكر ذلك يحرم ذلك بل يحرم عليه دخول الجنة فضلا عن افتضاض الابكار فيها . وكان الفوطى مع ضلالاته التى حكيناها عنه يرى قتل مخالفيه فى السر غيلة . وان كانوا من أهل ملة الاسلام . فماذا على أهل السنة إذا قالوا فى هذا الفوطى وأتباعه إن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيه الخمس ، وليس على قاتل الواحد منهم قود ، ولا دية ، ولا كفارة بل لقاتله عند الله تعالى القربى والزلفى والحمد لله على ذلك .

ذكر المردارية منهم : هؤلاء أتباع عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المردار (١) وكان يقال له راهب المعتزلة ، وهذا اللقب لائق به ان كان المراد به مأخوذاً من رهبانية النصارى ، ولقبه بالمردار لائق به أيضا وهو فى الجملة كما قيل : —

وقلما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه ان فكرت فى لقبه

وكان هذا المردار يزعم أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما قاله النظام وفى هذا عناد منهما لقول الله عز وجل : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (٢) » . وكان المردار مع ضلالته يقول بتكفير من لابس السلطان ويزعم انه لايرث ولا يورث ، وكان أسلافه من المعتزلة يقولون فيمن لابس السلطان من موافقيهم فى القدر والاعتزال انه فاسق لا مؤمن ولا كافر . وأفتى المردار بانه كافر والعجب من سلطان زمانه كيف ترك قتله مع تكفيره إياه وتكفير من خالطه . وكان يزعم أيضا : ان الله قادر على أن يظلم ويكذب . ولو فعل مقدوره من الظلم والكذب لكان إلهاً ظالما كاذبا . وحكى أبو زفر عن المردار انه أجاز وقوع فعل واحد من فاعلين مخلوقين على سبيل التولد مع انكاره على أهل السنة ما أجازوه من وقوع فعل من فاعلين أحدهما خالق ، والآخر مكتسب . وزعم المردار أيضا أن من أجاز رؤية الله تعالى بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر ، وكذلك الشاك فى الشاك لا إلى نهاية . والباقون من المعتزلة انما قالوا بتكفير من أجاز الرؤية على جهة المقابلة أو على اتصال شعاع بصر الرائى بالمرئى . والذين أثبتوا الرؤية يجمعون على تكفير المردار وتكفير الشاك فى كفره . وقد حكت المعتزلة عن المردار انه لما حضرته الوفاة أوصى أن يتصدق بماله ولا يدفع شيء منه إلى ورثته . وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن ذلك بأن قال : كان فى ماله شبه، وكان للمساكين فيه حق وقد وصفه فى هذا الاعتذار بانه كان غاصبا وخائنا للمساكين . والغاصب عند المعتزلة فاسق مخلد فى النار ، وقد أكفره سائر المعتزلة فى قوله بتولد فعل

---

(١) هو : راهب المعتزلة أبو موسى عيسى بن صبيح . أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمر وله غلو فى الاكفار . قال المسعودى : كان من كبارهم ومن أهل الديانة فيهم توفى فى حدود سنة ٢٢٦ هـ ، وله منزلة سامية بين معتزلة بغداد .

(٢) سورة الاسراء : مكية ٨٨ .

واحد من فاعلين . وقد أكفر هو أبا الهذيل فى قوله بفناء مقـدورات الله عز وجل ، وصنف فيه كتابا ، وأكفر أستاذه بشر بن المعتمر فى قوله بتوليد الألوان والطعوم ، والروائح ، والادراكات . وأكفر النظام فى قوله بأن المتـولدات من فعل الله . وقال : يلزمه أن يكون قول النصارى : المسيح ابن الله من فعل الله . فهذا راهب المعتزلة قد قال بتكفير شيوخه وقال شيوخه بتكفيره . وكلا الفريقين محق بتكفير صاحبه .

ذكر الجعفرية منهم : هؤلاء أتباع جعفرين أحدهما : جعفر بن حرب (١) ، والآخر جعفر بن مبشر(٢) ، وكلاهما للضلالة رأس وللجهالة أساس . أما جعفر بن مبشر فانه زعم أن فى فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة . هـذا مع قوله بان الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر فجعل الموحد الذى ليس بكافر شراً من الثنوى الكافر . وأقل مانقابل به على هـذا القول أن نقول له : انك عنـدنا شر من كل كافر على بسيط الأرض . وزعم أيضـا ان إجماع الصحابة على ضرب شـارب الخمر الحد وقع خطأ . لانهم أجمعوا عليه برأيهم فشارك ببدعته هذه نجدات الخوارج فى انكارهـا حد الخمر . وقد أجمع فقهاء الأمة على تكفير من أنكر حد الخمر ، وانما اختلفوا فى حـد شارب النبيذ إذا لم يسكر منه . فاما اذا سكر منه فعليه الحد عنـد فريق الرأى والحديث على رغم من أنكر ذلك . وزعم ابن مبشر أيضـا ان من سرق حبة أو مادونها فهو فاسـق مخلد فى النار . وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عنـد اجتناب الكبائر . وزعم أيضا ان تأبيد المذنبين فى النار من موجبات العقول . وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا ان ذلك معلوم بالشرع دون العقل . وزعم أيضا ان رجلا لو بعث إلى امرأة يخطبها ليتزوجها وجاءته المرأة فوثب عليها فوطئها من غير عقد انه لاحد عليها . لانها جاءته على سبيل النكاح وأوجب الحد على الرجل لأنه قصد الزنى ، ولم يعلم هذا الجاهل ان المطاوعة للزانى زانية اذا لم تكن مكرهة ، وانما اختلف الفقهاء فيمن أكره امرأة على الزنى . فمنهم : من أوجب للمرأة مهراً وأوجب على الرجل حداً وبه قال الشافعى وفقهاء الحجاز . ومنهم : من أسقط الحد عن الرجل لأجل وجوب المهر عليه ولم يقل أحد من سلف الامة بسقوط الحد عن المطاوعة للزانى كما قال ابن مبشر . وكفاه بخلاف الاجماع خزيا .

وأما جعفر بن حرب فانه جرى على ضلالات أستاذه المردار وزاد عليه قوله : بان

---

(١) هو : الثقفى توفى سنة ٢٣٤ هـ . (٢) هو : الهمدانى توفى سنة ٢٣٦ هـ .

بعض الجملة غير الجملة . وهذا يوجب عليه أن تكون الجملة غير نفسها اذا كان كل بعض منها غيرها . وكان يزعم أن الممنوع من الفعل قادر على الفعل وليس يقدر على شيء هكذا حكى عنه الكعبي فى مقالاته . ويلزمه على هذا الأصل أن يجيز كون العالم بشيء ليس غير عالم به .

قال عبد القاهر : لابن حرب كتاب فى بيان ضلالاته وقد نقضنا عليه وسمينا نقضنا عليه بكتاب و الحرب على ابن حرب ، وفيه نقض أصوله وفصوله بحمد الله ومنه .

ذكر الاسكافية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن عبد الله الاسكافى (١) وكان قد أخذ ضلالته فى القدر عن جعفر بن حرب ثم خالفه فى بعض فروعه . وزعم ان الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين ، ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء . فخرج عن قول النظام بأنه لا يقدر على الظلم والكذب ، وخرج عن قول من قال من أسلافه انه يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لعلمه بقبحهما وغناه عنهما . وجعل بين القولين منزلة فزعم أنه انما يقدر على ظلم من لا عقل له ولا يقـدر على ظلم العقلاء . وأكفره أسلافه فى ذلك وأكفرهم هو فى خلافه . ومن تدقيقه فى ضلالته قوله : بأنه يجوز أن يقال ان الله يكلم العباد ، ولا يجوز أن يقال انه يتكلم وسماه مكلما ولم يسمه متكلما . وزعم أن متكلما يوهم أن الكلام قام به ومكلم لا يوهم ذلك كما أن متحركا يقتضى قيام الحركة به ومتكلما يقتضى قيام الكلام به . فصحيح عندنا أن كلام الله تعالى عندنا قائم به . وأما أسلافه من القدرية فانهم يقولون له ان اعتلالك هذا يوجب عليك أن يكون المتكلم من بدن الانسان لسانه فحسب لان الكلام عندك يحل فيه . بل يوجب عليك احالة اجراء اسم المتكلم على شيء لأن الكلام عندك وعنـد سائر المعتزلة له حروف ولا يصح أن يكون حرف واحد كلاما ومحل كل حرف من حروف الكلام غير محل الحرف الآخر فيجئ على اعتلالك أن لا يكون الانسان متكلما ولا جزءاً منه على قواعد اعتلالك ان الله تعالى لم يكن متكلما لان الكلام لا يقوم به عندك . وقد نجم بعض المعتزلة من الاسكافى بان زعم ان محمدا بن الحسن (٢) رآه ماشيا فنزل عن فرسه . وهذا كذب من قائله لأن الاسكافى لم يكن فى زمان محمد بن الحسن . ومات محمد بن الحسن بالرى فى خلافة هارون الرشيد ولم يدرك الاسكافى زمان الرشيد ولو أدرك زمان محمد لم يكن محمد

(١) توفى سنة ٢٤٠هـ . (٢) توفى سنة ١٨٩ رحمه الله

ينزل لمثله عن فرسه مع تكفيره إياه . وقد روى هشام بن عبيد الله الرازى (١) عن محمد بن الحسن : أن من صلى خلف المعتزلى يعيد صلاته . وروى هشام أيضا عن يحيى بن اكثم(٢) عن أبى يوسف (٣) أنه سئل عن المعتزلة . فقال : هم الزنادقة . وقد أشار الشافعى فى كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعـتزلة وأهل الأهواء . وبه قال مالك وفقهاء المدينة . فكيف يصح من أئمة الاسلام اكرام القـدرية بالنزول لهم مع قولهم بتكفيرهم ؟.

ذكر الثمامية منهم : هؤلاء أتباع ثمامة بن اشرس النميرى(٤) من مواليهم . وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون ، والمعتصم(٥) ، والواثق(٦) . وقيل انه هو الذى أغوى المأمون بان دعاه الى الاعتزال . وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما . احداهما : انه لما شاركه أصحاب المعارف فى دعواهم أن المعارف ضرورية زعم ان من لم يضطره الله تعالى الى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولامنهيا عن الكفر وكان مخلوقا للسخرة والاعتبار لحسب كسائر الحيوانات التى ليست بمكلفة . وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية ، والنصارى ، والزنادقة يصيرون فى الآخرة ترابا . وزعم ان الآخرة انما هى دار ثواب أو عقاب وليس فيها لمن مات طفلا ولالمن لايعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثواباً ، ولا معصية يستحقون عليها عقاباً فيصيرون حينئذ ترابا اذ لم يكن لهم حظ فى ثواب ولا عقاب . والبدعة الثانية من بدع ثمامة قوله بأن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها . وهذه الضلالة تجر إلى انكار صانع العالم لأنه لوصح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فعل بلا فاعل . ولم يكن حينئذ فى الأفعال دلالة على فاعلها ، ولاكان فى حدوث العالم دلالة على صانعه كما لو أجاز انسان وجود كتابة لا من كاتب ، ووجود مبنى أو منسوخ لامن بان ، أوناسخ . ويقال له : اذا كان كلام الانسان عندك متولداً ولافاعل له عندك فلم تلوم الانسان على كذبه وعلى كلمة الكفر ؟ وهو عندك غير فاعل للكذب ولا لكلمة الكفر .

ومن فضائح ثمامة أيضا انه كان يقول فى دار الاسلام : انها دار شرك وكان يحرم

(١) توفى سنة ٢٢١هـ . (٢) توفى سنة ٢٤٢هـ . (٣) توفى سنة ١٨٢هـ رحمه الله .
(٤) توفى سنة ٢١٣هـ . (٥) هو: الخليفة العباسى محمد بن هارون الرشيد توفى سنة ٢٢٧هـ .
(٦) هو: الخليفة العباسى هارون بن المعتصم توفى سنة ٢٣٢هـ .

السبي لان المسبي عنده ماعصى ربه إذا لم يعرفه . وانما العاصي عنده من عرف ربه بالضرورة ثم جحده أو عصاه . وفى هذا اقرار منه على نفسه بانه ولد زنى لأنه كان من الموالى وكانت أمه مسبية ووطء من لايجوز سبيها على حكم السبي الحرام زنى . والمولود منه ولد زنى . فبدعة ثمامة على هذا التقدير لائق بنسبه وقد حكى أصحاب التواريخ عن سخافة ثمامة ومجونه أموراً عجيبة :

منها : ما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب « مختلف الحديث » ذكر فيه ان ثمامة بن اشرس رأى الناس يوم جمعة يتعادون الى المسجد الجامع لخوفهم فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر الى هؤلاء الحمير والبقر . ثم قال : ماذا صنع ذاك العربي بالناس ؟ . يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى الجاحظ فى كتاب المضاحك : ان المأمون ركب يوما فرأى ثمامة سكران قد وقع فى الطين . فقال له : ثمامة ؟! قال : أي والله . قال : ألا تستحي .؟ قال : لا والله . قال : عليك لعنة الله . قال : تترى . ثم تترى .

وذكر الجاحظ أيضا : إن غلام ثمامة قال يوما لثمامة : قم : صل . فتغافل . فقال له : قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح . فقال : أنا مستريح إن تركتني .

وذكر صاحب تاريخ المراوزة : ان ثمامة بن أشرس سعى إلى الواثق باحمد بن نصر المروزى (١) وذكر له انه يكفر من ينكر رؤية الله تعالى ، ومن يقول بخلق القرآن فاعتصم المعتصم ببدعة القدرية فقتله ثم ندم على قتله ، وعاتب ثمامة ، وابن دواد (٢) ، وابن الزيات (٣) فى ذلك وكانوا أشاروا عليه بقتله . فقال له ابن الزيات : وان لم يكن قتله صوابا فقتلني الله تعالى بين الماء والنار . وقال ابن أبي دواد : حبسني الله فى جلدى ان لم يكن قتله صوابا . وقال ثمامة : سلط الله تعالى على السيوف ان لم تكن أنت مصيبا فى قتله .

---

(١) كان من أولاد الأمراء عالما صالحا لم يجب فى محنة القرآن بل أغلظ للواثق فى الخطاب فقتل سنة ٢٣١ هـ . رحمه الله . ولتقدم وفاة ثمامة بدهر لاتصح الحكاية .

(٢) هو : القاضى احمد بن أبي دواد المعتزلى القائم بامتحان أهل الحديث فى خلق القرآن . أخذ الاعتزال عن أبي الهذيل كما يقول أبو الحسين الملطى توفى سنة ٢٤٠ هـ . وقد توسع ابن خلكان فى ترجمته . (٣) هو : محمد بن عبد الملك الوزير الظالم وزر للمعتصم ، والواثق ، والمتوكل . ثم قبض عليه المتوكل فعذبه وسجنه حتى هلك سنة ٢٣٣ هـ .

فاستجاب الله تعالى دعاء كل واحد منهم فى نفسه . أما ابن الزيات فانه دخل فى الحمام وسقط فى أتونه فمات بين الماء والنار . وأما ابن أبى دواد فان المتوكل رحمه الله حبسه فاصابه فى حبسه الفالج فبقى فى جلده محبوساً بالفالج الى أن مات . وأما ثمامة فانه خرج الى مكة فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروة فنادى رجل منهم فقال : يا آل خزاعة . هذا الذى سعى بصاحبكم احمد بن نصر ، وسعى فى دمه . فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه . ثم أخرجوا جيفته من الحرم فاكلته السباع خارجا من الحرم . فكان كما قال الله تعالى : « فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (١) » .

ذكر الجاحظية منهم : هؤلاء أتباع عمرو بن بحر الجاحظ (٢) وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ فى كتبه التى لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول . ولو عرفوا جهالاته فى ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه انسانا فضلا عن أن ينسبوا اليه احسانا .

فمن ضلالاته المنسوبة اليه ماحكاه الكعبى عنه فى مقالاته مع افتخاره به من قوله : ان المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم قالوا ووافق ثمامة فى أن لا فعل للعباد إلا الارادة وإن سائر الأفعال تنسب الى العباد على معنى انها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بارادتهم . قال : وزعم أيضا انه لايجوز أن يبلغ أحد فلا يعرف الله تعالى . والكفار عنده ما بين معاند وعارف قد استغرقه حبه لمذهبه فهو لايشكر بما عنده من المعرفة بخالقه وتصديق رسله فان صدق الكعبى على الجاحظ فى أن لافعل للانسان إلا الارادة لزمه أن لايكون الانسان مصليا ، ولاصائما ، ولاحاجا ، ولازانيا ، ولاسارقا ، ولا قاذفا ، ولا قاتلا . لأنه لم يفعل عنده صلاة ، ولا صوما . ولا حجا ، ولا زنى ، ولا سرقة ، ولا قتلا ، ولا قذفا . لأن هذه الأفعال عنده غير الارادة واذا كانت هذه الأفعال التى ذكرناها عنده طباعا لا كسبا لزمه أن لايكون للانسان عليها ثواب ولا عقاب لأن الانسان لايثاب ولا يعاقب على مالا يكون كسبا له كما لايثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه إذا لم يكن ذلك من كسبه .

---

(١) سورة الطلاق : مدنية ٩ . (٢) هو : عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلى لم يصل الينا من كتب أهل طبقته قدر ماوصل الينا من مؤلفاته وله منزلة سامية عند أهل الأدب على زيغه . يثق ابن حزم بنقله توفى سنة ٢٥٦ هـ . ويقول عنه أبو الحسين الملطى : كان صاحب تصنيف ولم يكن صاحب جدل .

ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله : باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها . وهذا يوجب القول بان الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شيء ولا يقـدر على افنائه . وانه لايصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفرداً كما كان منفرداً قبل أن خلق الخلق . ونحن وان قلنا ان الله لايفنى الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ولسنا نجعل ذلك بأن الله عز وجل غير قادر على إفناء ذلك كله ، وانما نقول بدوام الجنة والنار بطريق الخبر .

ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله : بأن الله لايدخل النار أحداً وانما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها ، ثم تمسكهم فى نفسها على الخلود . ويلزمه على هذا القول أن يقول فى الجنة انها تجذب أهلها الى نفسها بطبعها وان الله لايدخل أحداً الجنة . فان قال بذلك قطع الرغبة إلى الله فى الثواب وأبطل فائدة الدعاء . وان قال : إن الله تعالى هو يدخل أهل الجنة الجنة لزمه القول بان يدخل النار أهلها . وقد افتخر الكعبي بالجاحظ وزعم أنه من شيوخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه الكثيرة وزعم أنه كنانى من بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . فيقال له : ان كنت كنانياً كما زعمت فلم صنفت كتاب مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية . وان كنت عربيا فلم صنفت كتاب فضل الموالى على العرب . وقد ذكر فى كتابه المسمى « بمفاخر قحطان على عدنان » أشعاراً كثيرة من هجاء القحطانية للعدنانية . ومن رضى بهجو آبائه كمن هجا أباه . وقد أحسن جحظة فى هجاء ابن بسام[1] الذى هجا أباه فقال : من كان يهجو أباه . فهجوه قد كفاه . لوانه من ابيه . ما كان يهجو أباه . وأما كتبه المزخرفة فاصناف . منها : كتاب فى « حيل اللصوص » وقد علم بها الفسقة وجوه السرقة . ومنها : كتابه فى « غش الصناعات » وقد أفسد به على التجار سلعهم . ومنها : كتابه فى « النواميس » وهو ذريعة للمحتالين يحتلبون بها ودائع الناس وأموالهم . ومنها : كتابه فى « الفتيا » وهو مشحون بطعن أسـتاذه النظام على أعلام الصحابة . ومنها : كتبه فى « القحاب، والكلاب، واللاطة » وفى « حيل المكدين » ومعانى هذه الكتب لائقة به وبصفته وأسرته . ومنها : كتاب « طبائع الحيوان » وقد سلخ فيه معانى كتاب «الحيوان» لارسطاطاليس[2] وضم اليه ماذكره المدائنى[3] من حكم العرب

---

(١) هو: على بن محمد بن ناصر بن منصور بن بسام الكاتب توفى سنة ٣٠٢هـ .

(٢) هو الفيلسوف اليونانى المشهور تلمذ لافلاطون نحو عشرين سنه ثم وزر للاسكندر المقدونى

(٣) هو ابو الحسن على بن محمد الأخبارى المشهور صاحب المؤلفات . ولم يذكر صاحب

وأشعارها فى منافع الحيوان ثم انه شحن الكتاب بمناظرة بين الكلب والديك والاشتغال بمثل هذه المناظرة يضيع الوقت بالغث ومن افتخر بالجاحظ سلمناه اليه وقول أهل السنة فى الجاحظ كقول الشاعر فيه : —

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى فى كل طرف لاحظ

ذكر الشحامية منهم : هؤلاء أتباع أبى يعقوب الشحام (١) وكان أستاذ الجبائى وضلالاته كضلالات الجبائى غير أنه أجاز كون مقدور واحد لقادرين وامتنع الجبائى وابنه من ذلك وقد ظن بعض الاغبياء ان قول الشحام كقول الصفاتية فى مقدور لقادرين وبين القولين فرق واضح وذلك : ان الشحام أجاز كون مقدور واحد لقادرين يصح أن يحدثه كل واحد منهما على البدل . وكذلك حكاه الكعبي فى كتاب عيون المسائل على أبى الهذيل . والصفاتية لا يثبتون خالقين وانما يجوزون كون مقدور واحد لقادرين . احدهما : خالقه ، والآخر : مكتسب له . وليس الخالق مكتسبا ولا المكتسب خالقا . وفى هذا بيان الفرق بين الفريقين على اختلاف الطريقين .

ذكر الخياطية منهم : هؤلاء أتباع أبى الحسين الخياط (٢) الذى كان استاذ الكعبي فى ضلالته وشارك الخياط سائر القدرية فى أكثر ضلالاتها وانفرد عنهم بقول لم يسبق اليه فى المعدوم وذلك أن المعتزلة اختلفوا فى تسمية المعدوم شيئاً ، منهم من قال : لايصح أن يكون المعدوم معلوما ومذكوراً ، ولايصح كونه شيئا ولا ذاتاً ، ولاجوهراً ، ولاعرضا . وهذا

« الفهرس » كتاب « الحيوان » فى عداد مؤلفاته . ويدعيه بعض المعتزلة توفى سنة ٢٢٥ هـ عن مائة سنة .

(١) هو : يوسف بن عبد الله بن اسحاق الشحام من صغار أصحاب أبى الهذيل ويسميه أبو الحسين الملطى على بن محمد الشحام على خلاف ماعليه الجمهور . كان على ديوان الخراج أيام الواثق .

(٢) هو : عبد الرحيم بن محمد من أصحاب جعفر بن مبشر ولعله توفى سنة ٢٩٠ هـ وكتاب « الانتصار » له مطبوع يرد به على « فضيحة المعتزلة » لابن الراوندى ويبرئهم عن كثير مما يعزوه اليهم . وهو كتاب مفيد فى تحقيق مانسب اليهم وبه يتضح مذهب الرجل أكثر من أى كتاب آخر .

اختيار الصالحي منهم وهو موافق لاهل السنة فى المنع فى تسمية المعدوم شيئا . وزعم آخرون من المعتزلة أن المعدوم شيء ومعلوم ومذكور وليس بجوهر ولاعرض وهذا اختيار الكعبي منهم . وزعم الجبائى وابنه أبو هاشم ان كل وصف يستحقه الحادث لنفسه أولجنسه فان الوصف ثابت له فى حال عدمه . وزعم أن الجوهر كان فى حال عدمه جوهراً، وكان العرض فى حال عدمه عرضا، وكان السواد سوادا، والبياض بياضا فى حال عدمهما. وامتنع هؤلاء كلهم عن تسمية المعدوم جسما من قبل أن الجسم عندهم مركب وفيه تأليف، وطول، وعرض، وعمق ولايجوز وصف معدوم بما يوجب قيام معنى به. وفارق الخياط فى هذا الباب جميع المعتزلة وسائر فرق الأمة. فزعم أن الجسم فى حال عدمه يكون جسما لانه يجوز أن يكون فى حال حدوثه جسما ولم يجز ان يكون المعدوم متحركا لأن الجسم فى حال حدوثه لايصح أن يكون متحركا عنده فقال : كل وصف يجوز ثبوته فى حال الحدوث فهو ثابت له فى حال عدمه ويلزمه على هذا الاعتلال أن يكون الانسان قبل حدوثه انسانا لأن الله تعالى لو أحدثه على صورة الإنسان بكمالها من غير نقل له فى الاصلاب والارحام، ومن غير تغيير له من صورة إلى صورة أخرى يصح ذلك . وكان هؤلاء الخياطية يقال لهم المعدومية لإفراطهم بوصفهم المعدوم باكثر أوصاف الموجودات. وهذا اللقب لائق بهم، وقد نقض الجبائى على الخياط قوله بان الجسم جسم قبل حدوثه فى كتاب مفرد . وذكر ان قوله بذلك يؤديه إلى القول بقدم الأجسام . وهذا الالزام متوجه على الخياط ويتوجه مثله على الجبائى وابنه فى قولهما بان الجواهر والاعراض كانت فى حال العدم أعراضاً وجواهر فاذا قالوا : لم تزل أعيانا وجواهر، وأعراضا ولم يكن حدوثها لمعنى سوى اعيانها فقد لزمهم القول بوجودها فى الأزل وصاروا فى التحقيق إلى معنى قول الذين قالوا بقدم الجواهر والاعراض . وكان الخياط مع ضلالته فى القدر وفى المعدومات منكر الحجة فى أخبار الآحاد وما أراد بانكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فان أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد . وللكعبي عليه كتاب فى حجة أخبار الآحاد وقد ضلل فيه من أنكر الحجة فيها . وقلنا للكعبي يكفيك من الخزى والعار انتسابك الى أستاذ تقر بضلالته .

ذكر الكعبية منهم : هؤلاء أتباع أبى القاسم عبد الله بن احمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبي(١)، وكان حاطب ليل يدعى فى أنواع العلوم على الخصوص والعموم ولم يحظ فى

---

(١) هو : مؤلف كتاب « المقالات » المشهور أخذ الاعتزال عن أبى الحسين الخياط

شيء منها باسراره ولم يحط بظاهره فضلا عن باطنه . وخالف البصريين من المعتزلة فى أحوال كثيرة .

منها : ان البصريين منهم أقروا بان الله تعالى يرى خلقه من الأجسام والألوان وأنكروا أن يرى نفسه كما أنكروا ان يراه غيره . وزعم الكعبي ان الله تعالى لايرى نفسه ولا غيره إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره وتبع النظام فى قوله : ان الله تعالى لا يرى شيئا فى الحقيقة .

ومنها : ان البصريين منهم مع أصحابنا فى أن الله عز وجل سامع للكلام والأصوات على الحقيقة لاعلى معنى انه عالم بهما . وزعم الكعبي والبغداديون من المعتزلة : ان الله تعالى لايسمع شيئا على معنى الادراك المسمى بالسمع وتأولوا وصفه بالسميع البصير على معنى انه عليم بالمسموعات التى يسمعها غيره والمرئيات التى يراها غيره .

ومنها : ان البصريين منهم مع أصحابنا فى أن الله عز وجل مريد على الحقيقة غير أن أصحابنا قالوا : انه لم يزل مريداً بارادة أزلية ، وزعم البصريون من المعتزلة انه يريد بارادة حادثة لا فى محل . وخرج الكعبي والنظام وأتباعهما عن هذين القولين . وزعموا أنه ليست لله تعالى ارادة على الحقيقة . وزعموا انه اذا قيل أن الله عز وجل أراد شيئا من فعله فمعناه أنه فعله ، واذا قيل أنه أراد من عنده فعلا فمعناه انه أمر به . وقالوا : إن وصفه بالارادة فى الوجهين جميعا مجاز كما أن وصف الجدار بالارادة فى قول الله تعالى : « جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً [1] » مجاز وقد أكفرهم البصريون مع أصحابنا فى نفيهم إرادة الله عز وجل .

ومنها : ان الكعبي زعم أن المقتول ليس بميت وعاند قول الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور[2] » ، وسائر الأمة مجمعون على أن كل مقتول ميت وأنى يصح ميت غير مقتول ؟ .

ومنها : ان الكعبي على قول من أوجب على الله تعالى فعل الأصلح فى باب التكليف .

ومنها : ان البصريين مع أصحابنا فى أن الاستطاعة معنى غير صحة البدن والسلامة من

وكان الجبائى يفضله على شيخه توفى سنة ٣١٩ هـ .

(١) سورة الكهف : مكية ٧٧ . (٢) سورة آل عمران : مدنية ١٨٥ .

الآفات . وزعم الكعبي انها ليست غير الصحة والسلامة ، والبصريون من المعتزلة يكفرون البغداديين منهم ، والبغداديون يكفرون البصريين وكلا الفريقين صادق فى تكفير الفريق الآخر كما بيناه فى كتاب « فضائح القدرية » .

ذكر الجبائية منهم : هؤلاء أتباع أبي على الجبائى (١) الذى أضل أهل خوزستان وكانت المعتزلة البصرية فى زمانه على مذهبه ثم انتقلوا بعده إلى مذهب ابنه أبى هاشم . فمن ضلالات الجبائى انه سمى الله عز وجل مطيعاً لعبده اذا فعل مراد العبد . وكان سبب ذلك انه قال يوما لشيخنا أبى الحسن الأشعرى رحمه الله : مامعنى الطاعة عندك ؟. فقال : موافقة الأمر . وسأله عن قوله فيها . فقال الجبائى : حقيقة الطاعة عندى موافقة الارادة . وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه . فقال شيخنا أبوالحسن رحمه الله : يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده اذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال له شيخنا رحمه الله : خالفت اجماع المسلمين وكفرت برب العالمين . ولو جاز أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده لجاز أن يكون خاضعا له . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم ان الجبائى زعم أن أسماء الله تعالى جارية على القياس . وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله . وألزمه شيخنا أبو الحسن رحمه الله أن يسميه بمحبل النساء لأنه خالق الحبل فيهن فالتزم ذلك . فقال له : بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى فى تسمية الله أبا لعيسى مع امتناعهم من القول بانه محبل مريم . ومن ضلالات الجبائى أيضا أنه أجاز وجود عرض واحد فى أمكنة كثيرة وفى أكثر من ألف ألف مكان . وذلك أنه أجاز وجود كلام واحد فى ألف ألف محل(٢) وزعم أن الكلام المكتوب فى محل إذا كتب فى غيره كان موجوداً فى المحلين من غير انتقال منه عن المكان الأول الى الثانى ومن غير حدوث فى الثانى . وكذلك ان كتبت فى ألف مكان أو ألف ألف محل . وزعم هو وابنه أبو هاشم أن الله تعالى إذا أراد أن يفنى العالم خلق عرضاً لا فى محل أفنى به جميع الأجسام والجواهر ولايصح فى قدرة الله تعالى أن يفنى بعض الجواهر مع بقاء بعضها . وقد خلقها تفاريق ولا يقدر على افنائها تفاريق . وقد حكى أن شيخنا أبا الحسن رحمه الله قال للجبائى : اذا

(١) هو : محمد بن عبد الوهاب توفى سنة ٣٠٣ هـ . له نحو أربعين الف ورقة فى الكلام وتفسيره فى مائة جزء .

(٢) وليعتبر بالراديو الناقل للصوت الواحد الى الآف من الأمكنة

زعمت أن الله تعالى قد شاء كل ما أمر به فما تقول فى رجل له على غيره حق يماطله فيه ؟ فقال له : والله لأعطينك حقك غداً ان شاء الله ثم لم يعطه حقه فى غده . فقال : يحنث فى يمينه لان الله تعالى قد شاء أن يعطيه حقه فيه . فقال له . خالفت إجماع المسلمين قبلك لأنهم اتفقوا قبلك على أن من قرن يمينه بمشيئة الله عز وجل لم يحنث اذا لم يقر به .

ذكر البهشمية : هؤلاء أتباع أبى هاشم (١) بن الجبائى واكثر معتزلة عصرنا على مذهبه لدعوة ابن عباد(٢) وزير آل بويه اليه. ويقال لهم: الذمية . لقولهم : باستحقاق الذم لاعلى فعل وقد شاركوا المعتزلة فى أكثر ضلالاتها وانفردوا عنهم بفضائح لم يسبقوا اليها .

منها : قولهم باستحقاق الذم والعقاب لاعلى فعل وذلك أنهم زعموا : أن القادر منها يجوز أن يخلو من الفعل والشرك مع ارتفاع الموانع من الفعل والذى الجاهم إلى ذلك أن أصحابنا قالوا للمعتزلة: إذا أجزتم تقدم الاستطاعة على الفعل لزمكم التسوية بين الوقتين والاوقات الكثيرة فى تقدمها عليه فكانوا يختلفون فى الجواب عن هذا الالزام. فنهم من كان يوجب وقوع الفعل أو ضده بالاستطاعة فى الحال الثانية من حال حدوث الاستطاعة إلى وقت حدوث الفعل ويوجب وقوع الفعل أو ضده عند عدم الموانع. ويزعم مع ذلك أن القدرة لاتكون قدرته عليه فى حال حدوثه. ومنهم من أجاز عدم القدرة مثل حدوث الفعل ومع حدوث العجز الذى هو ضد القدرة التى قدعدمت بعد وجودها ورأى أبوهاشم ابن الجبائى توجه الزام أصحابنا عليهم فى التسوية بين الوقتين والاوقات الكثيرة فى جواز تقدم الاستطاعة على الفعل ان جاز تقدمها عليه ولم يجد للمعتزلة عنه انفصالا صحيحا فالتزم التسوية وأجاز بقاء المستطيع أبداً مع بقاء قدرته وتوفر الآلة وارتفاع الموانع عنه خاليا من الفعل والترك . فقيل له: على هذا الاصل أرأيت لوكان هذا القادر مكلفا ومات قبل أن يفعل بقدرته طاعة له ماذا يكون حاله ؟ . فقال : يستحق الذم والعقاب الدائم لا على فعل ولكن من أجل أنه لم يفعل ماأمر به مع قدرته عليه وتوفر الآلة فيه وارتفاع الموانع منه . فقيل له كيف استحق العقاب بأن لم يفعل ما أمر به وان لم يفعل مانهى

(١) هو عبد السلام بن محمد توفى سنة ٣٢١ ﻫ وضع مائة وستين كتابا فى الجدل وخالف أباه فى تسع وعشرين مسألة . وأبوه خالف أبا الهذيل فى تسع عشر مسألة . قاله أبو الحسين الملطى .(٢) هو الصاحب اسماعيل وزير آل بويه ، الكاتب المشهور جمع بين الاعتزال والتشيع توفى سنة ٣٨٥ ﻫ .

عنه دون أن يستحق الثواب بأن لم يفعل مانهى عنه وان لم يفعل ماأمر به.وكان اسلافه من المعتزلة يكفرون من يقول: ان الله تعالى يعذب العاصى على اكتساب معصية لم يخترعها العاصى . وقالوا: الآن إن تكفير أبى هاشم فى قوله بعقاب من ليس فيه معصية لامن فعله ولامن فعل غيره أولى . والثانى : أنه سمى من لم يفعل ما أمر به عاصيا وان لم يفعل معصية ولم يوقع اسم المطيع إلا على من فعل طاعة. ولو صح عاص بلامعصية لصح مطيع بلاطاعة ولصح كافر بلا كفر. ثم إنه مع هذه البدع الشنعاء زعم أن هذا المكلف لو تغير تغيراً قبيحا يستحق بذلك قسطين من العذاب . أحدهما : للقبيح الذى فعله . والثانى : لأنه لم يفعل الحسن الذى أمر به ولو تغير تغيراً حسنا وفعل مثل أفعال الانبياء وكان الله تعالى قد أمره بشىء فلم يفعل ولافعل ضده لصار مخلدا . وسائر المعتزلة يكفرونه فى هذه المواضع الثلاثة .

أحدها : استحقاق العقاب لا على فعل . والثانى : استحقاق قسطين من العذاب اذا تغير تغيراً قبيحا . والثالث : فى قوله : انه لو تغير تغيراً حسنا وأطاع بمثل طاعة الأنبياء عليهم السلام ولم يفعل شيئا واحداً مما أمره الله تعالى به ولاضده لاستحق الخلود فى النار . وألزمه أصحابنا فى الحدود مثل قوله فى القسطين حتى يكون عليه حدان حد الزنى الذى قد فعله ، والثانى لأنه لم يفعل ماوجب عليه من ترك الزنى . وكذلك القول فى حدود القذف، والقصاص ، وشرب الخمر ، وألزموه ايجاب كفارتين على المفطر فى شهر رمضان .

احداهما : لفطره الموجب للكفارة . والثانية بان لم يفعل ماوجب عليه من الصوم والكف عن الفطر فلما رأى ابن الجبائى توجه هذا الإلزام عليه فى بدعته هذه ارتكب ماهو أشنع منها فراراً من ايجاب حدين وكفارتين فى فعل واحد فقال : إنما نهى عن الزنى، والشرب، والقذف . فأما ترك هذه الأفعال فغير واجب عليه . والزموه أيضا القول بثلاثة أقساط وأكثر لاالى نهاية لأنه أثبت قسطين فيما هو متولد عنده قسطا لأنه لم يفعله، وقسطا لأنه لم يفعل سببه وقد وجدنا من المسببات مايتولد عنده من أسباب كثيرة بتقدمه كاصابة الهدف بالسهم فانها يتولد عنده من حركات كثيرة يفعلها الرمى فى السهم ، وكل حركة منها سبب لما يليها الى الاصابة . ولو كانت مائة حركة فالمائة منها سبب الاصابة فيبق على أصله إذا أمره الله تعالى بالاصابة فلم يفعلها أن يستحق مائة قسط وقسطاً آخر الواحد منها ان لم يفعل الاصابة والمائة لأنه لم يفعل تلك الحركات . ومن أصله أيضا أنه إذا كان مأموراً بالكلام فلم يفعله استحق عليه قسطين قسطا لأنه لم يفعل الكلام

وقسطا لأنه لم يفعل سببه ولو انه فعل ضد سبب الكلام لاستحق قسطين . وقام هذا عنده مقام السبب الذى لم يفعله فقلنا له : هل استحق ثلاثة أقساط . قسطا لأنه لم يفعل الكلام، وقسطا لأنه لم يفعل سببه ، وقسطا لأنه ضد سبب الكلام . وقد حكى بعض أصحابنا عنه إنه لم يكن يثبت القسطين إلا فى ترك سبب الكلام وحده . وقد نص فى كتاب « استحقاق الذم » على خلافه وقال فيه كل ماله ترك مخصوص فحكمه حكم سبب الكلام . وما ليس له ترك مخصوص فحكمه حكم ترك العطية الواجبة كالزكاة ، والكفارة ، وقضاء الدين ، ورد المظالم ، وأراد بهذا أن الزكاة ، والكفارة ، وما أشبههما لاتقع بجارحة مخصوصة ولا له ترك واحد مخصوص . بل لو صلى ، أو حج ، أو فعل غير ذلك كان جميعه تركا للزكاة ، والكلام سبب تركه مخصوص فكان تركه قبيحا فاذا ترك سبب الكلام استحق لأجله قسطا . وليس للعطية ترك قبيح فلم يستحق عليه قسطا آخر أكثر من أن يستحق الذم لأنه لم يؤد فيقال له : إن لم يكن ترك الصلاة والزكاة قبيحاً وجب أن يكون حسنا . وهـــذا خروج عن الدين فما يؤدى اليه مثله . ومن مناقضاته فى هذا الباب انه سمى من لم يفعل ما وجب عليه ظالما ، وان لم يوجد منه ظلم . وكذلك سماه كافراً ، وفاسقا وتوقف فى تسميته إياه عاصيا . فأجاز أن يخلد الله فى النار عبداً لم يستحق اسم عاص . وتسميته إياه فاسقا ، وكافراً يوجب عليه تسميته بالعاصى وامتناعه من هذه التسمية يمنعه من تسميته فاسقاً وكافراً ، ومن مناقضاته فيه أيضا ماخالف فيه الاجماع بفرقه بين الجزاء والثواب حتى أنه قال : يجوزأن يكون فى الجنة ثواب كثير لايكون جزاء ويكون فى النارعقاب كثير لايكون جزاء وانما امتنع من تسميته جزاء لأن الجزاء لايكون إلاعلى فعل وعنده أنه قد يكون عقاب لا على فعل . وقيل له إذا لم يكن جزاء إلا على فعل فما تنكر أنه لاثواب ولاعقاب إلا على فعل .

والفضيحة الثانية : من فضائح أبى هاشم قوله باستحقاق الذم والشكر على فعل الغير فزعم أن زيداً لو أمر عمراً بأن يعطى غيره فأعطاه استحق الشكر على فعل الغير من قابض العطية على العطية التى هى فعل غيره وكذلك لوأمره بمعصية ففعلها لايستحق الذم على نفس المعصية التى هى فعل غيره . وليس قوله فى هذه كقول سائر فرق الأمة أنه يستحق الشكر أو الذم على أمره إياه به لاعلى الفعل المأمور به الذى هو فعل غيره . وهذا المبتدع يوجب له شكرين أو ذمين ، أحدهما : على الأمر الذى هو فعله والآخر: على المأمور به الذى هو فعل غيره . وكيف يصح هذا القول على مذهبه مع انكاره على أصحاب الكسب قولهم

بان الله تعالى يخلق اكساب عباده ثم يثيبهم أويعاقبهم عليها ويقال له : ماأنكرت على هذا الأصل الذى هو فعل غيره انفردت به من قول الأزارقة : ان الله تعالى يعذب طفل المشرك على فعل أبيه . وقيل إذا أجزت ذلك فأجز أن يستحق العبد الشكر والثواب على فعل فعله الله تعالى عند فعل العبد مثل: أن يسق أويطعم من قد أشرف على الهلاك فيعيش ويحي فيستحق الشكر والثواب على نفس الحياة والشبع والرى الذى هو من فعل الله تعالى. والفضيحة الثالثة : من فضائحه قوله فى التوبة لأنها لاتصح مع ذنب مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه قبيحا أو يعتقده قبيحاً وان كان حسنا. وزعم أيضا أن التوبة من الفضائح لاتصح مع الاصرار على منع حبة تجب عليه وعول فيه على دعواه فى الشاهد : إن من قتل ابناً لغيره وزنى بحرمته يحسن منه قبوله توبة من أحد الذنبين مع اصراره على الآخر وهذه دعوى غير مسلمة له فى الشاهد . بل يحسن فى الشاهد قبوله التوبة من ذنب مع العقاب على الآخر كالإمام يعقه أبنه ، ويسرق أموال الناس، ويزنى بجواريه ثم يعتذر إلى أبيه فى العقوق فيقبل توبته فى العقوق عقوقه وفيا خانه فيه من ماله ، ويقطع يده فى مال غيره، ويجلده فى الزنى . ومما عول عليه فى هذا الباب قوله : انما وجب عليك ترك القبيح لقبحه فاذا أصر على قبح آخر لم يكن تاركا للقبيح المتروك من أجل قبحه. وقلنا له ماتنكر أن يكون وجوب ترك القبيح لازالة عقابه عن نفسه فيصح خلاصه من عقاب ماتاب عنه وان عوقب على مالم يتب عنه . وقلنا له : اكثر ما فى هذا الباب أن يكون التائب عن بعض ذنوبه قدناقض وتاب عن ذنبه لقبحه وأصر على قبيح آخر فلم تصح توبته من الذى تاب منه. كما أن الخارجى وغيره ممن يعتقد اعتقادات فاسدة وعنده أنها حسنة يصح عندك من التوبة عن قبائح يعلم قبحها مع اصراره على قبائح قد اعتقد حسنها ويلزمك على أصلك هذا اذا قلت أنه مأمور باجتناب كل مااعتقده قبيحا أن تقول فى الواحد منا إذا اعتقد قبح مذاهب أبى هاشم وزنى ، وسرق أن لايصح توبته الا بترك جميع ما اعتقده قبيحا فيكون مأموراً باجتناب الزنى والسرقة وباجتناب مذاهب أبى هاشم كلها لاعتقاده قبحها وقد سأله أصحابنا عن يهودى اسلم وتاب عن جميع القبائح غير أنه أصر على منع حبة فضة من مستحقها عليه من غير استحلالها ولاجحود لها هل صحت توبته من الكفر ؟ فان قال نعم . نقض اعتلاله . وان قال : لا . عاند اجماع الأمة . ومن قوله أنه لم يصح اسلامه وأنه كافر على يهوديته التى كانت قبل توبته ثم أنه لم تجر عليه أحكام اليهود فزعم أنه غير تائب من اليهودية بل هو مصر عليها وهو مع ذلك ليس يهوديا . وهذه مناقضة بينة . وقيل له

إن كان مصراً على يهوديته فأبح ذبيحته وخذ الجزية منه . وذلك خلاف قول الأمة .

والفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله فى التوبة أيضا إنها لاتصح عن الذنب بعد العجز عن مثله فلا يصح عنده توبة من خرس لسانه عن الكذب ، ولاتوبة من جب ذكره عن الزنى . وهذا خلاف قول جميع الأمة قبله . وقيل له : أرأيت لواعتقد أنه لوكان له لسان وذكر لكذب وزنى كان ذلك من معصيته ؟ فاذا قال : نعم . قيل فكذلك إذا اعتقد انه لو كان له آلة الكذب والزنى لم يعص الله تعالى بهما وجب أن يكون ذلك من طاعة وتوبة . وكان ابوهاشم مع افراطه فى الوعيد أفسق أهل زمانه وكان مصراً على شرب الخمر وقيل أنه مات فى سكره حتى قال فيه بعض المرجئة : ـ

يعيب القــول بالإرجاء حتى   يرى بعض الرجاء من الجرائر
واعظم من ذوى الارجاء جرما   وعيــدى أصر على الكبائر

والفضيحة الخامسة : من فضائحه قوله فى الارادة المشروطة وأصلها عنده قوله : بانه لايجوز أن يكون شىء واحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه آخر ، والذى الجاءإلى ذلك أنه تكلم على من قال بالجهات فى الكسب والخلق فقال: لاتخلو الوجهة التى هى الكسب من أن تكون موجودة أو معدومة فان كان ذلك الوجه معدوما كان فيه اثبات شىء واحد موجوداً ومعدوما. وان كان موجودا لم يخل من أن يكون مخلوقا ام لا .فان كان مخلوقا ثبت أنه مخلوق من كل وجه وان لم يكن مخلوقا صار الفعل قديما من وجه مخلوقا من وجه آخر . وهذا محال . فألزم على هذا كون الشىء مراداً من وجه مكروها من وجه آخر وقيل له : إن الارادة عندك لاتتعلق بالشىء إلاعلى جهة الحدوث وكذلك الكراهة . فاذا كان مراداً من جهة مكروها من جهة أخرى وجب أن يكون المريد قد أراد ما أراد وكره ما أراد وهذا متناقض . فقال: لا يكون المريد للشىء مريداً له إلا من جميع وجوهه حتى لايجوز أن يكرهه من وجه . فألزم عليه المعلوم والمجهول إذ لا يشكر كون شىء واحد معلوما من وجه مجهولا من وجه آخر . ولما ارتكب قوله بأن الشىء الواحد لايكون مراداً من جهة مكروهـا من جهة أخرى حلت على نفسه مسائل فيها هدم أصول المعتزلة . وقد ارتكب أكثرها .

منها : أنه يلزمه أن يكون من القبائح العظام مالم يكرهه الله تعالى اومن الحسن الجميل مالم يرده . وذلك : أنه إذا كان السجود لله تعالى يكون عبادة له والسجود للصنم يكون عبادة للصنم مع أن السجود للصنم قبيح عظيم، والسجود لله حسن جميل. وكذلك : إذاأراد

أن يكون القول بان محمداً رسول الله إخباراً عن محمد بن عبد الله وجب أن لايكرهه أن يكون إخباراً عن محمد آخر مع كون ذلك كفراً . ولزمه إذا كره الله تعالى أن يكون السجود عبادة للصنم أن لايريد كونه عبادة لله تعالى مع كونه عبادة لله طاعة حسنة وركب هذا كله وذكر في « جامعه الكبير » أن السجود للصنم لم يكرهه الله تعالى وأبى أن يكون الشيء الواحد مراداً مكروهاً من وجهين مختلفين . وقال فيه : أما أبو علي يعني أباه فانه يجيز ذلك وهو عندي غير مستمر على الأصول لأن الارادة لاتتناول الشيء الاعلى طريق الحدوث عندنا وعنده فلو أراد حدوثه وكره لوجب أن يكون قد كره ماأراد ، اللهم إلا ان يكون له حدوثان . وهذا الذي عول عليه على أصلنا باطل لأن الارادة عندنا قد تتعلق بالمراد على وجه الحدوث وعلى غير وجه الحدوث وليس يلزم أباه ماألزمه وله عن الزامه جواب وقلب . أما الجواب : فان أباه لم يرد بقوله ان الارادة تتعلق بالشيء على وجه الحدوث ماذهب اليه أبو هاشم وانما أراد بذلك أنها تتعلق به في حال حدوثه بحدوثه أو بصفة يكون عليها في حال الحدوث . مثل أن يريد حدوثه ويريد كونه طاعة لله تعالى وهي صفة عليها يكون في حال الحدوث وهذا كقولهم إن الأمر ، والخبر لايكونان أمراً وخبراً إلا بالارادة اما إرادة المأمور به على أصل أبي هاشم وغيره أو إرادة كونه أمراً وخبراً كما قاله ابن الاخشيد (١) منهم لأن الله تعالى قد قال : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن (٢) » وقد أراد حدوث كلامه ، وأراد الايمان منهم وليس قولهم فليؤمن مع ذلك أمراً ، بل هو تهديد لأنه لم يرد كون هذا القول أمراً . وكذلك الخبر لايكون خبراً عندهم حتى يريد كونه خبراً عن زيد دون عمرو . مع أن هذا ليس بارادة لحدوث الشيء . وبان بهذا أن كراهة الله تعالى أن يكون السجود عبادة للصنم غير إرادته لحدوثه فلم يلزم ماذكره أبو هاشم من كونه مراداً من الوجه الذي كرهه . ووجه القلب عليه أن يقال إن الله تعالى قد نهى عن السجود للصنم وقد نص عليه وقد ثبت من أصل المعتزلة ان الله تعالى لايأمر إلا بحدوث الشيء ولا ينهى إلا عن حدوثه . وقد ثبت انه أمر بالسجود عبادة له فيلزمه أن يكون نهى عنه من الوجه الذي أمر به . لأنه لاينهى إلا عن إحداث الشيء وليس للسجود إلا حدوث واحد . ولو كان له حدوثان لزمه أن يكون محدثا من وجه غير

---

(١) هو : أبو بكر أحمد بن علي توفي سنة ٣٢٦ هـ مترجم في فهرست ابن النديم .

(٢) سورة الكهف : مكية ٢٩ .

محدث من وجه آخر فلزمه فى الأمر والنهى ما ألزم أباه والنجار فى الارادة والكراهة .

والفضيحة السادسة : من فضائحه قوله بالأحوال التى كفره فيها مشاركوه فى الاعتزال فضلا عن سائر الفرق والذى ألجأه اليها سؤال أصحابنا قدماء المعتزلة عن العالم منا هل فارق الجاهل بما علمه لنفسه ، أو لعلة وأبطلوا مفارقته إياه لنفسه مع كونهما من جنس واحد وبطل أن تكون مفارقته إياه لنفسه مع كونهما من جنس واحد ، وبطل ان تكون مفارقته اياه لا لنفسه ولا لعلة لأنه لايكون حينئذ بمفارقته له أولى من آخر سواه . فثبت انه إنما فارقه فى كونه عالما لمعنى ما . ووجب أيضا أن يكون لله تعالى فى مفارقة الجاهل معنى أو صفة بها فارقه . فزعم أنه انما فارقه لحال كان عليها فاثبت الحال فى ثلاثة مواضع . أحدها : الموصوف الذى يكون موصوفا لنفسه فاستحق ذلك الوصف لحال كان عليها . والثانى : الموصوف بالشىء لمعنى صار مختصا بذلك المعنى لحال . والثالث : مايستحقه لا لنفسه ولالمعنى فيختص بذلك الوصف دون غيره عنده لحال . وأحوجه إلى هذا سؤال معمر فى المعانى لما قال : ان علم زيد اختص به دون عمرو لنفسه أو لمعنى أو لا لنفسه أو لا لمعنى؟ فان كان لنفسه وجب أن يكون لجميع العلوم بهاختصاص . لكونها علوما . وان كان لمعنى صح قول معمر فى تعلق كل معنى بمعنى لا إلى نهاية . وإن كان لا لنفسه ولالمعنى لم يكن اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره . وقال أبو هاشم : إنما اختص به لحال . وقال أصحابنا : ان علم زيد اختص به لعينه لالكونه علما ولا لكون زيد . كما تقول : إن السواد سواد لعينه لا لأن له نفسا وعينا . ثم قالوا لأبى هاشم : هل تعلم الأحوال ، أو لا تعلمها ؟ فقال : لا . من قبل انه لو قال انها معلومة لزمه اثباتها أشياء إذ لا يعلم عنده إلا مايكون شيئا ، ثم ان لم يقل بأنها أحوال متغايرة لأن التغاير إنما يقع بين الأشياء والذوات . ثم إنه لا يقول فى الأحوال انها موجودة ، ولا انها معدومة ، ولا انها قديمة ، ولا محدثة ، ولا معلومة ، ولامجهولة ، ولايقول انها مذكورة مع ذكره لها بقوله أنها غيرمذكورة وهذا متناقض . وزعم أيضا : انالعالم له فى كل معلوم حال لايقال فيها انها حالة مع المعلوم الآخر . ولأجل هذا زعم أن أحوال البارى عز وجل فى معلوماته لانهاية لها . وكذلك أحواله فىمقدوراته لانهاية لها كما أنمقدوراته لانهاية لها . وقال له أصحابنا لماذا أنكرت أن يكون لمعلوم واحد أحوال بلا نهاية لصحة تعلق المعلوم بكل عالم يوجد لا الى نهاية . وقالوا له : هل أحوال البارى من عمل غيره أمهى هو؟ فأجاب : بأنها لا هى هو ولا غيره . فقالوا له : فلم أنكرت على الصفاتية قولهم فى صفات الله عز وجل

فى الأزل انها لا هى ولاغيره . ؟ !

والفضيحة السابعة : من فضائحه قوله بنفى جملة من الأعراض التى أثبتها أكثر مثبتى الأعراض كالبقاء ، والادراك . والكدرة ، والألم ، والشك . وقد زعم أن الألم الذى يلحق الإنسان عند المصيبة ، والألم الذى يجده عند شرب الدواء الكريه ليس بمعنى أكثر من إدراك ماينفر عنه الطبع ، والادراك ليس بمعنى عنده ومثله ادراك جواهر أهل النار فى النار ، وكذلك اللذات عنده ليست بمعنى ولاهى أكثر من إدراك المشتهى . والادراك ليس بمعنى . وقال فى الألم الذى يحدث عند الوباء إنه معنى كالألم عند الضرب واستدل على ذلك بأنه واقع تحت الحس وهذا من عجائبه لأن ألم الضرب بالخشب والألم بسعوط الخردل ، والتلدع بالنار ، وشرب الصبر سواء فى الحس . ويلزمه إذا نفى كون اللذة معنى ألا يزيد لذات أهل الثواب فى الجنة على لذات الأطفال التى نالوها بالفضل لاستحالة أن يكون لا شىء أكثر من لاشىء . وقد قال : إن اللذة فى نفسها نفع وحسن فاثبت نفعا وحسنا ليس بشىء . وقال : كل ألم ضرر وجاء من هذا ان الضرر ماليس بشىء عنده .

والفضيحة الثامنة : من فضائحه قوله فى باب الفناء ان الله تعالى لا يقدر على أن يفنى من العالم ذرة مع بقاء السموات والأرض وبناه على أصله فى دعواه : بان الأجسام لاتفنى إلا بفناء يخلقه الله تعالى لافى محل يكون ضداً لجميع الأجسام لأنه لايختص ببعض الجواهر دون بعض اذ ليس هو قائما بشىء منها فاذا كان ضداً لها نفاها كلها وحسبه من الفضيحة فى هذا قوله بأن الله يقدر على إفناء جملة لايقدر على إفناء بعضها .

والفضيحة التاسعة : قوله بأن الطهارة غير واجبة . والذى ألجأه إلى ذلك أن سأل نفسه عن الطهارة بماء مغصوب على قوله وقول أبيه بأن الصلاة فى الأرض المغصوبة فاسدة ، وأجاب بأن الطهارة بالماء المغصوب صحيحة وفرق بينها وبين الصلاة فى الدار المغصوبة بأن قال : إن الطهارة غير واجبة وإنما أمر الله تعالى العبد بأن يصلى إذا كان متطهرا ، ثم استدل على ان الطهارة غير واجبة بأن غيره لوطهره مع كونه صحيحا أجزأه . ثم انه طرد هذا الاعتلال فى الحج فزعم أن الوقوف ، والطواف ، والسعى غير واجب فى الحج لأن ذلك كله مجزئة اذا أتى به راكباً . ولزمه على هذا الأصل ألا تكون الزكاة واجبة ، ولا الكفارة . والنذور ، وقضاء الديون لأن وكيله ينوب عنه فيها وفى هذا رفع أحكام الشريعة وبان بما ذكرناه فى هذا الفصل تكفير زعماء المعتزلة بعضها لبعض وأكثرهم يكفرون أتباعهم المقلدين لهم ومثلهم فى ذلك كما قاله الله تعالى : « فأغرينا

بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١) » . وأما مثل أتباعهم معهم فقول الله تعالى : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب(٢) » . « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا (٣) » .

ومن مكابرات زعمائهم مكابرة النظام فى الطفرة وقوله بان الجسم يصير من المكان الأول إلى الثالث أو العاشر من غير ضرورة الى الوسط . ومكابرة أصحاب التولد منهم فى دعواهم أن الموتى يقتلون الأحياء على الحقيقة . ومكابرة جمهورهم فى دعواهم ان الذى يقدر على أن يرتفع من الأرض شبرا قادر على أن يرتفع فوق السموات السبع ، وان المقيد المغلول يداه قادر على صعوده إلى السماء ، وان البقة الصغيرة تقدر على شرب القران بمائه وبما هو أضخم منه .

وزعم المعروف منهم بقاسم الدمشقى (٤) أن حروف الصدق هى حروف الكذب ، وان الحروف التى فى قول القائل لاإله إلا الله هى التى فى قول من يقول: المسيح إله ، وان الحروف التى فى القرآن هى التى فى كتاب زرادشت المجوسى باعيانها لاعلى معنى أنها مثلها ومن لم يعد هذه الوجوه مكابرات للعقول لم يكن له ان يعد انكار السوفسطائية للمحسوسات مكابرة .

وقد حكى أصحاب المقالات أن سبعة من زعماء القدرية اجتمعوا فى مجلس وتكلموا فى قدرة الله تعالى على الظلم ، والكذب ، وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم وذلك (٥) أن قائلا منهم قال للنظام فى ذلك المجلس : هل يقدر الله تعالى على مالو وقع منه لكان جوراً وكذباً منه ؟ . فقال : لو قدر عليه لم ندر لعله قد جار أو كذب فيما مضى ، أو يجور ويكذب فى المستقبل ، أو جار فى بعض أطراف الأرض . ولم يكن لنا من جوره وكذبه أمان الامن جهة حسن الظن به . قال : مادليل يؤمننا من وقوع ذلك منه فلا سبيل اليه . ؟ فقال له على الأسوارى : يلزمك على هذا الاعتلال أن لايكون قادراً على ماعلم أنه لايفعله أوأخبر بانه لايفعله لأنه لوقدر على ذلك لم يأمن وقوعه منه فيامضى

---

(١) سورة المائدة : مدينة ١٤ . (٢) و(٣) سورة البقرة مدينة : ١٦٦ و ١٦٧
(٤) وفى الانتصار رد ماعزاه ابن الراوندى اليه ببسط .
(٥) وأجاد أبو المظفر فى التبصير تلخيص هذا البحث .

أو فى المستقبل . فقال النظام : هذا الالزام فما قولك فيه ؟. فقال : أنا أسوى بينهما وأقول أنه لايقدر على ماعلم أن لايفعله أو أخبر بأنه لايفعله كما أقول أنا وأنت أنه لايقدر على الظلم والكذب . فقال النظام للاسوارى : قولك الحاد وكفر . وقال أبو الهذيل للاسوارى : ماتقول فى (١) فرعون ومن علم الله تعالى منهم انهم لايؤمنون هل كانوا قادرين على الإيمان أم لا ؟. فان زعمت أنهم لم يقدروا عليه فقد كلفهم الله تعالى مالم يطيقوه وهذا عندك كفر ، وان قلت أنهم كانوا قادرين عليه فما يؤمنك من أن يكون قد وقع من بعضهم ماعلم الله تعالى أنه لايقع ؟ أو أخبر بأنه لايقع منه على قول اعتلالك واعتلال النظام انكار كما انكر قدرة الله تعالى على الظلم والكذب . فقال لأبى الهذيل هذا الالزام لنا فما جوابك عنه ؟. فقال : أنا أقول أن الله تعالى قادر على أن يظلم ويكذب وعلى أن يفعل ماعلم أنه لايفعله . فقالا له : أرأيت لو فعل الظلم والكذب كيف يكون مكنون حال الدلائل التى دلت على أن الله تعالى لا يظلم ولايكذب ؟ فقال : هذا محال . فقالا له كيف يكون المحال مقدوراً لله تعالى ولم أحلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدوراً له . ؟ فقال : لأنه لايقع إلا عن آفة تدخل عليه ومحال دخول الآفات على الله تعالى . فقالا له ومحال أيضا أن يكون قادراً على مايقع منه إلا عن آفة تدخل عليه فبهت الثلاثة. فقال لهم بشر (٢) : كل ماأنتم فيه تخليط . فقال له أبو الهذيل فما تقول أنت تزعم أن الله تعالى يقدر أن يعذب الطفل أم تقول « بقول هذا » ؟ يعنى النظام . فقال : أقول بانه قادر على ذلك . فقال أرأيت لو فعل ماقدر عليه من تعذيب الطفل ظالما له فى تعذيبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا للعقاب الذى أوقعه الله تعالى به وكانت الدلائل بحالها فى دلالتها على عدله .؟ فقال له أبو الهذيل: سخنت عينك . كيف تكون عبادة من لايفعل مايقدر عليه من الظلم فقال له المردار : انك قد انكرت على استاذى فكراً وقد غلط الاستاذ . فقال له بشر فكيف تقول ؟ . قال : أقول أن الله تعالى قادر على الظلم ، والكذب ،ولو

---

(١) فرعون : لقب من تولى ملك مصر فى القديم . وفى اسم فرعون موسى عليه السلام اختلاف . (٢) هو : بشر بن المعتمر صاحب الأراجيز المعروفة له أربعون ألف بيت فى مذهبه . أخذ الاعتزال عن عمرو بن عبيد . وبشر بن سعيد صاحبي وأصل . حبسه الرشيد ثم أطلقه حيث قيل له ان مايقوله فى الحبس من الشعر ويذيع بين الناس أضر . ومنه انتشر الاعتزال ببغداد توفى سنة ٢١٠ هـ .

فعل ذلك لكان إلها ظالما كاذبا . فقال له بشر : فهل كان مستحقا للعبادة أم لا ؟ فان استحقها فالعبادة شكر للمعبود واذا ظلم استحق الذم لأن الشكر وإن لم يستحق العبادة فكيف يكون ربا لا يستحق العبادة ؟ فقال لهم الأشج (١) : أنا أقول أنه قادر على أن يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب لكان عادلا كما أنه قادر على أن يفعل ماعلم أنه لا يفعله ولو فعله كان عالماً بان يفعله . فقال له الاسكافى : كيف ينقلب الجور عدلا . فقال كيف تقول أنت ؟ فقال : أقول لو فعل الجور والكذب ماكان الفعل موجوداً وكان ذلك واقعاً لمجنون أو منقوص . فقال له جعفر بن حرب (٢) كانك تقول ان الله تعالى انما يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على ظلم العقلاء . فافترق القوم يومئذ عن انقطاع كل واحد منهم. ولما انتهت نوبة الاعتزال إلى الجبائى وابنه أمسكا عن الجواب فى هذه المسألة بنصح ولا ذكر بعض أصحاب أبى هاشم فى كتابه هذه المسألة . فقال من قال لنا : أيصح وقوع ما يقدر الله تعالى من الظلم والكذب ؟ قلنا له : يصح ذلك لأنه لو لم يصح وقوعه منه ما كان قادراً عليه لأن القدرة على المحال محال ، فان قال : أفيجوز وقوعه منه ؟ . قلنا لايجوز وقوعه منه لقبحه وغناه عنه وعلمه بغناه عنه . فان قال : أخبرونا لو وقع مقـــدوره من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله فى نفسه هل كان يدل وقوع الظلم منه على جهله أوحاجته ؟ قلنا : محال ذلك لأنا قد علمناه عالماً غنياً ، فان قال : فلووقع منه الظلم والكذب هل كان يجوز أن يقال أن ذلك لايدل على جهله وحاجته ؟. قلنا : لايوصف بذلك لأنا قد عرفنا دلالة الظلم على جهل فاعله أوحاجته . فان قال : فكانكم لاتجيبون عن سؤال من سألكم عن دلالة وقوع الظلم والكذب ممن على جهل وحاجة باثبات ولانفى قلنا كذلك نقول .

فهؤلاء زعماء قدرية عصرنا قد أقروا بعجزهم وعجز اسلافهم عن الجواب فى هــذه المسألة ، ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا إلى قول أصحابنا بان الله قادر على كل مقدور ، وان كل مقدور له لو وقع منه لم يكن ظلماً منه . ولو احالوا الكذب عليه كما أحاله أصحابنا لتخلصوا عن الالزام الذى توجه عليهم فى هذه المسألة وكان الجبائى يعتذر فى امتناعه عن الجواب فى هذه المسألة بنعم أو . لا . بان يقول مثال هذا : ان قائلا لوقال اخبرونى عن النبي لو فعل الكذب لكان يدل على أنه ليس بنبي أولا يدل على ذلك . ؟وزعم أن

(١) من زعماء المعتزلة معاصر لبشر بن المعتمر .

(٢) من الطبقة السابعة من المعتزلة أخذ عن أبى الهذيل وتوفى بعد سنة ٢٣٠ ه .

الجواب فى ذلك مستحيل وهذا ظن منه على أصله . فأما على أصل أهل السنة فان النبي كان معصوما عن الكذب، والظلم، ولم يكن قادراً عليهما . والمعتزلة غير النظام والاسوارى قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب فلزمهم الجواب عن سؤال من سألهم عن وقوع مقدوره منهما هل يدل على الجهل والحاجة أم لايدل على ذلك ؟ بنعم . أو : لا . وأيهما أجابوا به نقضوا به أصولهم والحمد لله الذى أنقذنا من ضلالتهم المؤدية إلى مناقضاتهم

الفصل الرابع

من فصول هذا الباب :

فى بيان الفرق المرجئة وتفصيل مذاهبهم :

والمرجئة ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا : بالإرجاء فى الايمان وبالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة . كغيلان ، وأبى شمر، ومحمد بن أبى شبيب البصرى . وهؤلاء داخلون فى مضمون الخبر الوارد فى لعن القدرية والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين . وصنف منهم قالوا بالارجاء بالايمان ، وبالجبر فى الأعمال على مذهب جهم بن صفوان فهم إذاً من جملة الجهمية . والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية . وانما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الايمان . والإرجاء بمعنى التأخير . يقال : أرجيته ، وأرجأته اذا أخرته. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا (١) » ، قيل من المرجئة يارسول الله ؟ قال : « الذين يقولون الايمان كلام (٢) » ، يعنى الذين زعموا أن الايمان هو إقرار وحده دون غيره . والفرق الخمس التى ذكرناها من المرجئة تضلل كل فرقة منها أختها ويضللها سائر الفرق وسنذكرها على التفصيل إن شاء الله عز وجل .

ذكر اليونسية منهم : هؤلاء أتباع يونس بن عون الذى زعم أن الإيمان فى القلب واللسان وانه هو المعرفة بالله تعالى والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار باللسان أنه واحد ليس كمثله شىء ما لم تقم حجة الرسل عليهم السلام . فان قامت عليهم حجتهم بالتصديق لهم ومعرفة ما جاء من عندهم فى الجملة من الايمان . وليست معرفة تفصيل ماجاء

---

(١) سبق الكلام فى هذا الحديث فى المقدمة . (٢) اخرج معنى هذا الحديث الطبرانى فى الكبير وفى سندة بقية ومجهول كما سبق .

من عندهم إيمانا ولا من جملته . وزعم هؤلاء أن كل خصلة من خصال الإيمان ليست بإيمان ولا بعض إيمان ومجموعها إيمان .

ذكر الغسانية منهم : هؤلاء أتباع غسان المرجى،(١) الذى زعم أن الإيمان هو الاقرار أو المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه . وقال انه يزيد(٢) ولاينقص . وفارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من الإيمان بعض الإيمان . وزعم غسان هذا فى كتابه أن قوله فى هذا الكتاب كقول أبى حنيفة فيه . وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال : إن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله فى الجملة دون التفصيل . وانه لايزيد ولا ينقص (٣) ولايتفاضل الناس فيه . وغسان قد قال بأنه يزيد ولا ينقص .

ذكر التومنية منهم : هؤلاء أتباع أبى معاذ التومنى (٤) الذى زعم أن الإيمان ماعصم

---

(١) تمسك بظاهر حديث « الإيمان يزيد ولاينقص » راجع انتقاد المغنى . ووهم المقريزى فى عدغسان هذا ابن ابان لان غسان بن ابان يمامى لا كوفى ولاهو بصاحب محمدبن الحسن

(٢) ولعل ماذكره السمعانى ، والشهرستانى وغيرهما عنه فى الكعبة وغيرها من قبيل ماذكره ابن حزم فى الفصل (٣/٢٤٩) فى الأصل ثم ولدوه وقد سبق افتراء مثل ذلك على أبى حنيفة من الكذاب المعروف الحارث بن عمير وما فى « مقالات الاسلاميين » مما يعزى إلى عمرو بن أبى عثمان الشمزى لعله غلط من كفاية المعرفة الإجمالية فى الايمان ابتداء ، والشمزى من رءوس الضلال أخذ عن واصل ، وعمرو ابن عبيد الاعتزال فلا يتصور صحة الاسناد فى مثل هذا الخبر الذى لاخطام له ولازمام ، والتوليد شأن الخصوم غير المتورعين .

(٣) لأن العقد الجازم لايحتمل النقيض ، وعد العمل ركنا يجر إلى معتقد الخوارج أو المعتزلة ، ومحققو علماء أصول الدين مع أبى حنيفة فى ذلك وان سبق أن رماه بعض من لم يحط خبرا بالمسألة بالارجاء لارجائه العمل من الركنية فقط كما نص عليه حديث مسلم . ولكن هذا ارجاء سنة لايعدوه الحق وزعم خلاف ذلك ،وقع فى معتقد الخوارج أو المعتزلة كما سبق . وأول من سمى أهل الجماعة بالمرجئة هو نافع بن الأزرق الخارجى كما رواه ابن أبى العوام .

(٤) بضم التاء وسكون الواو وفتح الميم بعدها نون نسبة إلى قرية بمصر كما فى أنساب السمعانى .

من الكفر وهو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر . ومجموع تلك الخصال إيمان ، ولايقال للخصلة منها إيمان ولا بعض إيمان . وقال : كل ما لم تجتمع الأمة على كفره بتركه من الفرائض فهو من شرع الإيمان وليس بايمان . وزعم أن تارك الفريضة التى ليست بايمان يقال له : فسق ، ولايقال له فاسق على الاطلاق إذا لم يتركها جاحداً . وزعم أيضا ان من لطم نبيا أو قتله كفر لا من أجل لطمه وقتله لكن من أجل عداوته وبغضه له واستخفافه بحقه .

ذكر الثوبانية منهم : هؤلاء أتباع أبى ثوبان المرجىء الذى زعم ان الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل مايجب فى العقل فعله وما جاز فى العقل أن لايفعل فليست المعرفة من الإيمان . وفارقوا اليونسية ، والغسانية بايجابهم فى العقل شيئا قبل ورود الشرع بوجوبه .

ذكر المريسية منهم : هؤلاء مرجئة بغداد من أتباع بشر المريسى [1] . وكان فى الفقه على رأى أبى يوسف القاضى غير انه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضللته الصفاتية فى ذلك . ولما وافقوا الصفاتية فى القول بان الله تعالى خالق أكساب العباد وفى ان الاستطاعة مع الفعل أكفرته المعتزلة فى ذلك فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معاً . وكان يقول فى الإيمان : انه هو التصديق بالقلب واللسان جميعا كما قال ابن الراوندى فى أن الكفر هو الجحد والانكار . وزعما ان السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر . فهؤلاء الفرق الخمس هم المرجئة الخارجة عن الجبر والقدر . وأما المرجئة القدرية كأبى شمر ، وابن شبيب ، وغيلان ، وصالح قبة . فقد اختلفوا فى الإيمان

فقال ابن مبشر : الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبما جاء من عنده مما اجتمعت عليه الأمة . كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وتحريم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، ووطء المحارم ونحو ذلك . وما عرف بالعقل من عدل الايمان وتوحيده ونفى التشبيه عنه . وأراد بالعقل قوله بالقدر ، وأراد بالتوحيد نفيه عن الله صفاته الأزلية .

---

(١) توفى سنة ٢١٩ وتفصيل أحواله فى تاريخ الخطيب وهو على سعته فى الفقه زلت قدمه حينما دخل فيما لايعنيه . وهو الذى ناظر الشافعى رضى الله عنه وكان نزل عنده فى رحلته الثانية الى بغداد . ونسبته إلى مريسة بمصر على وزن سكينة بالكسر والتشديد عند الصغانى كما فى شرح القاموس والجمهور على فتح الميم وتخفيف الراء .

قال : كل ذلك إيمان والشاك فيه كافر ، والشاك فى الشاك أيضا كافر ثم كذلك أبداً . وزعم أن هذه المعرفة لاتكون إيمانا الا مع الإقرار . وكان أبو شمر مع بدعته هذه لايقول لمن فسق من موافقيه فى القــدر انه فاسق مطلقا . ولكنه كان يقول : إنه فاسق فى كذا . وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتى القدر والارجاء . والعدل الذى أشار اليه أبو شمر شرك على الحقيقة لأنه أراد به اثبات خالقين كثيرين غير الله تعالى . وتوحيده الذى أشار اليه تعطيل لانه أراد به نفى علم الله تعالى ، وقدرته ، ورؤيته ، وسائر صفاته الأزلية . وقوله فى مخالفيه انهم كفرة وان الشاك فى كفرهم كافر مقابل بقول أهل السنه فيه إنه كافر وإن الشاك فى كفره كافر .

وكان غيلان القدرى يجمع بين القدر والارجاء ويزعم ان الإيمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة ، والخضوع ، والإقرار بما جاء به الرسول صلى الى عليه وسلم وبما جاء من الله تعالى . وزعم أن المعرفة الأولى اضطرار وليس بايمان . وحكى زرقان فى مقالاته عن غيلان : أن الإيمان هو الإقرار باللسان ، وأن المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الإيمان . وزعم غيلان : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولايتفاضل الناس فيه . وزعم محمد بن شبيب : أن الإيمان هو الاقرار بالله والمعرفة برسله وبجميع ما جاء من عند الله تعالى مما نص عليه المسلمون من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وكل مالم يختلفوا فيه . وقال : ان الإيمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه والخصلة الواحدة من الإيمان قد تكون بعض الإيمان وتاركها يكفر بترك بعض الإيمان ، ولايكون مؤمنا باصابة كله . وزعم الصالحى : أن الأيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، والكفر هو الجهل به فقط . وأن قول القائل : ان الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لايظهر إلا من كافر . ومن جحد الرسل لايكون مؤمنا لامن أجل أن ذلك محال لكن الرسول قال : « من لايؤمن بى فليس مؤمناً بالله تعالى » . وزعم أن الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج طاعات وليست بعبادة لله تعالى وأن لا عبادة له إلا الإيمان به وهو معرفته . والإيمان عنده خصلة واحدة لاتزيد ولا تنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة . فهذه أقوال المرجئة فى الإيمان الذى لأجل تأخيرهم الأعمال عن الإيمان سموا مرجئة .

الفصل الخامس

فى ذكر مقالات الفرق النجارية :

هؤلاء اتباع الحسين بن محمد النجار (١) وقد وافقوا أصحابنا فى أصول ووافقوا القدرية فى أصول وانفردوا باصول لهم ، فالذى وافقوا فيه أصحابنا قولهم معنا : بان الله تعالى خالق اكساب العباد ، وان الاستطاعة مع الفعل ، وأنه لايحدث فى العالم إلا مايريده الله تعالى . ووافقونا أيضا فى أبواب الوعيد ، وجواز المغفرة لأهل الذنوب وفى أكثر أبواب التعديل والتجوير .

وأما الذى وافقوا فيه القدرية فنفى علم الله تعالى ، وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته الازليه، وإحالة رؤيته بالأبصار والقول بحدوث كلام الله تعالى . وا كفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا . وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية . والذى يجمع النجارية فى الايمان قولهم : بأن الايمان هو المعرفة بالله تعالى ، وبرسله وفرائضه التى أجمع عليها المسلمون، والخضوع له والأقرار باللسان فمن جهل شيئا من ذلك بعد قيام الحجة به عليه أو عرفه ولم يقر به فقد كفر وقالوا : كل خصلة من خصال الايمان طاعة وليست بايمان ، ومجموعها ايمان وليست خصلة عنها عند الانفراد إيمانا ولاطاعة . وقالوا ان الايمان يزيد ولا ينقص . وزعم النجار أن الجسم أعراض مجتمعة وهى الاعراض التى لا ينفك الجسم عنها : كاللون، والطعم، والرائحة وسائر مالا يخلو الجسم منه ومن ضده . فأما الذى يخلو الجسم منه ومن ضده كالعلم والجهل ونحوهما فليس شىء منها بعضاً للجسم . وزعم أيضاً : أن كلام الله تعالى عرض إذا قرىء ، وجسم إذا كتب ، وأنه لو كتب بالدم صار ذلك الدم المقطع تقطيع حروف الكلام كلاما لله تعالى بعد أن لم يكن كلاما حين كان دما مسفوحا فهذه أصول النجارية . وافترقوا بعد هذا فيما بينهم فى العبارة عن خلق القرآن وفى حكم أقوال مخالفيهم فرقا كبيرة كل فرقة منها تكفر سائرها ، والمشهورون منها ثلاث فرق وهى : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة من الزعفرانية .

ذكر البرغوثية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان على مذهب

---

(١) كان من اصحاب بشر المريسى ناظر النظام فلم يفلح فمات متأثراً فتكون وفاته حوالى سنة ٢٣٠ هـ.

النجار فى أكثر مذاهبه وخالفه فى تسمية المكتسب فاعلا فامتنع منه ، وأطلقه النجار وخالفه أيضاً فى المتولدات فزعم أنها فعل لله تعالى بايجاب الطبع . على معنى أن الله تعالى طبع الحجر طبعاً يذهب إذا وقع . وطبع الحيوان طبعا يألم إذا ضرب وقال النجار فى المتولدات بمثل قول أصحابنا فيها انها من فعل الله تعالى باختيار لاطبع من طبع الجسم الذى سموه مولداً .

ذكر الزعفرانية منهم : هؤلاء أتباع الزعفرانى الذى كان بالرى وكان يناقض بآخر كلامه أوله . فيقول : ان كلام الله تعالى غيره وكل ماهو غير الله تعالى مخلوق . ثم يقول مع ذلك : الكلب خير ممن يقول كلام الله مخلوق . وذكر بعض أصحاب التواريخ أن هذا الزعفرانى أراد أن يشهر نفسه فى الآفاق فاكترى رجلا على أن يخرج إلى مكة ويسبه ويلعنه فى مواسم مكة ليشتهر ذكره عند حجيج الآفاق. وقد بلغ حمق أتباعه بالرى أن قوما منهم لا يأكلون العجد حرمة للزعفرانى ويزعمون أنه كان يحب ذلك . وقالوا : لانأكل محبوبه .

ذكر المستدركة منهم : هؤلاء قوم من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ماخفى على اسلافهم لأن أسلافهم منعوا اطلاق القول بأن القرآن مخلوق : وزعمت المستدركة أنه مخلوق ثم افترقوا فيما بينهم فرقتين : فرقة زعمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال ان كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف ولكنه اعتقد ذلك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها ومن لم يقل أن النبى عليه السلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر .

وقالت الفرقة الثانية منهم : أن النبى عليه السلام لم يقل كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف ، ولكنه اعتقد ذلك ودل عليه . ومن زعم أنه قال أن كلام الله مخلوق بهذه اللفظة فهو كافر . ومن هؤلاء المستدركة قوم بالرى يزعمون أنه أقوال مخالفيهم كلها كذب حتى لو قال الواحد منهم فى الشمس أنها شمس لكان كاذباً فيه .

قال عبد القاهر : ناظرت بعض هذه الطائفة بالرى فقلت له : اخبرنى عن قولى لك أنت انسان عاقل مولود من نكاح لامن سفاح هل أكون صادقا فيه : فقال : أنت كاذب فى هذا القول . فقلت له : أنت صادق فى هذا الجواب. فسكت خجلا والحمد لله على ذلك .

الفصل السادس

من فصول هذا الباب :

في ذكر الجهمية ، والبكرية ، والضرارية وبيان مذاهبها :

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان (١) الذى قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . وزعم أيضا ان الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط . وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وانما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . كما يقال : زالت الشمس، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به . وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حى أو عالم أو مريد . وقال لا أصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره كشيء موجود ، وحى ، وعالم ، ومريد ونحو ذلك . ووصفه بأنه قادر ، وموجد ، وفاعل، وخالق، ومحيي، ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده . وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ولم يسم الله تعالى متكلما به، وأكفره أصحابنا فى جميع ضلالاته ، وأكفرته القدرية فى قوله : بأن الله تعالى خالق أعمال العباد . فاتفق أصناف الأمة على تكفيره وكان جهم مع ضلالاته التى ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان . وخرج مع سريج بن الحارث (٢) على نصر بن سيار وقتله سلم بن احوز المازنى فى آخر زمان بنى مروان (٣) وأتباعه اليوم بنهاوند . وخرج اليهم

---

(١) هو: الراسبي الزائغ . وتفصيل أحواله فى لفت اللحظ الى ما فى الاختلاف فى اللفظ. وقوله في خلق القرآن ، والجبر ، ونفى العلم بالمتجددات ، ونفى الخلود مشار فتن عند كثير من الزائغين قتل سنة ١٢٨ .

(٢) كان قام ضد المروانية على واليهم بخراسان نصر بن سيار يدعوهم الى الكتاب والسنة ومعه جهم هذا ـ لحاجة في النفس ـ وليس هذا موضع بسط لأنبائهما .

(٣) سنة ١٢٨ كما يقول ابن جرير . وقيل فى سنة ١٣٢ . وأما مافى والبرهان فى بيان عقائد أهل الأديان ، المنسوب الى عباس بن منصور السكسكى المجهول من أن ذلك كان فى عهد المنصور فتخليط ظاهر . وكم له من هذا القبيل على زيغه، ولم يكن الرجل من رجال هذا العلم . وكان من عادة الحشوية نبذ خصومهم من المنزهين بالتجهم افكا وزوراً ، وانما الجهمي حقيقة هو من ارتأى الأهواء التى سردها المصنف .

فى زماننا اسماعيل بن ابراهيم بن كبوس الشيرازى الديلى فدعاهم إلى مذهب شيخنا أبى الحسن الأشعرى فاجابه قوم منهم وصاروا مع أهل السنة يدآ واحدة والحمد لله على ذلك .

وأما البكرية : فاتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد [1] وكان يوافق النظام فى دعواه ان الانسان هو الروح دون الجسد الذى فيه الروح . ويوافق أصحابنا فى إبطال القول بالتولد وفى أن الله تعالى هو مخترع الألم عند الضرب ، وأجاز وقوع الضرب من غير حدوث ألم وكذا القطع كما أجاز ذلك أصحابنا . وانفرد بضلالات أكفرته الأمة فيها.

منها : قوله بان الله تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ، ويكلم عباده من تلك الصورة .

ومنها : قوله فى الكبائر الواقعة من أهل القبلة انها نفاق وأن صاحب الكبيرة منافق وعابد للشيطان وإن كان من أهل الصلاة . وزعم أيضا أنه مع كونه منافقا مكذب لله تعالى جاحد له وانه يكون فى الدرك الأسفل من النار مخلداً فيها . وانه مع ذلك مسلم مؤمن. ثم انه طرد قوله فى هذه البدعة فقال : فى على ، وطلحة ، والزبير إن ذنوبهم كانت كفراً ، وشركا . غير أنهم كانوا مغفوراً لهم لما روى فى الخبر ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » . ومن ضلالاته أيضا ما عاند فيه العقلاء فزعم أن الأطفال فى المهد لايألمون وان قطعوا ، أوحرقوا وأجاز ان يكونوا فى وقت الضرب، والقطع ، والاحراق متلذذين مع ظهور البكاء والصياح منهم .

ومنها : أنه أبدع فى الفقه تحريم أكل الثوم والبصل واوجب الوضوء من قرقرة البطن ولا اعتبار عند أهل السنة بخلاف أهل الأهواء فى الفقه .

وأما الضرارية : فهم أتباع ضرار بن عمرو [2] الذى وافق أصحابنا فى أن أفعال

---

(١) من أصحاب الحسن البصرى زاهد، صوفى متروك الحديث . وابن أخته بكر من أضل خلق الله بالنظر إلى مايسرده المصنف . ومن الغريب قول ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث : (وهو من أحسنهم حالا فى التوقى) و لعله وجد فى كلامه فى الصورة مايوافق هواه فخفف اللهجة معه .

(٢) له نحو ثلاثين مؤلفا وكان غطفانيا . يقول أبو الحسين الملطى : ان المجلس كان له بالبصرة قبل أبى الهذيل، قيل شهد عليه احمد بن حنبل عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى فأمر بضرب عنقه فهرب. لكن الجمحى توفى سنة ١٧٦ ولم يكن احمد فى عهده فى سن الشهادة .

العباد مخلوقة لله تعالى واكساب للعباد وفى ابطال القول بالتولد . ووافق المعتزلة فى أن الاستطاعة قبل الفعل وزاد عليهم بقوله انها قبل الفعل ومع الفعل ، وبعد الفعل ، وانها بعض المستطيع ، ووافق النجار فى دعواه أن الجسم أعراض مجتمعة من لون ، وطعم ، ورائحة ونحوها من الأعراض التى لايخلو الجسم منها وانفرد بأشياء منكرة .

منها : قوله بان الله تعالى يرى فى القيامة بحاسة سادسة يرى بها المؤمنون ماهية الإله . وقال : لله تعالى ماهية لايعرفها غيره يراها المؤمنون بحاسة سادسة وتبعه على هذا القول حفص الفرد (١) وانه أنكر حرف ابن مسعود (٢)، وحرف أبى بن كعب وشهد بأن الله تعالى لم ينزلها فنسب هذين الامامين من الصحابة إلى الضلالة فى مصحفيهما .

ومنها : أنه شك فى جميع عامة المسلمين وقال : لا أدرى لعل سرائر العامة كلها شرك وكفر .

ومنها : قوله ان معنى قولنا ان الله تعالى عالم ، حى ، هو انه ليس بجاهل ولا ميت . وكذلك قياسه فى سائر أوصاف الله تعالى من غير اثبات معنى أو فائدة سوى نفى الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه .

الفصل السابع

من هذا الباب

فى ذكر مقالات الكرامية وبيان أوصافها :ـ

الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف : حقائقية ، وطرائقية ، واسحاقية . وهذه الفرق الثلاث لايكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق . فلهذا عددناها فرقة واحدة .

---

(١) معاصر للشافعى بمصر وناظره الشافعى فأكفره فى مسألة . وترجمته فى فهرست ابن النديم

(٢) قراءة ابن مسعود المتواترة هى قراءة عاصم المنتشرة فى أقطار العالم وهى روايته عن رزين بن حبيش عنه . وانكار حرف منها يكون انكاراً لبعض القرآن . ويروى عنه قرآات شاذة تجرى مجرى التفسير المأثور وحكمها كسائر القرآات الشاذة .

وأبو عبد الرحمن السلمى شيخ عاصم عرض على أبى رضى الله عنه كما عرض على على كرم الله وجهه . وقراءتهما على حد سواء . فيما تواتر عنهما وعن أبى بعض قرآات شاذة تجرى مجرى التفسير كذلك .

وزعيمها المعروف محمد بن كرام (١) كان مطرودا من سجستان إلى غرجستان وكان أتباعه فى وقته أوغاد شورمين ، وافشين ، وورد نيسابور فى زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وتبعه على بدعته من أهل سواد نيسابور شرذمة من اكرة القرى والدهم . وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعا لانعدها أرباعا، ولا أسباعا لكنا نزيد على الآلاف آلافاً ونذكر منها المشهور الذى هو بالقبح مذكور .

فمنها : أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده . وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى عرشه . وهذا شبيه بقول الثنوية : إن معبودهم الذى سموه نوراً يتناهى من الجهة التى يلاقى الظلام وان لم يتناه من خمس جهات (٢) . وقد وصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بانه جوهر كما زعمت النصارى ان الله تعالى جوهر . وذلك أنه قال فى خطبة كتابه المعروف بكتاب (عذاب القبر) : « ان الله تعالى احدى الذات احدى الجوهر » ، وأتباعه اليوم لايبوحون باطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى عند العامة خوفا من الشناعة عند الإشاعة . واطلاقهم عليه اسم الجسم أشنع من اسم الجوهر . وامتناعهم من تسميته جوهراً مع قولهم بأنه جسم كامتناع شيطان الطاق من الروافض من تسمية الإله جسما مع قوله بأنه على صورة الانسان . وليس على الخذلان فى سوء الاختيار قياس . وقد ذكر ابن كرام فى كتابه ان الله تعالى مماس لعرشه ، وان العرش مكان له وأبدل أصحابه لفظ المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش وقالوا : لايصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا بان يحيط العرش الى أسفل . وهذا معنى المماسة التى امتنعوا من لفظها واختلف أصحابه فى معنى الاستواء المذكور فى قوله : « الرحمان على العرش استوى (٣) » .

---

(١) هو : شيخ الكرامية من المجسمة كان له فى خراسان من الأتباع المتقشفين ما يزيد على عشرين ألفا . وكان له مثل ذلك فى أرض فلسطين ضل به خلائق من أهل سجستان وأهل فلسطين توفى سنة ٢٥٥ ﻫ له ترجمة واسعة عند ابن عساكر .

(٢) وتجد عين هذا التخريف فى « ابطال التأويل » للقاضى أبى يعلى الحنبلى ، وينقل نص كلامه ابن تيمية فى رده على أساس التقديس كما أشرنا الى ذلك فى مواضع كثيرة . وكثير من الكرامية القائلين بحلول الحوادث فى الله سبحانه وحلوله فى الحوادث تعالى الله عن ذلك اندسوا بين الحنابلة فاضلوا خلائق ولله فى خلقه شئون . كذلك فعل البربهارية والسالمية

(٣) سورة طه : مكية ٥ .

فمنهم : من زعم أن كل العرش مكان له وانه لو خلق بازاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له لأنه أكبر منها كلها . وهذا القول يوجب عليهم أن يكون عرشه اليوم كبعضه فى عرضه .

ومنهم : من قال إنه لايزيد على عرشه فى جهة المماسة ولا يفضل منه شىء على العرش وهذا يقتضى أن يكون عرضه كعرض العرش . وكان من الكرامية بنيسابور رجل يعرف بابراهيم بن مهاجر ينصر هذا القول ويناظر عليه . وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث(١) . وزعموا أن أقواله، وارادته، وادراكاته للمرئيات، وادراكاته للمسموعات وملاقاته للصفحة العليا من العالم أعراض حادثة فيه وهو محل لتلك الحوادث الحادثة فيه . وسموا قوله للشىء «كن» خلقا للمخلوق وإحداثا للمحدث واعلاما للذى يعدم بعد وجوده . ومنعوا من وصف الاعراض الحادثة فيه بانها مخلوقة أو مفعولة أو محدثة . وزعموا أيضا انه لا يحدث فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى ذات معبودهم . منها: ارادته لحدوث ذلك الحادث . ومنها : قوله لذلك الحادث «كن» على الوجه الذى علم حدوثه عليه . وذلك القول فى نفسه حروف كثيرة كل حرف منها عرض حادث فيه . ومنها رؤية تحدث فيه يرى بها ذلك الحادث ولولم يحدث فيه الرؤية لم ير ذلك الحادث . ومنها استماعه لذلك الحادث إن كان مسموعا وزعموا أيضا انه لايعدم من العالم شىء من الأعراض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى معبودهم . منها : ارادته لعدمه . ومنها: قوله لما يريد عدمه: كن معدوما ، أو افن . وهذا القول فى نفسه حروف كل حرف منها عرض حادث فيه فصارت الحوادث الحادثة فى ذات الإله عندهم أضعاف أضعاف الحوادث من أجسام العالم وأعراضها واختلفت الكرامية فى جواز العدم على تلك الحوادث الحادثة فى ذات الإله بزعمهم . فاجاز بعضهم عدمها ، وأحال عدمها أكثرهم واجمع الفريقان منهم على أن ذات الإله لايخلو فى المستقبل عن حلول الحوادث فيه وان

---

(١) ومن المصيبة أن يأخذ مثل ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة فى صراحة لامزيد عليها ويسكت أهل الشأن عن الرد عليه كما يجب . ومذهب ابن تيمية فى الاعتقاد على لفه ودورانه وجريه على مراحل خليط من مذهبي ابن كرام ، والبربهارى بنوع من التفلسف بفلسفة ابن ملكا اليهودى فى المعتبر . وليس لتشغيبه حظ أصلا من مذهب السلف الصالح ، وأين الخوض من التنزيه مع التفويض ؟

كان قد خلا منها فى الأزل . وهذا نظير قول أصحاب الهيولى إن الهيولى كانت فى الأزل جوهراً خاليا من الأعراض ثم حدثت الأعراض فيها وهى لاتخلو منهـــا فى المستقبل . واختلفت الكرامية فى جواز العدم على أجسام العالم فأحال ذلك أكثرهم وضاهوا بذلك من زعم من الدهرية والفلاسفة أن الفلك والكواكب طبيعة خامسة لاتقبل الفساد والفناء . وكان الناس يتعجبون من قول المعتزلة البصرية إن الله تعالى يقدر على افناء الأجسام كلها دفعة واحدة ولايقدر على افناء بعضها مع بقاء بعض منها . وزال هذا التعجب بقول من زعم من الكرامية انه لايقدر على إعدام جسم بحال . وأعجب من هذا كله أن ابن كرام وصف معبوده بالثقل وذلك انه قال فى كتاب «عذاب القبر» فى تفسير قول الله عز وجل «اذا السماء انفطرت[١]» انها انفطرت من ثقل[٢] الرحمان عليها . ثم إن ابن كرام وأكثر أتباعه زعموا ان الله تعالى لم يزل موصوفا بأسمائه المشتقة من افعاله عند أهل اللغة مع استحالة وجود الأفعال فى الأزل . فزعموا انه لم يزل خالقا ، رازقا منعما من غير وجود خلق ، ورزق ، ونعمة منه . وزعموا أنه لم يزل خالقا بخالقية فيه ، ورازقا برازقيـة فيه . وقالوا : ان خالقيته قدرته على الخلق ، ورازقيته قدرته على الرزق ، والقـدرة قديمة ، والخلق والرزق حادثان فيه[٣] بقدرته . وقالوا : بالخلق يصير المخلوق من العالم مخلوقاً . وبذلك الرزق الحادث فيه يصير المرزوق مرزوقا . وأعجب من هـذا فرقهم بين المتكلم والقائل وبين الكلام والقول . وذلك انهم قالوا : إن الله تعالى لم يزل متكلما قائلا ثم فرقوا بين الاسمين فى المعنى . فقالوا : إنه لم يزل متكلما بكلام هو قدرته على القول ولم يزل قائلا بقائلية لايقول ، والقائلية قدرته على القول وقوله حروف حادثة فيه . فقول الله تعالى عندهم حادث فيه . وكلامه قديم .

قال عبد القاهر : ناظرت بعضهم فى هذه المسألة فقلت له : إذا زعمت أن الكلام هو القدرة على القول ، والساكت عندك قادر على القول فى حال سكوته لزمك على هذا القول أن يكون الساكت متكلما فالتزم ذلك . ومن تدقيق الكرامية فى هـذا الباب قولهم : إنا نقول ان الله تعالى لم يزل خالقا رازقا على الاطلاق ولا نقول بالاضافة إن لم يزل خالقاً

---

(١) سورة الانفطار : مكية ١ . (٢) ومثله فى فاروق الهروى صاحب ذم الكلام أخزاه الله .
(٣) وهذا هو موضع الاستهجان لا كون الرازق والخالق من أسماء الله الحسنى أزلا وأبداً راجع عقيدة الطحاوى .

للمخلوقين ، ورازقاً للمرزوقين وإنما تذكر هذه الأضافة عند وجود المخلوقين والمرزوقين وقالوا على هذا القياس ان الله تعالى لم يزل معبوداً ولم يكن فى الأزل معبود العابدين وانما صار معبود العابدين عند وجود العابدين ووجود عبادتهم له . ثم أن ابن كرام ذكر فى كتابه المعروف « بعذاب القبر » بابا له ترجمة عجيبة فقال : « باب فى كيفوفية الله عز وجل » ولا يدرى العاقل مما ذا يتعجب أعن جسارته على اطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية ؟ . وله من جنس هذه العبارة أشكال .

منها : قوله فى باب الرد على أصحاب الحديث فى الإيمان فان قالوا بأحوقيتهم الإيمان قول وعمل قيل لهم كذا . وكذا وقد عبر عن مكان معبوده فى بعض كتبه بالحيثوثية وهذه العبارات السخيفة لائقة بمذهبه السخيف . ثم أنه مع أصحابه تكلموا فى مقدورات الله تعالى فزعموا أنه لا يقدر إلا على الحوادث التى تحدث فى ذاته من أرادته ، وأقواله ، وادراكاته ، وملاقاته لما يلاقيه . فاما المخلوقات من أجسام العالم وأعراضها فليس شىء منها مقدوراً لله تعالى ولم يكن الله تعالى قادراً على شىء منها مع كونها مخلوقة . وإنما خلق كل مخلوق من العالم بقوله : « كن » لا بقدرته . وهذه بدعة لم يسبقوا اليها لأن الناس قبلهم ما اختلفوا فى مقدورات الله تعالى على مذاهب أهل السنة والجماعة كل مخلوق كان مقدوراً لله تعالى قبل حدوثه وهو محدث جميع الحوادث بقدرته . وزعم معمر أن الاجسام كلها كانت مقدورة له قبل أن خلقها وليست الأعراض مخلوقة له ولا مقدورة له . وقال أكثر المعتزلة أن الأجسام ، والألوان ، والطعوم ، والروائح وسائر أجناس الأعراض كانت مقدورة لله تعالى وانما امتنعوا من وصفه بالقدرة على مقدورات غيره . وقالت الجهمية الحوادث كلها مقدورة لله تعالى ولا قادر ولا فاعل غيره . وما قال أحد قبل الكرامية باختصاص قدرة الإله بحوادث تحدث فى ذاته بزعمهم . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ثم أنهم تكلموا فى باب التعديل والتجوير بعجائب .

منها : قولهم يجب أن يكون أول شىء خلقه الله تعالى جسما حيا يصح منه الاعتبار . وزعموا أنه لو بدأ بخلق الجمادات لم يكن حكيما ، وزادوا فى هذه البدعة على القدرية فى قولها لابد من أن يكون فى الخلق من يصح منه الاعتبار وليس بواجب أن يكون أول الخلق حياً يصح منه الاعتبار وقد ردوا ببدعتهم هذه الأخبار الصحيحة فى أن أول شىء خلقه تعالى اللوح والقلم ثم أجرى القلم على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة . وقالوا لو خلق الله تعالى الخلق وكان فى معلومه أنه لا يؤمن به أحد منهم لكان خلقه إياهم عبثاً . وانما

حسن منه خلق جميعهم لعلمه بإيمان بعضهم . وقال أهل السنة : لو خلق الكفرة دون المؤمنين أو خلق المؤمنين دون الكفرة جاز ولم يقدح ذلك فى حكمته . وزعمت الكرامية أنه لا يجوز فى حكمة الله تعالى اخترام الطفل الذى يعلم أنه إن أبقاه إلى زمان بلوغه آمن ، ولا اخترام الكافر الذى لو أبقاه إلى مدة آمن . إلا أن يكون فى اخترامه إياه قبل وقت إيمانه صلاح لغيره . ويلزمهم على هذا القول أن يكون الله تعالى إنما اخترم إبرهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم قبل بلوغه لأنه علم أنه لو أبقاه لم يؤمن وفى هذا قدح منهم فى كل من مات من ذرارى الأنبياء طفلا ومن جهالاتهم فى باب النبوة والرسالة قولهم : بأن النبوة والرسالة صفتان حالتان فى النبي والرسول سوى الوحى اليه وسوى معجزاته وسوى عصمته عن المعصية . وزعموا أن من فعل فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله . وفرقوا بين الرسول والمرسل بان الرسول من قامت به تلك الصفة . والمرسل هو المأمور باداء الرسالة . ثم أنهم خاضوا فى باب عصمة الأنبياء عليهم السلام فقالوا : كل ذنب أسقط العدالة أو أوجب حداً فهم معصومون منه وغير معصومين مما دون ذلك وقال بعضهم : لا يجوز الخطأ عليهم فى التبليغ وأجاز ذلك بعضهم وزعم أن النبي عليه السلام أخطأ فى تبليغ قوله : (« ومناة الثالثة الأخرى [١] » ، حتى قال بعده : « تلك الغرانيق العلى شفاعتها ترتجى » [٢]) .

وقال أهل السنة أن تلك الكلمة كانت من تلاوة الشيطان القاه فى خلال تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قال شيخنا أبو الحسن الأشعرى فى بعض كتبه : إن الأنبياء بعد النبوة معصومون من الكبائر والصغائر . وزعمت الكرامية أيضاً : أن النبي إذا ظهرت دعوته فمن سمعها منه أو بلغه خبره لزمه تصديقه والاقرار به من غير توقف على معرفة دليله وقد سرقوا هذه البدعة من إباضية الخوارج الذين قالوا : إن قول النبي عليه السلام أنا نبي فنفسه حجة لا يحتاج معها إلى برهان . وزعمت الكرامية أيضاً أن من لم تبلغه دعوة الرسل لزمه أن يعتقد موجبات العقول ، وان يعتقد أن الله تعالى أرسل رسلا إلى خلقه وقد سبقهم أكثر القدرية إلى القول بوجوب اعتقاد موجبات العقول ولم يقل أحد قبلهم بوجوب اعتقاد وجود الرسل قبل ورود الخبر عنهم بوجودهم . وزعمت الكرامية أيضاً أن الله تعالى لو اقتصر على رسول واحد من أول زمان التكليف إلى القيامة وأدام شريعة الرسول الأول لم يكن حكيما . وقال أهل السنة لو فعل ذلك جاز كما قد جاز منه إدامة

---

(١) و(٢) سورة النجم : مكية ٢٠ . مسألة الغرانيق أخلوقة ساقطة كما شرح فى موضعه .

شريعة خاتم النبيين إلى القيامة . ثم أن ابن كرام خاض في باب الامامة فاجاز كون أمامين في وقت واحد مع وقوع الجدال وتعاطي القتال . ومع الاختلاف في الإحكام ، وأشار في بعض كتبه إلى أن عليا ومعاوية كانا امامين في وقت واحـــد . ووجب على اتباع كل واحد منهما طاعة صاحبه وان كان أحدهما عادلا والآخر باغياً . وقال أتباعه إن عليا كان إماماً على وفق السنة، وكان معاوية إماما على خلاف السنة . وكانت طاعة كل واحد منهما واجبة على اتباعه . فياعجبا من طاعة واجبة خلاف السنة .

ثم أن الكرامية خاضوا في باب الإيمان . فزعموا : أنه إقرار فرد على الابتداء وان تكريره لا يكون إيمانا إلا من المرتد إذا أقر به بقدرته . وزعموا أيضا أنه هو الاقرار السابق في الذر الأول في طلب النبي عليه السلام وهو قولهم . بلى. وزعموا أن ذلك القول باق أبدا لايزول إلا بالردة . وزعموا ايضا ان المقر بالشهادتين مؤمن حقا وان اعتقد الكفر بالرسالة.وزعموا ايضا ان المنافقين الذين انزل الله تعالى في تكفيرهم آيات كثيرة كانوا مؤمنين حقا، وان إيمانهم كان كإيمان الأنبياء والملائكة، وقالوا في اهل الأهواء من مخالفيهم ومخالفي اهل السنة ان عذابهم في الآخرة غير مؤبد . واهل الأهواء يرون خلود الكرامية في النار . ثم ان ابن كرام ابدع في الفقه حماقات لم يسبق اليها .

منها : قوله في صلاة المسافر أن يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولاسجود ، ولاقيام ولا قعود ، ولاتشهد ، ولا سلام .

ومنها : قوله بصحة الصلاة في ثوب كله نجس (١) ، وعلى ارض نجسة ، ومع نجاسة ظاهر البدن . وانما أوجب الطهارة عن الأحداث دون الأنجاس .

ومنها : قوله بان غسل الميت والصـلاة عليه سنتان غير مفروضتين وانما الواجب

---

(١) وبهذه الفروع يظهر أنه لاشأن لهم بمذهب أبي حنيفة في الفقه أصلا ، كما لا شأن لهم به في الاعتقاد وليس قول أبي الفتح البستي « والدين دين محمد بن كرام » يراد به نحلة ابن كرام الزائغ بل دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتنقل في الأصلاب الطاهرة الكرام ، ولم يكن السلطان محمود الغزنوي إلا مسلما حنيفيا حنيفا بريئا من مذهب هؤلاء الهمج الأشرار . وان كان من يدين بمذهبهم يوجد في المملكة الغزنوية ، وبهذا يظهر أيضا وهم من يخفف الراء من ابن كرام على خلاف المشهور استدلالا ببيت البستي .

لفنه ودفنه .

ومنها : قوله بصحة الصلاة المفروضة ، والصوم المفروض ، والحج المفروض بلا نية وزعم أن نية الاسلام فى الابتداء كافية عن نية كل فريضة من فرائض الاسلام . وكان فى عصرنا شيخ للكرامية يعرف بابراهيم بن مهاجر اخترع ضلالة لم يسبق اليها . فزعم أن اسماء الله عز وجل كلها أعراض فيه . وكذلك اسم كل مسمى عرض فيه . فزعم ان الله تعالى عرض حال فى جسم قديم ، والرحمن عرض آخر ، والرحيم عرض ثالث ، والخالق عرض رابع . وكذلك كل اسم لله تعالى عرض غير الآخر . فالله تعالى عنده غير الرحمن ، والرحمن غير الرحيم ، والخالق غير الرازق . وزعم أيضا أن الزانى عرض فى الجسم الذى يضاف اليه الزنى ، والسارق عرض فى الذى يضاف اليه السرقة . وليس الجسم زانيا ولا سارقا فالمجلود والمقطوع عنده غير الزانى والسارق . وزعم أيضا ان الحركة والمتحرك عرضان فى الجسم وكذلك السواد والأسود عرضان فى الجسم وكذلك العلم والعالم ، والقدرة والقادر ، والحى والحياة كل ذلك أعراض غير الاجسام . فالعلم عنده لا يقوم بالعالم وانما يقوم بمحل العالم ، والحركة لا تقوم بالمتحرك وانما تقوم بمحل المتحرك .

قال عبد القاهر : ناظرت ابن مهاجر هذا فى مجلس ناصر الدولة أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانية فى سنة سبعين وثلاثمائة فى هذه المسألة وألزمته فيها أن يكون المحدود فى الزنى غير الزانى ، والمقطوع فى السرقة غير السارق فالتزم ذلك . فألزمته أن يكون معبوده عرضاً لأن المعبود عنده اسم ، وأسماء الله تعالى عنده أعراض حالة فى جسم قديم . فقال : المعبود عرض فى جسم القديم وأنا أعبد الجسم دون العرض . فقلت له : أنت إذن لا تعبد الله عز وجل لأن الله تعالى عندك عرض . وقد زعمت أنك تعبد الجسم دون العرض .

وفضائح الكرامية على الاعداد كثيرة الامداد وفيما ذكرنا منها فى هذا الفصل كفاية والله أعلم .

الفصل الثامن

في بيان مذاهب المشبهة من أصناف شتى

اعلموا أسعدكم الله ان المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره . وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره . وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى . والمشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة . وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة . فمنهم : السبابية الذين سموا عليا إلها وشبهوه بذات الإله . ولما أحرق قوما منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله لأن النار لايعذب بها إلا الله . ومنهم : البيانية : أتباع بيان بن سمعان الذى زعم أن معبوده انسان من نور على صورة الانسان فى أعضائه وانه يفنى كله إلا وجهه . ومنهم المغيرية : أتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن اعضاءه على صور حروف الهجاء (١) . ومنهم المنصورية : أتباع أبى منصور العجلى الذى شبه نفسه بربه . وزعم أنه صعد الى السماء . وزعم أيضا ان الله مسح يده على رأسه وقال له : يا بنى بلغ عنى . ومنهم : الخطابية الذين قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبى الخطاب الاسدى . ومنهم : الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . ومنهم : الحلولية الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك . ومنهم الحلولية الحلمانية المنسوبة إلى أبى حلمان الدمشقى الذى زعم أن الإله يحل فى كل صورة حسنة وكان يسجد لكل صورة حسنة . ومنهم: المقنعية المبيضة(٢) بما وراء نهر جيحون فى دعواهم ان المقنع كان إلهاً . وانه مصور فى كل زمان بصورة

(١) وفى التبصرة البغدادية : «كل من شبه ربه بصورة الانسان من البيانية ، والمغيرية ، والجواربية المنسوبة الى داود الجواربى ، والهشامية المنسوبة الى هشام بن سالم الجواليقى فانما يعبد انسانا مثله ، ويكون حكمه فى الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها . وكذلك من زعم أن بعض الناس إله وادعى حلول روح الإله فيه على مذهب الحلولية كما قالته الخطابية فى جعفر الصادق وكما قالته الرزامية فى أبى مسلم صاحب دعوة بنى العباس . وكما قالته المبيضة فى المقنع فهو عابد وثن . اه» وبذلك تعلم حكم السالمية ومن سار مسيرهم فى القول بالتجلى فى الصور .

(٢) فرقة من الثنوية سموا بها لتبيضهم ثيابهم مخالفة للمسودة من العباسيين .

مخصوصة . ومنهم : العزافرة الذين قالوا بإلهية ابن أبي العزافر (١) المقتول ببغداد وهذه الأصناف الذين ذكرناهم فى هذا الفصل كلهم خارجون عن دين الاسلام وان انتسبوا فى الظاهر اليه . وسنذكر تفصيل مقالة كل صنف منهم فى الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب اذا انتهينا اليه ان شاء الله عز وجل . وبعد هذا فرق من المشبهة عدهم المتكلمون فى فرق الملة لاقرارهم بلزوم أحكام القرآن ، واقرارهم بوجوب أركان شريعة الاسلام من الصلاة، والزكاة ، والصيام ، والحج عليهم واقرارهم بتحريم المحرمات عليهم وان ضلوا وكفروا فى بعض الأصول العقلية .

ومن هذا الصنف هشامية منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضى الذى شبه معبوده بالانسان . وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه . وأنه جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل، عريض، عميق، وذو لون، وطعم، ورائحة .وقد روى عنه أن معبوده كسبيكة الفضة ، وكاللؤلؤة (٢) المستديرة . وروى عنه أنه أشار إلى أن جبل أبى قبيس أعظم منه . وروى عنه انه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما راه ومقالته فى هذا التشبيه على التفصيل الذى ذكرناه فى تفصيل أقوال الامامية قبل هذا .

ومنهم: الهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقى الذى زعم أن معبوده على صورة الانسان وأن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت وان له شعرة سوداء وقلبا تنبع منه الحكمة . ومنهم اليونسية المنسوبة إلى يونس بن عبدالرحمن القمى الذى زعم ان الله تعالى يحمله حملة عرشه، وان كان هو أقوى منهم كما أن الكركى تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه

---

(١) بالزاى والقاف فى ضبط ابن الأثير . وهو : أبو جعفر محمد بن على الشلمغانى قتل سنة ٣٢٢ هـ والموجود فى المعاجم وابن جرير عذافر بالذال والفاء وبضم العين

(٢) ومثله مقاتل بن سليمان المفسر . قال المطهر المقدسى فى « البدء والتاريخ » : وأما المقاتلية فهم أصحاب مقاتل بن سليمان زعم أن الله جسم من الأجسام لحم ودم وانه سبعة أشبار بشبر نفسه اهـ . تعالى الله عن افك المجسمة ولله در القائل :—

ما فى البرية أخزى عند فاطرها ممن يقول باجبار وتشبيه

فيكون القائل تبرأ من جهم الجبرى، ومقاتل المشبهة فى آن واحد . وزعم السكسكى فى برهانه أن مقاتلا هذا ليس بمقاتل المفسر . لكنه هو بعينه رغم من يزعم خلاف ذلك . وأنباء جهم ومقاتل فى غاية الشهرة عند أهل العلم .

ومنهم : المشبة المنسوبة الى داود الجواربى (١) الذى وصف معبوده بجميع أعضاء الانسان إلا الفرج واللحية . ومنهم : الابراهيمية المنسوبة إلى ابراهيم بن أبي يحيى الاسلمى وكان من جملة رواة الأخبار غيرانه ضل فى التشبيه ونسب الى الكذب فى كثير من رواياته .

ومنهم : الخابطية من القدرية : وهم منسوبون الى أحمد بن خابط(٢) وكان من المعتزلة المنتسبة الى النظام ثم انه شبه عيسى بن مريم بربه وزعم انه الإله الثانى ، وأنه هو الذى يحاسب الخلق فى القيامة ومنهم الكرامية فى دعواها ان الله تعالى جسم له حد ونهاية وأنه محل الحوادث ، وأنه مماس لعرشه . وقد بينا تفصيل مقالاتهم قبل هذا بما فيه كفاية فهؤلاء مشبهة لله تعالى بخلقه فى ذاته .

فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فأصناف :ــ

منهم : الذين شبهوا ارادة الله تعالى بارادة خلقه . وهذا قول المعتزلة البصرية الذين زعموا ان الله تعالى عز وجل يريد مراده بارادة حادثة . وزعموا أن ارادته من جنس ارادتنا ثم ناقضوا هذه الدعوى بأن قالوا : يجوز حدوث ارادة الله عز وجل لا فى محل ، ولا يصح حدوث ارادتنا إلا فى محل . وهذا ينقض قولهم إن ارادته من جنس ارادتنا لأن الشيئين إذا كانا متماثلين ومن جنس واحد جاز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر. واستحال فى كل واحد منهمـــا مايستحيل على الآخر . وزادت الكرامية على المعتزلة البصرية فى تشبيه ارادة الله تعالى بارادات عباده وزعموا ان ارادته من جنس ارادتنا وانها حادثة فيه كما تحدث ارادتنا فينا . وزعموا لأجل ذلك ان الله تعالى محل للحوادث . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومنهم: الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه . فزعموا ان كلام الله تعالى أصوات وحروف من جنس الأصوات والحروف المنسوبة إلى العباد . وقالوا بحدوث كلامه وأحال جمهورهم سوى الجبائى بقاء كلام الله تعالى . وقال النظام منهم : ليس فى نظم كلام الله سبحانه إعجاز كما ليس فى نظم كلام العباد إعجاز . وزعم أكثر المعتزلة أن الزنج ، والترك ، والخزر قادرون على الاتيان بمثل نظم القرآن وبما هو أفصح منه وانما عدموا العلم بتأليف

---

(١) أخذ التجسيم عن هشام بن سالم الجواليق .

(٢) بالخاء فى ضبط ابن الاثير، وكان يخبط حقا ، ولم يصب ابن حجر حيث ذكره فى الحاء المهملة ، ترجم له الصفدي ترجمة واسعة فى الوافى .

نظامه وذلك العلم مما يصح أن يكون مقدوراً لهم . وشاركت الكرامية المعتزلة فى دعواها حدوث قول الله عز وجل مع فرقها بين القول والكلام فى دعواها ان قول الله سبحانه من جنس أصوات العباد وحروفهم ، وان كلامه قدرته على إحداث القول . وزادت على المعتزلة قولها بحدوث قول الله عز وجل فى ذاته بناء على أصلهم فى جواز كون الإله محلا للحوادث .

ومنهم : الزرارية أتباع زرارة بن اعين الرافضى فى دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل وانها من جنس صفاتنا وزعموا ان الله تعالى لم يكن فى الأزل حياً ، ولا عالما ، ولا قادراً ، ولا مريداً ، ولا سميعا ، ولا بصيراً ، وانما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلما ، وارادة ، وسمعا ، وبصراً كما أن الواحد منا يصير حياً ، قادراً ، سميعاً ، بصيراً ، مريداً عند حدوث الحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر فيه .

ومنهم : الذين قالوا من الروافض بان الله تعالى لايعلم الشىء حتى يكون فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا . وهذا باب ان أطلناه طال ونشر الأذيال . وقد بينا تفصيل أقوال المعتزلة ، والمشبهة ، وأقوال سائر أصحاب الأهواء فى كتابنا المعروف بكتاب « الملل والنحل » وفيما ذكرنا منها فى هذا الباب كفاية والله أعلم .

الباب الرابع

من أبواب هذا الكتاب

فى بيان الفرق التى انتسبت إلى الاسلام وليست منها :

الكلام فى هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من أمة الاسلام وملته وقد ذكرنا قبل هذا أن بعض الناس زعم أن اسم ملة الاسلام واقع على كل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كل ماجاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ماكان . وهذا اختيار الكعبي فى مقالاته . وزعمت الكرامية : ان اسم أمة الاسلام واقع على كل من قال لااله إلا الله محمد رسول الله سواء أخلص فى ذلك أو اعتقد خلافه . وهذان الفريقان يلزمهما ادخال العيسوية من اليهود ، والشاذكانية [1] منهم فى ملة الاسلام لأنهم يقولون لا إله إلا الله

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصواب المشكانية .

محمد رسول الله . ويزعمون أن محمدا كان مبعوثا إلى العرب ، وقد أقروا بأن ماجاء به حق وقال بعض فقهاء أهل الحديث: اسم أمة الاسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة . وهذا غير صحيح لأن أكثر المرتدين الذين ارتدوا باسقاط الزكاة فى عهد الصحابة كانوا يرون وجوب الصلاة إلى الكعبة. وانما ارتدوا باسقاط وجوب الزكاة وهم المرتدون من بنى كندة وتميم .

فاما المرتدون من بنى حنيفة وبنى أسد فانهم كفروا من وجهين : أحدهما : اسقاط وجوب الزكاة. والثانى : دعواهم نبوة مسيلمة، وطليحة . واسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصبح ، وصلاة المغرب فازدادوا كفراً على كفر .

والصحيح عندنا ان اسم ملة الاسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه ، وقدمه وأنه عادل حكيم مع نفى التشبيه والتعطيل عنه ، وأقر مع ذلك بنبوة جميع أنبيائه وبصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة ، وبتأبيد شريعته ، وبأن كل ماجاء به حق وبأن القرآن منبع احكام شريعته ، وبوجوب الصلوات الخمس الى الكعبة ، وبوجوب الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت على الجملة . فكل من أقر بذلك فهو داخل فى أهل ملة الاسلام وينظر فيه بعد ذلك فان لم يخلط ايمانه ببدعة شنعاء تؤدى إلى الكفر فهو الموحد السنى . وان ضم إلى ذلك بدعة شنعاء نظر فان كان على بدعة الباطنية ، أو البيانية ، أو المغيرية ، أو المنصورية، أو الجناحية ، أو السبابية، أو الخطابية من الرافضة . أو كان على دين الحلولية، أو على دين أصحاب التناسخ، أو على دين الميمونية أو اليزيدية من الخوارج، أو على دين الخابطية أوالحمارية من القدرية أوكان ممن يحرم شيئا مما نص القرآن على إباحته باسمه ، أو أباح ماحرم القرآن باسمه فليس هو من جملة أمة الاسلام .

وان كانت بدعته من جنس بدع الرافضة الزيدية، أو الرافضة الامامية، أو من جنس بدع اكثر الخوارج ، أو من جنس بدع المعتزلة، أو من جنس بدع النجارية، أو الجهمية أو الضرارية ، أو المجسمة من الأمة كان من جملة امة الاسلام فى بعض الاحكام وهو ان يدفن فى مقابر المسلمين ، ويدفع اليه سهمه من الغنيمة ان غزا مع المسلمين ، ولا يمنع من دخول مساجد المسلمين ومن الصلاة فيها . ويخرج فى بعض الاحكام عن حكم امة الاسلام وذلك : انه لا تجوز الصلاة عليه ، ولا الصلاة خلفه ، ولا تحل ذبيحته ، ولا تحل المرأة منهم للسنى، ولا يصح نكاح السنية من احد منهم . والفرق المنتسبة إلى الاسلام فى الظاهر

مع خروجها عن جملة الأمة عشرون فرقة هذه ترجمتها :

سبابية، وبيانية، وحربية، ومغيرية ومنصورية، وجناحية، وخطابية، وغرابية، ومفوضية، وحلولية، واصحاب التناسخ، وخابطية . وحمارية، ومقنعية، ورزامية، ويزيدية، وميمونية، وباطنية، وحلاجية، وعزافرية، واصحاب اباحة . وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق اصنافا كثيرة نذكرها على التفصيل فى فصول مرتبة إن شاء الله عز وجل .

الفصل الأول

من فصول هذا الباب

فى ذكر قول السبابية وبيان خروجها عن ملة الاسلام :

السبابية أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على رضى الله عنه وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أن إله ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم إلى على رضى الله عنه فامر باحراق قوم منهم فى حفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك : —

لترم بى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم أن عليا رضى الله عنه خاف من احراق الباقين منهم شماتة أهـل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن فلما قتل على رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصور للناس فى صورة على وإن عليا صعد إلى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام . وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على ، وانما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه على . وعلى قد صعد إلى السماء وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه . وزعم بعض السبابية أن علياً فى السحاب وان الرعد صوته ، والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال : عليك السـلام يا أمير المؤمنين . وقد روى عن عامر بن شراحيل [1] الشعبى أن ابن سبأ قيل له إن علياً قد قتل . فقال : إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق بموته لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها وهذه الطائفة تزعم أن المهدى المنتظر انما هو على دون غيره وفى هذه الطائفة قال اسحاق بن سويد العدوى

(١) هو : من كبار التابعين توفى سنة ١٠٤ هـ .

قصيدته برىء فيها من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، منها هذه الأبيات :ـــ

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا علياً   يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى   واعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حباً   به أرجو غداً حسن الثواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء (١) وكان يعين السبابية على قولها . وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحيرة فاظهر الاسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفه سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصياً وان علياً رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء . فلماسمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى أنه من محبيك فرفع على قدره وأجلسه تحت درجة منبره .

ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له : ان قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك . فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنة التى خافها ابن عباس نفاهما إلى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه . وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفه عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته .

وقال المحققون من اهل السنة ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة السبابية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى

---

(١) لكن ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ بعينه كما فى خطط المقريزى وغيره ، وهو مثير الفتن المعروفة بين الصحابة قال ابن عساكر : « وكان يهوديا فاظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ودخل دمشق لذلك » . وقال المقريزى : « ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة .. وعنه أخذوا القول بان الجزء الالهى يحل فى الأئمة . . وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر . وابن سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان له عدة أتباع فى عامة الأمصار » . وإن صحت هذه الرواية عن الكعبي تكون من رواياته الساقطة فى مقالاته . والمصنف ليس فى التاريخ بذاك .

الكفر . ودلس ضلالته فى تأويلاته .

قال عبد القاهر : كيف يكون من فرق الاسلام قوم يزعمون ان عليا كان إلها أو نبيا ؟ ولئن جازادخال هؤلاء فى جملة فرق الاسلام جازادخال الذين ادعوا نبوة مسيلمة الكذاب فى فرق الاسلام . قلنا للسبابية : ان كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانا تصور للناس فى صورة على فلم لعنتم ابن ملجم . وهلا مدحتموه . فان قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به . وقلنا لهم كيف يصح دعواكم ان الرعد صوت على والبرق سوطه وقد كان صوت الرعد مسموعا ، والبرق محسوسا فى زمن الفلاسفة قبل زمان الاسلام ولهذا ذكروا الرعد والبرق فى كتبهم واختلفوا فى علتها ؟. ويقال لابن السوداء ليس على عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبة من موسى ، وهارون ، ويوشع بن نون وقد صح موت هؤلاء الثلاثة ولم ينبع لهم فى الأرض عسل ولا سمن سوى نبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه فى التيه فما الذى عصم علياً من الموت وقد مات ابنه الحسين وأصحابه بكربلاء عطشا ولم ينبع لهم ماء فضلا عن عسل وسمن .

الفصل الثانى

من فصول هذا الباب :

فى ذكر البيانية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الاسلام

هؤلاء أتباع بيان بن سمعان التميمى وهم الذين زعموا أن الامامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبى هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه . واختلف هؤلاء فى بيان زعيمهم .

فنهم : من زعم انه كان نبيا وانه نسخ بعض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . ومنهم : من زعم انه كان إلهاً . وذكر هؤلاء أن بيانا قال لهم : إن روح الإله تناسخت فى الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت اليه منه يعنى نفسه فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية وزعم أيضا انه هو المذكور فى القرآن فى قوله: « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين[1] » وقال : أنا البيان وأنا الهدى والموعظة . وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وانه يهزم به العساكر، وانه يدعو به الزهرة فتجيبه . ثم انه زعم أن الإله الأزلى رجل من نور، وانه يفنى كله غير وجهه وتأول على زعمه قوله :

---

(١) سورة آل عمران : مدنية ١٣٨ .

« كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون (١) » وقوله : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك (٢) » ورفع خبر بيان هذا إلى خالد بن عبد الله القسرى فى زمان ولايته فى العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال له : ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعوانى عنك .

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الاسلام لدعواها إلهية زعيمها بيان كما خرج عابدو الاصنام عن فرق الاسلام . ومن زعم منهم أن بياناً كان نبياً فهو كمن زعم أن مسيلمة كان نبيا . وكلا الفريقين خارجان عن فرق الاسلام . ويقال للبيانية اذا جاز فناء بعض الإله فما المانع من فناء وجهه ؟ فاما قوله « كل شيء هالك إلا وجهه » فمعناه راجع الى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه الله عز وجل . وقوله : ويبقى . معناه : ويبقى ربك لأنه قال بعده ذو الجلال والاكرام بالرفع على البدل من الوجه . ولو كان الوجه مضافا الى الرب لقال ذي الجلال بخفض ذى لأن نعت المخفوض يكون مخفوضاً وهذا واضح فى نفسه والحمدلله .

الفصل الثالث

فى ذكر المغيرية من الغلاة وبيان خروجها عن جملة فرق الاسلام .

هؤلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلى وكان يظهر فى بدء أمره موالاة الإمامية ، وزعم أن الإمامة بعد على ، والحسن ، والحسين إلى سبطه محمد (٣) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على . وزعم أنه هو المهدى المنتظر واستدل على ذلك بالخبر الذى ذكر أن اسم المهدي يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه يوافق اسم أبى النبي عليه السلام وتبعته الرافضة على دعوته إياهم الى انتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على . ثم انه أظهر لهم بعد رياسته عليهم نوعا من الكفر الصريح .

منها . دعواه النبوة ، ودعواه علمه بالاسم الأعظم ، وزعم أنه يحيى به الموتى ، ويهزم به الجيوش .

ومنها : افراطه فى التشبيه . وذلك أنه زعم أن معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة . وزعم أيضا : ان أعضاءه على صور حروف الهجاء ، وأن الألف منها مثال قدميه ، والعين على صورة عينه ، وشبه الهاء بالفرج .

---

(١) سورة القصص : مكية ٨٨ . (٢) سورة الرحمن : مكية ٢٦ و ٢٧ .

(٣) هو : المعروف بالنفس الزكية .

ومنها : أنه تكلم فى بدء الخلق فزعم أن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم باسمه الأعظم فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه وتأول على ذلك قوله : « سبح اسم ربك الأعلى[١] » ، وزعم أن الاسم الأعلى انما هو ذلك التاج ثم انه بعد وقوع التاج على رأسه كتب باصبعه على كفه أعمال عباده . ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما : مظلم مالح . والآخر : عذب نير . ثم اطلع فى البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه فطار فانتزع عينى ظله فخلق منهما الشمس والقمر وأفنى باقى ظله وقال : لاينبغى أن يكون معى إله غيرى . ثم خلق الخلق من البحرين فخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون ، وخلق الكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المظلم المالح وزعم أيضا ان الله تعالى خلق الناس قبل أجسادهم فكان أول ما خلق فيها ظل محمد قال فذلك قوله : « قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين[٢] » ، قال ثم أرسل ظل محمد الى أظلال الناس ثم عرض على السموات والجبال أن يمنعن على بن أبى طالب من ظالميه فأبين ذلك فعرض ذلك على الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة على ومنعه من أعدائه وأن يغدر به فى الدنيا وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعل أبو بكر ذلك . قال : فذلك تأويل قوله : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا[٣] » ، فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر . وتأول فى عمر قول الله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك[٤] » ، والشيطان عنده عمر ، وكان المغيرة مع ضلالاته التى حكيناها عنه يأمر أصحابه بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وسمع خالد بن عبد الله القسرى بخبره وضلالاته فطلبه فلما قتل المغيرة بقى أتباعه على انتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فلما أظهر محمد هذا دعوته بالمدينة بعث اليها أبو جعفر المنصور بصاحب جيشه عيسى بن موسى مع جيش كثيف فقتلوا محمداً بعد غلبته على مكة والمدينة . وكان أخوه ادريس بن عبد الله قد غلب على أرض المغرب .

فاما محمد بن عبد الله بن الحسن فقتل بالمدينة فى الحرب ، وأما ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فانه غره يسير من الرجال وأتباعه من المعتزلة وضمنوا له النصرة على جند المنصور فلما

---

(١) سورة الأعلى : مكية ١ . (٢) سورة الزخرف : مكية ٨١ .
(٣) سورة الأحزاب : مدنية ٧٢ . (٤) سورة الحشر : مدنية ١٦ .

التقى الجمان بباخمرى وهى على ستة عشر فرسخا من الكوفة قتل ابراهيم وانهزمت المعتزلة عنه ولحقته شؤمهم وتولى قتالهم من أصحاب المنصور عيسى بن موسى ومسلم بن قتيبة .

وأما أخوه ادريس فانه مات بأرض المغرب وقيل إنه سم . وذكر بعض أصحاب التواريخ أن سليمان بن جرير الزيدى سمه ثم هرب الى العراق فلما قتل محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن اختلفت المغيرية فى المغيرة فهربت منه فرقة منهم ولعنوه وقالوا : انه كذب فى دعواه أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى الذى يملك الأرض لأنه قتل ولم يملك الأرض ولا عشرها . وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة وقالت : انه صدق فى أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى المنتظر، وانه لم يقتل بل هوفى جبل من جبال حاجر مقيم إلى أن يؤمر بالخروج فاذا خرج عقدت له البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحى له سبعة عشر رجلا يعطى كل رجل منهم حرفا واحداً من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض . وزعم هؤلاء أن الذى قتله جند المنصور بالمدينة انما كان شيطانا تمثل للناس بصورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . وهؤلاء يقال لهم المحمدية من الرافضة لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . وكان جابر الجعفى[1] على هذا المذهب وادعى وصية المغيرة بن سعيد اليه بذلك . فلما مات جابر ادعى بكر الأعور الهجرى القتات وصية جابر اليه وزعم انه لايموت . واكل بذلك أموال المغيرية على وجه السخرية منهم . فلما مات بكر علموا انه كان كاذباً فى دعواه فلعنوه

قال عبد القاهر : كيف يعد فى فرق الاسلام قوم شبهوا معبودهم بحروف الهجاء وادعوا نبوة زعيمهم ؟ لو كان هؤلاء من الأمة لصح قول من يزعم أن القائلين بنبوة مسيلمة ، وطليحة كانوا من الأمة . ويقال للمغيرية إن أنكرتم قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وزعمتم أن المقتول كان شيطانا تصور فى صورته فبم تنفصلون عمن يزعم أن الحسين بن على وأصحابه لم يقتلوا بكربلاء بل غابوا وقتل شياطين تصوروا بصورتهم فانتظروا حسينا فانه أعلى رتبة من ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وانتظروا علياً ولاتصدقوا بقتله كما انتظرته السبابية فان علياً أجل من بنيه وهذا مالا انفصال لهم عنه .

---

(١) هو : ابن يزيد أخرج له أبو داود، والترمذى، وابن ماجه .

الفصل الرابع

من هذا الباب :

فى ذكر الحربية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى وكان على دين البيانية فى دعواها أن روح الإله تناسخت فى الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عمرو بن حرب وادعت الحربية فى زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية فى بيان بن سمعان وكلتا الفرقتين كافرة بربها وليست من فرق الاسلام كما أن سائر الحلولية خارجة عن فرق الاسلام .

الفصل الخامس

من هذا الباب:

فى ذكر المنصورية وبيان خروجها عن جملة فرق الاسلام .

هؤلاء أتباع أبى منصور العجلى الذى زعم أن الامامة دارت فى أولاد على حتى انتهت إلى أبى جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على المعروف بالباقر وادعى هذا العجلى انه خليفة الباقر ، ثم ألحد فى دعواه فزعم أنه عرج به الى السماء وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له : يابنى بلغ عنى . ثم أنزله الى الأرض وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور فى قوله : « وأن يروا كسفاً من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم (١) » . وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار وتأولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا ، واستحلوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم واستمرت فتنتهم على عادتهم إلى أن وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى زمانه على عورات المنصورية فأخذ أبا منصور العجلى وصلبه وهذه الفرقة أيضا غير معدودة فى فرق الاسلام لكفرها بالقيامة والجنة والنار .

---

(١) سورة الطور : مكية ٤٤ .

الفصل السادس

من هذا الباب :

فى ذكر الجناحيه من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الإسلام .

هؤلاء أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (١) وكان سبب اتباعهم له أن المغيرية الذين تبرؤا من المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن عبد الله الحسن بن الحسن بن على خرجوا من الكوفة إلى المدينه يطلبون إماما فلقيهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فدعاهم إلى نفسه وزعم أنه هو الإمام بعد على وأولاده من صلبه فبايعوه على امامته ورجعوا إلى الكوفة وحكوا لأتباعهم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر زعم أنه رب وأن روح الآله كانت فى آدم ، ثم فى شيث ، ثم دارت [فى الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى على ثم دارت فى أولاده الثلاثة ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية وزعموا انه قال لهم : ان العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة والعشب . وكفرت هذه الطائفة بالجنة والنار ، واستحلوا الخمر والميتة والزنى واللواط وسائر المحرمات ، وأسقطوا وجوب العبادات ، وتأولوا العبادات على انها كنايات عمن تجب موالاتهم من أهل بيت على ، وقالوا فى المحرمات المذكورة فى القرآن انها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبى بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة . وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب « المعارف » أن عبد الله بن معاوية هذا ظهر بناحيتى فارس وأصفهان فى جنده ، فبعث أبو مسلم الخراسانى اليه جيشا كثيفاً فقتلوه ، وأنكر أتباعه قتله وزعموا انه حى . ويقال لهذه الطائفة : ان لم يكن لنا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فليس على مخالفيكم خوف من قتلكم وسبى نسائكم .]

الفصل السابع

من هذا الباب :

[فى ذكر الخطابية : أتباع أبى الخطاب الأسدى (٢) ، وهم يقولون إن الإمامة كانت فى أولاد على إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق ، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة ، وكان أبو الخطاب يزعم أولا أن الأئمه أنبياء ثم زعم أنهم آلهة وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه ، وكان يقول إن جعفراً إله فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده ، وكان أبو الخطاب يدعى بعد ذلك الإلهية لنفسه ، وزعم أتباعه أن جعفراً إله غير أن أبى الخطاب

(١) هو المعروف بذى الجناحين . (٢) هو : محمد بن أبى زينب الأسدى ولاء كما فى الفصل

أفضل منه وأفضل من على ، والخطابيـة يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم ، ثم إن أبا الخطاب نصب خيمة فى كناسة الكوفة ودعا فيها أتباعه إلى عبـادة جعفر ، ثم خرج أبو الخطاب على والى الكوفة فى أيام المنصور . فبعث اليـه المنصور بعيسى بن موسى فى جيش كثيف ، فأسروه فصلب فى كناسة الكوفة ، وأتباعه كانوا يقولون : ينبغى أن يكون فى كل وقت إمام ناطق، وآخر ساكت، والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب ويقولون: إن عليا كان فى وقت النبى صامتا ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ناطقا ، ثم صار على بعده ناطقا . وهكذا يقولون فى الأئمة إلى أن انتهى الأمر الى جعفر . وكان أبو الخطـاب فى وقته إماما صامتا وصار بعده ناطقا ، وأتباع أبى الخطاب افترقوا بعـد صلبه خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة آلهة ، وأنهم يعلمون الغيب وما هو كائن قبل أن يكون . وكلهم كفار مارقون من دين الاسلام ، فالفرقة الأولى منهم المعمرية : وهم يقولون إن الامام بعد أبى الخطاب رجل اسمه معمر ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون أبا الخطاب ، وكانوا يزعمون أن الدنيا لاتفنى ، وأن الجنـة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافيـة وان النار هى التى تصيب النـاس من شر ومشقة وبلية ، واستحلوا المحرمات ودانوا بترك الفرائض وكانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح .

الفرقة الثانية البزيغية : وهم أتباع بزيغ [1] ، وكان يزعم أن جعفراً كان إلهاً ، ولم يكن جعفر ذلك الذى يراه الناس ، بل كان يظهر] للناس بتلك الصورة، وزعموا أيضاً أن كل مؤمن يوحى اليه وتأولوا على ذلك قول الله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله [2]»، أى يوحى منه اليه، واستدلوا أيضاً بقوله : «وإذ أوحيت إلى الحواريين [3]» . وادعوا فى أنفسهم أنهم هم الحواريون وذكروا قول الله تعـالى : « وأوحى ربك إلى النحل[4]»، وقالوا : إذا جاز الوحى إلى النحل فالوحى الينـا أولى بالجواز . وزعموا أيضاً فيهم من هو أفضل من جبريل، وميكائيل، ومحمد . وزعموا أيضاً انهم لا يموتون وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية فى دينه رفع إلى الملكوت ، وزعموا أنهم يرون المرفوعين منهم غدوة وعشية .

---

(١) هكذا عند الشهرستانى والمقريزى، وفى التبصير ربيع فليحرر .

(٢) سورة آل عمران : مدنية ١٤٥ . (٣) سورة المائدة : مدنية ١١١ .

(٤) سورة النحل : مكية ٦٨ .

والفرقة الثالثة منهم : العميرية أتباع عمير بن بيان العجلى قالوا : بتكذيب الذين قالوا منهم أنهم لا يموتون . وقالوا : إنا نموت ولكن لا يزال خلف منا فى الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفراً وسموه رباً .

والفرقة الرابعة منهم : المفضلية لانتسابهم إلى رجل كان يقال له مفضل الصيرفى قالوا بإلهية جعفر دون نبوته وتبرؤا من أبي الخطاب لبراءة جعفر منه .

والفرقة الخامسة منهم : الخطابية المطلقة : ثبتت على موالاة أبي الخطاب فى دعاويه كلها وانكرت إمامة من بعده .

قال عبد القاهر : ان الباطنية، والمنصورية، والجناحية والخطابية قد أكفروا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة باخراجهم عليا من الامامه فى عصرهم، وهم قد أخرجوا الامامة عن أولاد على فى اعصار زعمائهم . فيقال لهم : إذا كان على فى وقته أولى بالإمامة من سائر الصحابة فهلا كان أولاده أولى بها من زعمائهم فى أعصارهم . وليس العجب من هؤلاء الضالين وانما العجب من علوية قبلوا هؤلاء مع استبدادهم دونهم بالأمامة .

الفصل الثامن

من هذا الباب :

فى ذكر الغرابية، والمفوضة، والذمية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

الغرابية : قوم زعموا أن الله عزوجل أرسل جبريل عليه السلام إلى على فغلط فى طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب وزعموا أن علياً كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل . وهذه الفرقة تقول لأتباعها العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام . وكفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأتيك بالوحى من الله تعالى ؟ . فقال : جبريل فقالوا : أنا لانحب جبريل لأنه ينزل بالعذاب وقالوا : لو أتاك بالوحى ميكائيل الذى لاينزل إلا بالرحمة لآمنابك . فاليهود مع كفرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ومع عداوتهم لجبريل عليه السلام لا يلعنون جبريل وانما يزعمون أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة . والغرابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمداً عليهما السلام وقد قال الله تعالى : « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين [1] » فى هذا تحقيق

(١) سورة البقرة : مدنية ٩٨

اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة ولايجوز ادخال من سماهم الله كافرين فى جملة فرق المسلمين

وأما المفوضة من الرافضة : فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض اليه خلق العالم وتدبيره فهو الذى خلق العالم دون الله تعالى، ثم فوض محمد تدبير العالم إلى على بن أبى طالب فهو المدبر الثانى وهذه الفرقة شر من المجوس الذين زعموا أن الإله خلق الشيطان، ثم أن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصارى الذين سموا عيسى عليه السلام مدبراً ثانيا فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الاسلام فهو بمنزلة من عد المجوس، والنصارى من فرق الاسلام :

وأما الذمية منهم : فقوم زعموا أن عليا هو الله وشتموا محمداً وزعموا أن عليا بعثه لينبىء عنه فادعى الأمر لنفسه وهذه خارجة عن فرق الاسلام لكفرها بنبوة محمد من الله تعالى :

الفصل التاسع

من هذا الباب

فى ذكر الشريعية، والنميرية من الرافضة .

الشريعية أتباع رجل كان يعرف بالشريعى وهو الذى زعم أن الله تعالى حل فى خمسة أشخاص وهم : النبي، وعلى، وفاطمة [١]، والحسن، والحسين . وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولها اضداد خمسة واختلفوا فى اضدادها . فنهم من زعم أنها محمودة لأنه لايعرف فضل الاشخاص التى فيها إلاله إلا بأضدادها. ومنهم من زعم أن الاضداد مذمومة وحكى الشريعى أنه أدعى يوماً أن الإله حل فيه وكان بعده من أتباعه رجل يعرف بالنميرى حكى عنه أنه ادعى فى نفسه أن الله تعالى حل فيه فهذه ثمانى فرق من الروافض الغلاة خارجة عن جميع فرق الاسلام لاثباتهم إلهاً غير الله . ومن أعجب الاشياء أن الخطابية زعمت أن جعفراً الصادق قد أودعهم جلداً فيه علم كل مايحتاجون اليه من الغيب، وسموا ذلك الجلد جفراً . وزعموا أنه لايقرأ مافيه إلا من كان منهم وقد ذكر ذلك هارون بن سعيد العجلى [٢] فى شعره فقال :ــ

---

(١) هى سيدة نساء المؤمنين، وبنت خير المرسلين انتقلت إلى جوار ربها سنة ١١ هـ .

(٢) كان رأس الزيدية خرج مع ابراهيم بن عبد الله فى عهد المنصور واستولى على واسط واستشهد سنة ١٤٥ هـ .

أل تر أن الرافضين تفرقوا — وكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفـة قالوا إله ومنهـم — طوائف سمته النبى المطهـرا
ومن عجب لم أقضه جلد جعفر — برئت الى الرحمان ممن تجعفرا
[فان كان يرضى مايقولون جعفر — فانى إلى ربى أفارق جعفـرا]
برئت إلى الرحمان من كل رافض — بصير بباب الكفر فى الدين أعورا
أذا كف أهل الحق عن بدعة مضى — عليها وإذ يمضوا الى الحق قصرا
ولو قيل إن الفيـل ضب لصدقوا — ولو قيـل زنجى تحول أحمرا
وأخلف من بول البعـير فانه — إذا هو للاقبـال وجه أدبرا
فيـا قبح أقوام رموه بفرية — كما قال فى عيسى الفرى من تنصرا

الفصل العاشر

من هذا الباب:

فى ذكر أصناف الحلولية وبيان خروجها عن فرق الاسلام

الحلولية فى الجملة عشر فرق كلها كانت فى دولة الاسلام وغرض جميعها القصد إلى افساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيل فرقها فى الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض . وذلك أن السبابية ، والبيانية ، والجناحية ، والخطابية ، والنميرية منهم باجمعها حلولية وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية(١)، وقوم يقال لهم بركوكية . وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية ، وقوم يقال لهم حلاجية ينسبون الى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج . وقوم يقال لهم العزافرة ينسبون الى ابن أبى العزافر (٢) وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم فى استباحة المحرمات واسقاط المفروضات ونحن نذكر نحلتهم على الاختصار .

أما السبابية فانما دخلت فى جملة الحلولية لقولها بان علياً صار إلهاً بحلول روح الإله فيه . وكذلك البيانية زعمت أن روح الإله دارت فى الأنبياء والأئمة حتى انتهت الى على ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبى هاشم ثم حلت بعده فى بيان بن سمعان . وادعوا بذلك إلهية بيان بن سمعان وكذلك الجناحية منهم حلولية لدعواها أن روح الإله دارت فى على وأولاده ثم صارت الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكفرت

---

(١) بكسر الراء والتخفيف كما فى اللباب. (٢) سبق الكلام فيه راجع الشلمغانى فى اللباب

بدعواها حلول روح الإله فى زعيمها وكفرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار . والخطابية كلها حلولية لدعواها حلول روح الإله فى جعفر الصادق وبعده فى أبى الخطاب الأسدى فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة ومن جهة دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحباؤه ومن ادعى منهم فى نفسه انه من أبناء الله فهو أكفر من سائر الخطابية .

والشريعية . والنميرية منهم: حلولية لدعواها أن روح الإله حلت فى خمسة أشخاص : النبي ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين لدعواها أن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة .

وأما الرزاميـــة : فقوم بمرو أفرطوا فى موالاة أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وساقوا الامامة من أبى هاشم اليه ثم ساقوها من محمد بن على إلى أخيه عبد الله بن على السفاح ثم زعموا أن الامامة بعد السفاح صارت إلى أبى مسلم وأقروا مع ذلك بقتل أبى مسلم وموته إلا فرقة منهم يقال لهم أبو مسلمية أفرطوا فى أبى مسلم غاية الافراط وزعموا أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه وزعموا أن أبامسلم خير من جبريل، وميكائيل، وسائر الملائكة . وزعموا إيضا أن أبا مسلم حى لم يمت وهم على انتظاره وهؤلاء بمرو ، وهراة يعرفون بالبركوكية فاذا سئل هؤلاء عن الذى قتله المنصور قالوا : كان شيطانا تصور للناس فى صورة أبى مسلم .

وأما المقنعية : فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون وكان زعيمهم المعروف بالمقنع [1] رجلا أعور قصاراً بمرو من أهل قريه يقال لها (كازه كيمن دات) وكان قد عرف شيئاً من الهندسة، والحيل، والنيرنجات وكان على دين الرزامية بمرو ثم أدعى لنفسه الإلهية واحتجب عن الناس ببرقع من حرير واغتر به أهل جبل ابلاق وقوم من الصغد ودامت فتنه على المسلمين مقدارأربع عشرة سنة وعاونه كفرة الأتراك الخلجية على المسلمين للغارة عليهم وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين فى أيام المهدى بن المنصور [2] وكان المقنع قد أباح لأتباعه المحرمات وحرم عليهم القول بالتحريم ، واسقط عنهم الصلاة ، والصيام وسائر العبادات وزعم لأتباعه أنه هو الإله وانه كان قد تصور مرة فى صورة آدم ثم تصور فى وقت آخر بصورة نوح : وفى وقت آخر بصورة ابراهيم ثم تردد فى صور الانبياء إلى محمد ثم تصور بعده فى صورة على وانتقل بعد ذلك فى صور أولاده ثم

---

(١) اسمه عطاء وترجمته فى وفيات ابن خلكان وكان قتله سنة ١٦٣ هـ .

(٢) هو: الخليفة العباسى محمد بن عبد الله توفى سنة ١٦٨ هـ .

تصور بعد ذلك فى صورة أبى مسلم ثم أنه زعم أنه فى زمانه الذى كان قد تصور بصورة هشام بن حكيم (١) وكان إسمه هشام بن حكيم وقال : انى انما أتنقل فى الصور لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليهـا ومن رآنى احترق بنورى وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كش ونخشب يقال له سيام وكان عرض جدار سورها اكثر من مائة آجرة ودونها خندق كبير وكان معه أهل الصغد، والأتراك الخلجية وجهز المهدى اليهم صاحب جيشه معـاذ بن مسلم فى سبعين الف من المقاتلة واتبعهم بسعيد بن عمرو الجرشى (٢). ثم أفرد سعيداً بالقتال وبتدبير الحرب فقاتله سنين واتخذ سعيد من الحديد والخشب مائتى سلم ليضعها على عرض خندق المقنع ليعبر عليها رجاله واستدعى من مولتان الهند عشرة الآف جلد جاموس وحشاها رملا وكبس بها خندق المقنع وقاتل جند المقنع من وراء خندقه فاستأمن منهم اليه ثلاثون ألفاً وقتل الباقون منهم وأحرق المقنع نفسه فى تنور فى حصنه قد أذاب فيه النحاس مع القطران حتى ذاب فيه وافتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رماداً . وزعموا أنه صعد إلى السماء وأتباعه اليوم فى جبال ايلاق أكره أهلها ولهم فى كل قرية من قراهم مسجد لا يصلون فيه ولكن يكترون مؤذنا يؤذن فيه . وهم يستحلون الميتة ، والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره وان ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الذى فى مسجدهم قتلوه وأخفوه غير أنهم مقهورون بعـامة المسلمين فى ناحيتهم والحمد لله على ذلك .

وأما الحلمانية من الحلولية: فهم المنسوبون الى أبى حلمان الدمشقى وكان أصله من فارس ومنشؤه حلب وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك اليها وكان كفره من وجهين :

أحدهما : انه كان يقول بحلول الإله فى الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه اذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون ان الإله قد حل فيها .

والوجه الثـانى : من كفره قوله بالإباحة ودعواه ان من عرف الإله على الوصف الذى يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه .

قال عبد القـاهر : رأيت بعض هؤلاء الحلمانيـة يستدل على جواز حلول الإله فى الأجساد بقول الله تعالى للملائكة فى آدم : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له

(١) ويعد ابن خلكان اسمه عطاء واسم أبيه حكيما .

(٢) هو : أحد قواد المهدى العباسى راجع تاريخ ابن جرير .

ساجدين (١) ، وكان يزعم ان الإله انما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه كان قد حل في آدم وانما حله لأنه خلقه في أحسن تقويم ولهذا قال : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم (٢) » فقلت له : أخبرني عن الآية التي استدللت بها في أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام والآية الناطقة بأن الانسان مخلوق في أحسن تقويم هل أريد بهما جميع الناس على العموم أم أريد بهما انسان بعينه . فقال : ما الذي يلزمني على كل واحد من القولين ان قلت به ؟ فقلت : إن قلت أن المراد بهما كل الناس على العموم لزمك أن تسجد لكل انسان وان كان قبيح الصورة لدعواك ان الإله حل في جميع الناس . وان قلت أن المراد به انسان بعينه وهو آدم عليه السلام دون غيره فلم تسجد لغيره من أصحاب الصور الحسنة ، ولم تسجد للفرس الرائع ، والشجرة المثمرة . وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم . وربما كان لهب النار في صورة رائعة . فان استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدي النار وإذا لم تسجد للنـــار ، ولا للماء ، ولا للهواء ، ولا للسماء مع حسن صور هذه الأشياء في بعض الاحوال فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور . وقلت له أيضا ان الصور الحسنة في العالم كثيرة وليس بعضها بحلول الإله فيه أولى من بعض ، وان زعمت أن الإله حال في جميع الصور الحسنة فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم ، أو على طريق كون الجسم في مكانه . ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة ، ويستحيل كون شيء واحد في أمكنة كثيرة . واذا استحال هذا استحال ما يؤدي اليه .

وأما الحلاجية : فمنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور (٣) المعروف بالحلاج وكان من أرض فارس من مدينة يقال لها البيضاء وكان في بدء أمره مشغولا بكلام الصوفية وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذي تسميه الصوفية الشطح وهو الذي يحتمل معنيين . احدهما : حسن محمود ، والآخر : قبيح مذموم وكان يدعي أنواع العلوم على الخصوص والعموم ، وافتتن به قوم من أهل بغداد وقوم من أهل طالقان خراسان . وقد اختلف فيه المتكلمون ، والفقهاء ، والصوفية . فأما المتكلمون فاكثرهم على تكفيره وعلى انه كان على مذاهب الحلولية ، وقبله قوم من متكلمي السالمية (٤) بالبصرة ونسبوه إلى حقائق

---

(١) سورة الحجر : مكية ٢٩ . (٢) سورة التين : مكية ٤ .

(٣) قتل سنة ٣٠٩ هـ (٤) وهم كالبربهارية من الحشوية المندسين بين الحنابلة ينسبون

معانى الصوفيـة . وكان القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الاشعرى (١) رحمه الله نسبه إلى معاطاة الحيل والمخاريق وذكر فى كتابه الذى أبان فيه عجز المعتزلة عن تصحيح دلائل النبوة على أصولهم مخاريق الحلاج ووجوه حيله .

واختلف الفقهاء أيضا فى شأن الحلاج فتوقف فيه أبو العباس بن سريج(٢) لما استفتى فى دمه وأفتى أبو بكر بن أبى داود بجواز قتله (٣) . واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرىء منه عمرو بن عثمان المكى (٤) ، وأبو يعقوب الأقطع (٥) وجماعة منهم . وقال عمرو بن عثمان كنت اماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن فقال : يمكننى أن أقول مثل هـذا . وروى أن الحلاج مر يوماً على الجنيد فقال له: أنا الحق . فقال الجنيد : أنت بالحق أية خشبة تفسد . فتحقق فيه ماقال الجنيد لأنه صلب بعد ذلك . وقبله جماعة من الصوفية منهم : أبو العباس بن عطاء ببغداد(٦)، وأبو عبد الله بن خفيف(٧) بفارس، وأبو القاسم النصرآبادى (٨) بنيسابور ، وفارس الدينورى (٩) بناحيته . والذين نسبوه الى الكفر والى دين الحلولية حكوا عليه انه قال : من هذب نفسـه فى الطاعة ، وصبر على اللذات

إلى أبي الحسن محمد بن احمد بن سالم البصرى المتوفى بعد سنة ٣٥٠ هـ وأبيه أبي عبدالله . بهم ذاع بين الصوفية القول بالتجلى فى الصور ومن معتقدهم أن الله يتلو على لسان كل قارىء ، وانه تعالى يرى فى يوم القيامة فى صورة آدمى محمدى ، وينسب اليهم أبو طالب صاحب القوت . وأما البربهارية فانهم يجهرون بالتشبيه والمكان ويرون الحكم بالخاطر ويكفرون من خالفهم كما فى «البدء والتاريخ» لمطهر بن طاهر المقدسى وشيخهم صاحب الفتن ببغداد فى اقعاد الرسول عليه السلام فى جنب الله تعالى . تعالى الله عن ذلك .

(١) هو: الامام محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . (٢) هو: أحمد بن عمرو بن سريج شيخ الشافعية فى بغداد المتوفى سنة ٣٠٦ هـ فيظهر من ذلك أنه توفى قبل قتل الحلاج

(٣) توفى قبل قتل الحلاج سنة ٢٩٧ هـ . والصواب أن قتله كان بفتيا القاضى أبى عمر راجع تاريخ الخطيب وفيه أكبر ترجمة للحلاج . (٤) توفى سنة ٢٩٧ هـ . (٥) توفى سنة ٣٣٠ هـ

(٦) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل ابن عطاء توفى سنة ٣٠٩ فى ذى القعدة

(٧) توفى سنة ٣٧١ هـ . (٨) هو ابراهيم بن محمد من شيوخ الحاكم توفى سنة ٣٦٧ هـ .

(٩) هو فارس بن عيسى الصوفى من أصحاب الجنيد توفى فى حدود سنة ٣٤٠ هـ .

والشهوات ارتقى الى مقام المقربين ثم لايزال يصفو ويرتقى درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذى حل فى عيسى بن مريم . ولم يرد حينئذ شيئا الا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى . وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة وذكرانه ظفروا بكتب له الى أتباعه عنوانها : « من الهو هو رب الأرباب المتصور فى كل صورة الى عبده فلان » . فظفروا بكتب أتباعه اليه وفيها : « ياذات الذات ومنتهى غاية الشهوات نشهد انك المتصور فى كل زمان بصورة وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب » .

وذكروا انه استمال ببغداد جماعة من حاشية الخليفة ومن حرمه حتى خاف الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله معرة فتنته فحبسه واستفتى الفقهاء فى دمه واستروح الى فتوى أبى بكر ابن أبى داود باباحة دمه فقدم الى حامد بن العباس بضربه الف سوط وبقطع يديه ورجليه وصلبه بعد ذلك عند جسر بغداد . ففعل به ذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة ثم أنزل من جذعه الذى صلب عليه بعد ثلاث وأحرق وطرح رماده فى الدجلة . وزعم بعض المنسوبين اليه انه حى لم يقتل وانما قتل من ألقى عليه شبهه والذين تولوه من الصوفية وزعموا أنه كشف له أحوال من الكرامة فاظهرها للناس فعوقب بتسليط منكرى الكرامات عليه لتبقى حاله على التلبس . وزعم هؤلاء أن حقيقة التصوف حال ظاهرها تلبيس وباطنها تقديس واستدلوا على تقديس باطن الحلاج بما روى انه قال عند قطع يديه ورجليه : حسب الواحد إفراد الواحد . وبأنه سئل يوماً عن ذنبه فانشأ يقول : ثلاثة أحرف لاعجم فيها ومعجومان . وانقطع الكلام وأشار بذلك الى التوحيد .

وأما العذافرة : فقوم ببغداد أتباع رجل ظهر ببغداد فى أيام الراضى بن المقتدر(١) فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان معروفا بابن أبى العذافر (٢) . واسمه : محمد بن على الشلمغانى وادعى حلول روح الإله فيه وسمى نفسه روح القدس ووضع لاتباعه كتابا سماه « بالحاسة السادسة » وصرح فيه برفع الشريعة وأباح اللواط ، وزعم أنه ايلاج الفاضل نوره فى المفضول ، واباح اتباعه له حرمهم طمعاً فى إيلاجه نوره فيهن . وظفر الراضى

---

(١) هو الخليفة العباسى أبو العباس أحمد بن المقتدر تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ وتوفى سنة ٣٢٩هـ . (٢) وفى ابن جرير : أبى العذافر .

بالله به وبجماعة من اتباعه منهم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب (١) وأبو عمر ان ابراهيم بن محمد بن أحمد بن المنجم (٢) ووجد كتبهما اليه يخاطبانه فيها بالرب والمولى ويصفانه بالقدرة على مايشاء وأقروا بذلك بحضرة الفقهاء ، ومنهم أبو العباس أحمد ابن عمر بن سريج، وأبو الفرج المالكى وجماعة من الأئمة فاعترفوا بذلك وأمر المعروف منهم بالحسين بن القاسم بن عبيد الله بالبراءة من ابن أبى العذافر بأن يصفعه ففعل ذلك وأظهر التوبة وافتى ابن سريج (٣) بجواز قبول توبته على مذهب الشافعى رحمه الله ، وافتى المالكيون برد توبة الزنديق بعد العثور عليه فأمر الراضى بحبسه إلى أن ينظر فى أمره وأمر بقتل بن أبى العذافر وصاحبه أبى عون فقال له بن أبى العذافر : أمهلنى ثلاثة أيام لينزل فيها براءتى من السماء ونقمة على أعدائى وأشار الفقهاء على الراضى بتعجيل قتلهما فصلبهما ثم احرقهما بعد ذلك وطرح رمادهما فى الدجلة .

الفصل الحادى عشر

من فصول هذا الباب
فى ذكر أصحاب الإباحة من الخرمية (٤) وبيان خروجهم عن جملة فرق الاسلام

فهؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل دولة الاسلام كالمزدكية (٥) الذين استباحوا

---

(١) هو صاحب الشلمغانى : الوزير ابن الوزير ابن الوزير قتله الراضى سنة ٣٢٢ هـ .

(٢) هو المعروف بابن أبى عون صاحب تصانيف قتل ثم احرق سنة ٣٢٢ هـ .

(٣) كانت وفاته سنة ٣٠٦ هـ فى عهد المقتدر فلايتصور أن يستفتى فى أمر الذين قتلوا سنة ٣٢٢ هـ فى عهد الراضى . وكيفية قتل هؤلاء مشروحه فى كلام ابن الأثير وغيره

(٤) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المشددة سمو بها لاتباعهم شهواتهم لأن لفظ « خرم » فى الفارسى بمعنى المرح الأباحى المتوخى للملذات الممتلىء سروراً . وقد يقال لهم (الخرمدينية) حيث يدينون بالمرح وأتباع الشهوات . قال ابن حزم : (والخرمية أصحاب بابك وهم فرقة من فرق المزدقية وهم أيضاً شر مذهب الاسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبنى عبيد وعنصرهم » اه .

(٥) بفتح الميم وسكون الزاى وفتح الدال نسبة إلى مزدك الأباحى المشهور فى عهد قباد الساسانى قتله أنوشروان شر قتلة . ومن أهل العلم من رجح ضم الميم وحيث لايوجد فى اللغة العربية مادة (ز . د . ك) تجعل الكاف قافا عند قصد التعريب فيقال

المحرمات وزعموا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان (١) فى زمانه . والصنف الثانى : الخرمدينية ظهروا فى دولة الاسلام وهم فريقان بابكية ، ومازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة (٢) . فالبابكية منهم : أتباع بابك الخرمى (٣) الذى ظهر فى جبل البدين بناحية إذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين وجهز اليه خلفاء بنى العباس جيوشاً كثيرة مع افشين الحاجب ، ومحمد بن يوسف الثغرى ، وأبى دلف العجلى ، وأقرانهم وبقيت العساكر فى وجهه مقدار عشرين سنة إلى أن أخذ بابك وأخوه اسحاق بن ابراهيم وصلبا بسر من رأى فى أيام المعتصم واتهم افشين الحاجب بممالأة بابك فى حربه وقتل لأجل ذلك .

وأما المازيارية منهم فهم أتباع مازيار (٤) الذى أظهر دين المحمرة بجرجان . وللبابكية فى جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم فاذا اطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال والنساء على تقدير من عزّ . والبابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم فى الجاهلية اسمه شروين . ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بعض بنات ملوك الفرس . ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون فى السر ولا يصومون فى شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة وكانت فتنة مازيار قد عظمت فى ناحيته إلى أن أخذ فى أيام المعتصم أيضا وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمى . واتباع مازيار اليوم فى جبلهم أكرة من يلهم من سواد جرجان يظهرون الاسلام ويضمرون خلافه والله المستعان على أهل الزيغ والطغيان .

(المزدقية) كما سبق فى أول المقدمة من كتاب « البدء والتاريخ » لمطهر المقدسى ومثله فى فصل ابن حزم (١ - ٣٤ و ٢٧) ومن قال (المزدكية) جرى على الأصل الفارسى من غير تعريب . (١) هو الملك الساسانى الملقب بالعادل توفى حوالى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذى أباد دعاة الاشتراك فى الأموال والابضاع من أصحاب مزدق الأباحى الذى أفسد بلاد الفرس . (٢) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة للبسهم الثياب الحمر فى عهد بابك كما فى انساب السمعانى . (٣) توسع فى انبائه محمد بن اسحاق النديم فى فهرسته . (٤) بكسر الزاى . هو : من وجوه عسكر المعتصم وانباؤه فى كتب التاريخ فى حوادث سنة ٢٢٤ هـ

الفصل الثاني عشر

من فصول هذا الباب :

في ذكر أصحاب التناسخ من أهل الأهواء وبيان خروجهم عن فرق الإسلام

القائلون بالتناسخ أصناف : صنف من الفلاسفة. وصنف من السمنية . وهذان الصنفان كانا قبل دولة الاسلام . وصنفان آخران ظهرا فى دولة الاسلام . أحدهما من جملة القدرية . والآخر من جملة الرافضة الغالية . فأصحاب التناسخ من السمنية قالوا : بقدم العالم، وقالوا : أيضا بإبطال النظر والاستدلال وزعموا أنه لامعلوم إلا من جهة الحواس الخمس وأنكر أكثرهم المعاد ، والبعث بعد الموت . وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة . وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب ، وروح الكلب إلى انسان وقد حكى فلوطرخس[1] مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة . وزعموا ان من أذنب فى قالب ناله العقاب على ذلك الذنب فى قالب آخر . وكذلك القول فى الثواب عندهم . ومن أعجب الأشياء دعوى السمنية فى التناسخ الذى لايعلم بالحواس مع قولهم انه لامعلوم إلا من جهة الحواس! وقد ذهبت المانوية أيضا إلى التناسخ وذلك أن مانى[2] قال فى بعض كتبه أن الأرواح التى تفارق الأجسام نوعان : أرواح الصديقين، وأرواح أهل الضلالة . فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت فى عمود الصبح إلى النور الذى فوق الفلك فبقيت فى ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل . فتتناسخ فى أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالى

وذكر أصحاب المقالات عن سقراط[3] ، وافلاطن[4] وأتباعهما من الفلاسفة انهم قالوا : بتناسخ الأرواح على تفصيل قد حكيناه عنهم فى كتاب «الملل والنحل» وقال بعض

---

(١) هو: من مشاهير فلاسفة اليونان أصحاب المؤلفات مترجم له فى أخبار الحكماء .

(٢) مذهبه مزيج من المجوسية والنصرانية ظهر فى عهد شابور بن اردشير . وكان مانى هذا راهبا بحران متفلسفا ضل به خلائق ولمذهبه تأثير على صنوف المجسمة .

(٣) هو: الحكيم اليونانى المعروف المعاصر لافلاطون كان من تلاميذ فيثاغورس .

(٤) هو: الحكيم اليونانى المشهور أستاذ أرسطو .

اليهود بالتناسخ ، وزعم أنه وجد فى كتاب دانيال ان الله تعالى مسخ بختنصر (١) فى سبع صور من صور البهائم ، والسباع وعذبه فيها كلها ثم بعثه فى آخرها موحداً . وأما أهل التناسخ فى دولة الاسلام فان البيانية ، والجناحية ، والخطابية ، والراوندية من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله فى الأئمة بزعمهم . وأول من قال بهذه الضلالة السبائية من الرافضة لدعواهم أن علياً صار إلهاً حين حل روح الإله فيه .

وزعمت البيانية منهم أن روح الإله دارت فى الأنبياء ثم فى الأئمة إلى أن صارت فى بيان بن سمعان . وادعت الجناحية منهم مثل ذلك فى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر . وكذلك دعوى الخطابية فى ابى الخطاب . وكذلك دعوى قوم من الراوندية فى أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس . فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ .

وأما أهل التناسخ من القدرية فجماعة منهم : أحمد بن خابط وكان معتزليا منتسبا إلى النظام ، وكان على بدعته فى الطفرة وفى نفى الجزء الذى لايتجزأ ، وفى نفى قدرة الله تعالى على الزيادة فى نعيم أهل الجنة أو فى عذاب أهل النار وزاد على النظام فى ضلالته فى التناسخ .

ومنهم : احمد بن أيوب بن بانوش وكان تلميذ احمد بن خابط فى التناسخ لكنهما اختلفا بعد فى كيفية التناسخ .

ومنهم : احمد بن محمد القحطى وافتخر بانه كان منهم فى التناسخ والاعتزال . ومنهم : عبد الكريم بن أبى العوجاء (٢) وكان خال معن بن زائدة (٣) . وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة . أحدها : انه كان يرى فى السر دين المانوية من الثنوية . والثانى : قوله بالتناسخ . والثالث : ميله الى الرافضة فى الإمامة . والرابع : قوله بالقدر فى أبواب التعديل والتجوير . وكان وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغتر بها من لامعرفة له بالجرح والتعديل . وتلك الأحاديث التى وضعها كلها ضلالات فى التشبيه والتعطيل وفى بعضها تغيير أحكام الشريعة وهو الذى أفسد على الرافضة صوم رمضان بالهلال وردهم عن اعتبار الأهلة

---

(١) هو : الفاتح البابلى المعروف .

(٢) وكان ربيب حماد بن سلمة على مايقول ابن الجوزى . وكان قتله سنة ١٦٠ فى عهد المهدى

(٣) كان من الابطال الأجواد قتلته الخوارج غيلة بسجستان سنة ١٥١ هـ .

بحساب وضعه لهم ونسب ذلك الحساب إلى جعفر الصادق ورفع خبر هذا الضال إلى أبي جعفر محمد بن سليمان عامل المنصور (١) على الكوفة فأمر بقتله فقال : لن يقتلونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال، وفطرت الرافضة فى يوم من أيام صومهم ، وصومتهم فى يوم من أيام فطرهم .

وتفصيل هؤلاء فى التناسخ ان احمد بن خابط زعم أن الله تعالى أبدع خلقة أصحابه سالمين ، عقلاء ، بالغين فى دار سوى الدنيا التى هم فيها اليوم، وأكمل عقولهم، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه . وزعم أن الانسان المأمور المنهى المنعم عليه هو الروح التى فى الجسم ، وأن الأجسام قوالب للأرواح . وزعم أن الروح هى الحى القادر العالم وأن الحيوان كله جنس واحد . وزعم أيضا أن جميع أنواع الحيوان محتمل للتكليف وكان قد توجه الأمر والنهى عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم. وقال: ان الله تعالى لما كلفهم فى الدار التى خلقهم فيها شكروه على ما أنعم به عليهم فأطاعه بعضهم فى جميع ما أمرهم به، وعصاه بعضهم فى جميع ما أمرهم به . فن أطاعه فى جميع ما أمره به أقره فى دار النعيم التى ابتدأه فيها . ومن عصاه فى جميع ما أمره به أخرجه من دار النعيم إلى دار العذاب الدائم وهى النار . ومن أطاعه فى بعض ما أمره به وعصاه فى بعض ما أمره به أخرجه إلى الدنيا وألبسه بعض هذه الأجسام التى هى القوالب الكثيفة وابتلاه بالبأساء، والضراء ، والشدة . والرخاء ، واللذات ، والآلام فى صور مختلفة من صور الناس ، والطيور ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات وغيرها على مقادير ذنوبهم ومعاصيهم فى الدار الأولى التى خلقهم فيها . فن كانت معاصيه فى تلك الدار أقل وطاعاته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن . ومن كانت طاعاته فى تلك الدار أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه فى الدنيا أقبح . ثم زعم أن الروح لايزال فى هذه الدنيا يتكرر فى قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعاته مشوبة بذنوبه . وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه فى الانسانية والبهيمية ثم لايزال من الله تعالى رسول إلى كل نوع من الحيوان وتكليف للحيوان أبداً إلى أن يتمحض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار النعيم الدائم وهى الدار التى خلق فيها أو يتمحض عمله معاصى فينقل إلى النار الدائم عذابها . فهذا قول ابن خابط فى تناسخ الأرواح .

وقال احمد بن أيوب بن بانوش ان الله تعالى خلق الخلق كله دفعة واحدة . وحكى عنه

---

(١) هو أمير البصرة وابن عم المنصور توفى سنة ١٧٣ هـ .

بعض أصحابه أن الله تعالى خلق أولا الأجزاء المقدرة التى كل واحد منها جزء لا يتجزأ .
وزعم أن تلك الأجزاء كانت أحياء عاقلة، وان الله تعالى كان قد سوى بينهم فى جميع أمورهم إذ لم يستحق واحد منهم تفضيلا على غيره ولا كان من أحد منهم جناية يؤخر لأجلها عن غيره . قال ثم انه خيرهم بين أن يمتحنهم بعد اسباغ النعمة عليهم بالطاعات ليستحقوا بها الثواب عليها لأن منزلة الاستحقاق أشرف من منزلة التفضيل . وبين أن يتركهم فى تلك الدار تفضلا عليهم بها فاختار بعضهم المحبة وأباها بعضهم . فمن أباها تركه فى الدار الأولى على حاله فيها ومن اختار الامتحان امتحنه فى الدنيا ولما امتحن الذين اختاروا الامتحان عصاه بعضهم وأطاعه بعضهم فمن عصاه حطه الى رتبة هى دون المنزلة التى خلقوا فيها . ومن أطاعه رفعه إلى رتبة أعلى من المنزلة التى خلق عليها . ثم كررهم فى الأشخاص والقوالب إلى أن صار قوم منهم أناساً وآخرون صاروا بهائم أو سباعا بذنوبهم ومن صار منهم الى البهيمة ارتفع عنه التكليف . وكان يخالف ابن خابط فى تكليف البهائم . ثم قال فى البهائم انها لاتزال تتردد فى الصور القبيحة وتلقى المكاره من الذبح والتسخير إلى أن تستوفى ماتستحق من العقاب بذنوبها ثم تعاد إلى الحالة الأولى ، ثم يخيرهم الله تعالى تخييراً ثانيا فى الامتحان . فان اختاروه أعاد تكليفهم على الحال التى وصفناها وان امتنعوا منه تركوا على حالهم غير مكلفين . وزعم أن من المكلفين من يعمل الطاعات حتى يستحق أن يكون نبيا أو ملكا فيفعل الله تعالى ذلك به .

وزعم القحطى منهم: ان الله تعالى لم يعرض عليهم فى أول أمرهم التكليف بل هم سألوه الرفع عن درجاتهم والتفاضل بينهم فاخبرهم بانهم لا يتصفون بذلك إلا بعد التكليف والامتحان، وإنهم وان كلفوا فعصوا استحقوا العقاب فأبوا الامتحان . قال فذلك قوله : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا [1] » .

وزعم أبومسلم الخراسانى: ان الله تعالى خلق الأرواح وكلفها . فمنها: من علم انه يطيعه ومنها : من علم انه يعصيه وان العصاة انما عصوه ابتداء فعوقبوا بالنسخ والمسخ فى الأجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم فهذا تفصيل قول أصحاب التناسخ وقد نقضنا عليهم فى كتاب « الملل والنحل » بما فيه كفاية .

---

(١) سورة الأحزاب : مدنية ٧٢ .

الفصل الثالث عشر

من فصول هذا الباب :

فى بيان ضلالات الخابطية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء أتباع احمد بن خابط القدرى [١] وكان من أصحاب النظام فى الاعتزال وقد ذكرنا قوله فى التناسخ قبل هذا ونذكر فى هذا الفصل ضلالاته فى توحيد الصانع . وذلك أن ابن خابط ، وفضلا الحدثى [٢] زعما أن للخلق ربين وخالقين . أحدهما: قديم وهو الله سبحانه . والآخر : مخلوق وهو عيسى بن مريم وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة . وزعما أيضا أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وهو الذى عناه الله بقوله : « وجاء ربك والملك صفا صفا [٣] » وهو الذى يأتى « فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور [٤] » . وهو الذى خلق آدم على صورة نفسه وذلك تأويل ماروى أن الله تعالى خلق آدم على صورته . وزعم أنه هو الذى عناه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر [٥] » وهو الذى عناه بقوله : « إن الله تعالى خلق العقل فقال له: أقبل فاقبل . وقال له: أدبر فادبر فقال: ماخلقت خلقا أكرم منك وبك أعطى وبك آخذ [٦] » . وقالا ان المسيح تدرع جسدا وكان قبل التدرع عقلا .

قال عبد القاهر : قد شارك هذان الكافران الثنوية والمجوس فى دعوى خالقين . وقولهما شر من قولهم لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى وانما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان . وأضاف ابن خابط وفضل الحدثى فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم وأضافا اليه محاسبة الخلق فى الآخرة . والعجب فى قولهما أن عيسى خلق جده آدم عليه السلام فياعجبا من فرع يخلق أصله ومن عد هذين الضالين من فرق الاسلام كمن عد النصارى من فرق الاسلام .

---

(١) ترجم له الصفدى ترجمة واسعة فى الوافى . (٢) والحدثى نسبة الى بلدة الحديثة على الفرات من بابة ابن خابط وكلاهما ملحد ومن أصحاب النظام هجرهما المعتزلة .

(٣) سورة الفجر : مكية ٢٢ . (٤) سورة البقرة . مدنية ٢١٠ (٥) ولفظ البخارى : « إنكم سترون ربكم » الحديث . والعرب تضرب المثل بالقمر فى الشهرة والظهور ، وليس المراد التشبيه فى التدوير والمسير والحد كما فى مختلف الحديث لابن قتيبة .

(٦) أخرجه عبد الله بن احمد فى الزوائد على الزهد .

الفصل الرابع عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر الحارية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء قوم من معتزلة عسكر مكرم اختاروا من بدع أصناف القدرية ضلالات مخصوصة فاخذوا من ابن خابط قوله : بتناسخ الأرواح فى الاجساد والقوالب وأخذوا من عباد بن سليمان الضمرى قوله : بان الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا قبل المسخ ناساً وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ . وأخذوا من جعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى[1] قوله : بأن النظر الذى يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلا لافاعل لها . ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل الله تعالى وانماهى من فعل الخمار لأن الله تعالى لايفعل مايكون سبب المعصية . وزعموا أن الانسان قد يخلق أنواعا من الحيوانات كاللحم إذا دفنه الانسان أو يضعه فى الشمس فيدود ، زعموا أن تلك الديدان من خلق الانسان ، وكذلك العقارب التى تظهر من التبن تحت الآجر زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجر والتبن وهؤلاء شر من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات ، والحشرات والسموم إلى الشيطان . ومن عدهم من فرق الأمة كمن عد المجوس من فرق الأمة .

الفصل الخامس عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر اليزيدية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الاسلام .

هؤلاء أتباع يزيد بن أبى أنيسة الخارجى[2] وكان من البصرة ثم انتقل الى جور من أرض فارس وكان على رأى الإباضية من الخوارج ثم انه خرج عن قول جميع الأمة لدعواه أن الله عز وجل يبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن أتباع ذلك النبى المنتظر هم الصابئون المذكورون فى القرآن . فاما المسمون بالصابئة من أهل واسط وحران فماهم الصابئون المذكورون فى القرآن . وكان مع هذه الضلالة يتولى من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة من أهل

---

(١) هلك تحت العذاب سنة ١٢٦ هـ كان والى العراق لهشام بن عبد الملك .

(٢) هو من رؤس الخوارج قال ابن حزم: هو غير زيد بن أبى أنيسة المحدث. راجع لسان الميزان

الكتاب وان لم يدخل فى دينه وسماهم بذلك مؤمنين وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسوية ، والموشكانية من اليهود مؤمنين لأنهم أقروا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا فى دينه ، وليس بجائز أن يعد فى فرق الاسلام من يعد اليهود من المسلمين . وكيف يعدمن فرق الاسلام من يقول بنسخ شريعة الاسلام .

الفصل السادس عشر

من هذا الباب :

فى ذكر الميمونية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الاسلام .

هؤلاء أتباع رجل من الخوارج العجاردة كان اسمه ميمونا [١] وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ، ثم انه خالف العجاردة فى الارادة ، والقدر ، والاستطاعة وقال فى هذه الأبواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق . وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين فى الجنة ولو بقى ميمون هذا على هذه البدع التى حكيناها عنه ولم يزدعليها ضلالة سواها لنسبناه إلى الخوارج لقوله بتكفير على ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وعثمان وقوله بتكفير أصحاب الذنوب وإلى القدرية لقوله فى باب الارادة والقدر والاستطاعة باقوال القدرية فيها . ولكنه زاد على القدرية ، وعلى الخوارج بضلالة اشتقها من دين المجوس . وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد ، وبنات أولاد الاخوة والأخوات وقال : انما ذكر الله تعالى فى تحريم النساء بالنسب الامهات ، والبنات ، والاخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الاخوات . ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ، ولابنات أولاد الاخوة ، ولابنات أولاد الاخوات . فان طرد قياسه فى أمهات الأمهات وأمهات الآباء والاجداد انمحض فى المجوسية وان لم يجز نكاح الجدات وقاس الجدات على الامهات لزمه قياس بنات الأولاد على بنات الصلب . وان لم يطرد قياسه فى هذا الباب نقض اعتلاله . وحكى الكرابيسى عن الميمونية من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن ومنكر بعض القرآن كمنكر كله . ومن استحل بعض ذوات المحارم فى حكم المجوس ولا يكون المجوسى معدوداً فى فرق الاسلام .

---

(١) هو ميمون بن عمران على ما فى شرح المواقف وخطط المقريزى .

الفصل السابع عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الاسلام .

اعلموا أسعدكم الله ان ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود، والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان . لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لاتزيد مدتها على أربعين يوماً . وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر . وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم : ميمون بن ديصان المعروف بالقداح[١] وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الأهواز ، ومنهم : محمد ابن الحسين الملقب بدندان[٢]، اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان فى سجن والى العراق فأسسوا فى ذلك السجن مذاهب الباطنية ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان وابتدأ بالدعوة فى ناحية توز فدخل فى دينه جماعة من اكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب[٣] وانتسب فى تلك الناحية الى عقيل بن أبى طالب[٤] وزعم انه من نسله . فلما دخل فى دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بان محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب ثم ظهر فى دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له : حمدان قرمط[٥] لقب بذلك لقرمطة فى خطه أو فى خطوه وكان فى ابتداء أمره أكاراً من اكرة سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة ، ثم ظهر بعده فى الدعوة إلى البدعة أبو سعيد الجنابى[٦] وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ودخل فى دعوته بنو سنبر (؟) . ثم لما تمادت الأيام بهم

---

(١) هو جد زعيم الباطنية بناحية المغرب كما فى الانساب لابن السمعانى .

(٢) كان من كتاب أبى دلف ومن جهة الكرخ . (٣) أى مغرب مبدأ الدعوة .

(٤) هو أخو على بن أبى طالب رضى الله عنهما مات فى زمن يزيد بن معاوية قبل وقعة الحرة

(٥) هو حمدان بن الأشعث رأس القرامطة ، وراجع كشف أسرار الباطنية ، .

(٦) ملك البحرين واليمامة والاحساء قتله خادم له صقلبى راوده فى الحمام سنة ٣٠١ هـ .

ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه، وقال لأتباعه أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق(١) . ثم ظهرت فتنته بالمغرب وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر . وظهر منهم المعروف بابن زكرويه بن مهرويه الدنداني وكان من تلامذة حمدان قرمط ، وظهر مأمون أخو حمدان قرمط بأرض فارس . وقرامطة فارس يقال لهم : المأمونية لأجل ذلك . ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم (٢) فاستجاب له جماعة من الديلم منهم : أسفار بن شرويه . وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني فقتل بها في ولاية أبي بكر بن حجاج عليها . وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروزي(٣) وقام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفي داعية أهل ماوراء النهر، وأبو يعقوب السجزي المعروف ببندانه وصنف النسفي لهم كتاب « المحصول » وصنف لهم أبو يعقوب كتاب « أساس الدعوة » وكتاب « تأويل الشرائع » وكتاب « كشف الأسرار » وقتل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهما .

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون وانتشرت في زمان المعتصم . وذكروا انه دخل في دعوتهم الأفشين (٤) صاحب جيش المعتصم وكان

---

(١) وجمهور أهل العلم على انه ليس ثابت النسب عمن انتمى اليه بل هو سليل ميمون القداح على ماهو معروف منذ نشأتهم كما يظهر من كلام أبي عبد الله بن رزام وهو من رجال منتصف القرن الرابع ومن ثقات أصحاب أبي الحسن الكرخي وابن الاخشيد. وهو متقدم بدهر على اصدار المحضر المعروف من بغداد لأنه ألف كتابه حوالى سنة ٣٣٣ هـ وكفاح المقريزي عن نسبهم كفاح بدون حجة ظانا انه منحدر النسب منهم كما ذكر ابن حجر والسخاوي وغيرهما فلايعول على مثل هذا المنافح . وحاش لله أن يجعل في النسب الزكي من يسعى جهده في هدم دين الاسلام . وقصد ابن خلدون يظهر من تحقيق ابن حجر والسخاوي . ومن ظن بجماعة أهل العلم على توالي القرون سوءاً وعول على بعض من شذ يرثى لعقله .

(٢) له كتاب الزينة وكتاب الجامع كما في الفهرس . (٣) هو : خليفة أبي سعيد الشعراني المبعوث الى خراسان سنة ٣٢٧ هـ من عبيد الله جد العبيدية حبسه نصر بن احمد ثم مات محبوسا . (٤) هو : من حجاب المعتصم وقواده، له فتن تنم عن خبث وخيانة

مراهناً لبابك الخرمى وكان الخرمى مستعصياً بناحية البدين وكان أهل جبله خرمية على طريقة المزدقية فصارت الخرمية مع الباطنية يداً واحدة . واجتمع مع بابك من أهل البدين وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة الف رجل . وأخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحاً للمسلمين وكان فى سره مع بابك وتوانى فى القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم ثم لحقت الأمداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثغرى ، وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلى[١] ولحق به بعد ذلك قوادعبد الله بن طاهر[٢] واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لأنفسهم البلدة المعروفة ببرزند خوفا من بيات البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة إلى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية فأسر بابك وصلب[٣] بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانته للمسلمين فى حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك .

وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغمار منهم أسسا من قبلها منهم صار فى الباطن إلى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى عليه السلام على موافقة أسسهم . وبيان ذلك أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار . وان الأجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهى الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . والاصلان الاولان مع الطبائع الأربع مدبرات هذا العالم . وشاركهم المجوس فى اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الإله الفاعل للخيرات . والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذكر زعماء الباطنية فى كتبهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول ، والنفس هو الثانى وهما مدبرا هذا العالم وسموها الأول والثانى وربما سموها العقل والنفس . ثم قالوا إنهما يدبران

وممالأة مع المجوس صلبه المعتصم سنة ٢٢٤ هـ ثم أحرقه .

(١) هو الأمير الشاعر قاسم بن عيسى من الأبطال الأجواد توفى سنة ٢٢٥ هـ .

(٢) هو أمير خراسان المشهور توفى سنة ٢٣٠ هـ .

(٣) بل قتل شر قتلة راجع المنتظم لابن الجوزى .

هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول . وقولهم أن الأول والثانى يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث لصانعين أحدهما : قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثانى، وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن . فهذا هو الذى يدور فى قلوب الباطنية ووضعوا أساساً يؤدى اليه ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغى أن تجمر المساجد كلها وان تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود فى كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد ان يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار(١) فى الكعبة وأن تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة ثم أن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدى إلى رفع الشريعة أو الى مثل أحكام المجوس . والذى يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لاتباعهم نكاح البنات، والاخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات . ويؤكد ذلك أن الغلام الذى ظهر منهم بالبحرين، والإحساء بعد سليمان بن الحسن القرمطى (٢) سن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به . وأمر بقطع يد من أطفأ ناراً بيده، وبقطع لسان من أطفأها بنفخه . وهذا الغلام هو المعروف بابن أبى زكريا الطامى وكان ظهوره فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة وطالت فتنته إلى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه . ويؤكد ماقلناه من ميل الباطنية إلى دين المجوس أنا لانجــد على ظهر الأرض مجوسيا إلا وهو مواد لهم منتظر لظهورهم على الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك . وربما استدل اغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت أنه قال لكشتاسف أن الملك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ثم يعود إلى الفرس ثم يزول عن الفرس إلى العرب ثم يعود إلى الفرس وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم أن الملك يعود إلى العجم لتمام الف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زراد شت .

وكان فى الباطنية رجل يعرف بأبى عبد الله العردى يدعى علم النجوم ويتعصب للمجوس وصنف كتابا وذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق

---

(١) وعلى هذا الاتهام مضى أبو بكر بن العربى فى « القواصم والعواصم »

(٢) هو : أبو طاهر الجنابى قالع الحجر الأسود سنة ٣١٧ هـ وانباؤه معروفة

الألف العاشر وهو نوبة المشترى والقوس . وقال . عند ذلك يخرج انسان يعيد الدولة المجوسية ويستولى على الأرض كلها . وزعم أنه يملك مدة سبع قرانات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت ، وجاماسب فى زوال ملك العجم إلى الروم واليونانية فى أيام الاسكندر ثم عاد إلى العجم بعد ثلاثمائة سنة ثم زال بعد ذلك ملك العجم إلى العرب وسيعود إلى العجم لتمام المدة التى ذكرها جاماسب . وقد وافق الوقت الذى ذكروه أيام المكتفى والمقتدر وأخلف موعودهم ومارجع الملك فيه إلى المجوس . وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر فى القران السابع فى المثلثة النارية . وخرج منهم سليمان ابن الحسن من الاحساء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف فى القتل منهم ثم دخل مكة وقتل من كان فى الطواف وأغار على استار الكعبة وطرح القتلى فى بئر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم فى بعض حروبه إلى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها :—

أغركم منى رجوعى إلى هجر ... وعما قليل سوف يأتيكم الخبر

إذا طلع المريخ فى ارض بابل ... وقارنه النجمان فالحذر الحذر

الست انا المذكور فى الكتب كلها ... الست أنا المبعوث فى سورة الزمر

سأملك اهل الأرض شرقا ومغرباً ... إلى قيروان الروم والترك والخزر

واراد بالنجمين زحل والمشترى . وقد وجد هذا القران فى سنى ظهوره ولم يملك من الأرض شيئا غير بلدته التى خرج منها ، وطمع فى أن يملك سبع قرانات ومامك سبع سنين بل قتل بهيت رمته امرأة من سطحها بنبلة على رأسه فدمغته . وقتيل النساء أخس قتيل وأهون فقيد .

وفى آخر سنة ألف ومائتين وأربعين للاسكندر تم من تاريخ زرادشت ألف وخمسمائة سنة وما عاد فيها ملك الارض الى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام فى الأرض وفتح الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساغون ، وأرض التبت ، وأكثر نواحى الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لمغات الى قنوج وصارت أرض الهند الى سيترسيقا بحرها من رقعة الاسلام فى أيام أمين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين[1] رحمه الله . وفى هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعود الملك اليهم فذاقوا وبال أمرهم

(١) هو: أحد الملوك الغزنوية وهو فاتح الهند وتفصيل أحواله فى تاريخ العتبى تو فى سنة ٤٢١ ﻫ

وكان عاقبة أمانيهم بوراً بحمد الله ومنه .

ثم ان الباطنية خرج منهم عبيد الله بن الحسين بناحية القيروان (١) وخدع قوما من كتامة وقوما من المصامدة ، وشرذمة من أغنام بربر بحيل ونيرنجات أظهرها لهم كرؤية الخيالات بالليل من خلف الرداء والازار وظن الاغمار انها معجزة له فتبعوه لأجلها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ، ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسن بن بهرام على أهل الاحساء ، والقطيف والبحرين فأتى باتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذراريهم وأحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذراريهم ونساءهم ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الاطفال والنساء وانضم اليه المعروف منهم بابن الفضل فى أتباعه . ثم إن الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الاكلة والطاعون فماتوا بهما .

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له أبو القاسم بن مهرويه وقال لمن تبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكا فى الحرب ودخلوا مدينة الرصافة وأحرقوا مسجدها الجامع . وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامى غلام بن طيون وهزمهم الى الرقة فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفى فى جند من أجناد المكتفى فهزمهم وقتل منهم الألوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه الى الرملة فقبض عليه والى الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه الى المكتفى فقتلهم ببغداد فى الشارع بأشد عذاب . ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة إلى سنة عشر وثلاثمائة . وظهر بعدها فتنة سليمان بن الحسن فى سنة احدى عشرة وثلاثمائة فانه كبس البصرة وقتل أميرها سبكا المفلحى ونقل أموال البصرة الى البحرين وفى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وقع الحجيج فى نهب لعشر بقين من المحرم وقتل أكثر الحجيج وسبى الحرم والذرارى ثم دخل الكوفة فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقتل الناس وانتهب الأموال .

وفى سنة خمس عشرة وثلاثمائة حارب ابن أبى الساج وأسره وهزم أصحابه . وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل مكة وقتل من وجده فى الطواف . وقيل انه قتل بها ثلاثة الآف وأخرج منها سبعمائة بكر ، واقتلع الحجر الأسود وحمله الى البحرين ثم رد منها الى الكوفة

---

(١) هو: بانى المهدوية بافريقة وجد ملوك الدولة العبيدية بمصر كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة كما يقول ابن العماد والباقلانى هلك سنة ٣٢٢ هـ بالمهدية .

ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد بى اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكى (١) النيسابورى فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وقصد سليمان بن الحسن بغداد فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة فلما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن متصدين للحجيج من الكوفة والبصرة إلى مكة حفاة ليضمن لهم مال إلى أن غلبهم الأصفر العقيلى على بعض ديارهم . وكانت ولاية مصر وأعمالها للأخشيدية وانضم بعضهم الى ابن عبيد الله الباطنى الذى كان قد استولى على قيروان ودخلوا مصر فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وابتنوا بها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته . وأهل مصر ثابتون على السنة إلى يومنا وان أطاعوا صاحب القاهرة فى أداء خراجهم اليه .

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه (٣) قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله وأمير المؤمنين : أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين . وقال قصيدة أولها : —

أما ترى الأقدار لى طوائعا قواضيا لى بالعيان كالخبر
ويشهد الأنام لى بأننى ذاك الذى يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعى إلى خليفة الله الأمام المفتخر

فلما خرج إلى مضاربه للخروج إلى مصر غافصه وفاجأه الأجل فمضى لسبيله فلما قضى فناخسرو نحبه طمع زعيم مصر فى ملوك نواحى الشرق فكاتبهم يدعوهم إلى البيعة له فأجاب قابوس بن وشمكير (٤) عن كتابه بقوله : إنى لا أذكرك إلا على المستراح . وأجابه ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور (٥) بأن كتب على ظهر كتابه اليه

---

(١) توفى سنة ٣٦٢ ﻫ كان كثير الحج مترجم فى تاريخ الخطيب .
(٢) : لعله أحمد بن الحسين المعروف بالأصفر الذى ظهر فى حلب سنة ٣٩٥ ﻫ .
(٣) هو أبو شجاع عضد الدولة الديلمى توفى سنة ٣٧٢ ﻫ .
(٤) هو : الأمير الشاعر صاحب جرجان توفى مقتولا سنة ٤٠٣ ﻫ .
(٥) قائد الجيوش السامانية ، وكان جده غلاما وسيما فلقبه سيده سيمجور بمعنى الفضى اللون ، وذكر أحواله ووفاته سنة ٣٨٧ ﻫ وفى شرح التاريخ العتبى (١-١٥٢) .

«قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون»(١)، إلى آخر السورة وأجابه نوح بن منصور(٢) والى خراسان بقتل دعاته إلى بدعته ، ودخل فى دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله فى دينه شؤما عليه فى ذهاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية. وكان أبو على بن سيمجور(٣) قد وافقهم فى السر فذاق وبال أمره فى ذلك وقبض عليه والى خراسان نوح بن منصور وبعث به إلى سبكتكين فقتل بناحية غزنة، وكان أبو القاسم الحسن بن على الملقب بدانشمند(٤) داعية أبى على بن سيمجور إلى مذهب الباطنية وظفر به بكتوزون(٥) صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن فى مكان لا يعرف . وكان أميرك الطوسى(٦) والى ناحية التاروذية قد دخل فى دعوة الباطنية فأسر وحمل إلى غزنة وقتل بها فى الليلة التى قتل فيها أبو على بن سيمجور . وكان أهل مولتان من أرض الهند داخلين فى دعوة الباطنية فقصدهم محمود رحمه الله فى عسكره وقتل منهم الألوف وقطع أيدى ألف منهم وباد بذلك نصراء الباطنية من تلك الناحية ومن هذا بان شؤم الباطنية على منتحليها فليعتبر بذلك المعتبرون .

وقد اختلف المتكلمون فى بيان أغراض الباطنية فى دعوتها الى بدعتها فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القران والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسياً من سبى الاهواز ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين أبيه واستدلوا أيضاً بأن داعيهم المعروف بالبزدوى(٧) قال فى كتابه المعروف « بالمحصول » : ان المبدع الأول أبدع النفس ، ثم أن الأول والثانى مدبران للعالم بتدبير الكواكب السبعة ، والطبائع الاربع

---

(١) سورة الكافرون : مدنية ١ و ٢ . (٢) هو : أبو القاسم السامانى آخر ملوك السامانية توفى سنة ٣٨٦ هـ . (٣) هو : محمد بن أبى الحسن بن سيمجور تولى القيادة بعد أبيه وعاكسته المقادير وتوفى سنة ٣٨٧ هـ وتولى قيادة الجيش بدله محمود بن سبكتكين . راجع العتبى (١-١٩٣) . (٤) دانشمند بمعنى العالم فى اللغة الفارسية . (٥) ذكر أنباءه فى العتبى (١-٣٠١) أصله التركى (بك طوسن) بمعنى العجل القوى . (٦) تفصيل أحواله فى التاريخ العتبى وهو من الأمراء التاروذية (١-٢٠٩) . (٧) هو : محمد بن احمد النسفى . راجع فهرست ابن النديم .

وهـذا فى التحقيق معنى قول المجوس : ان يزدان خلق أهرمن وانه مع أهرمن مدبران للعالم . غير أن يزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعدميمون ابن ديصان كان من الصابئة الحرانية . واستدل أيضا بان صابئة حران يكتمون أديانهم ولايظهرونها إلا لمن كان منهم . والباطنيـة أيضا لايظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد إحلافهم إياه على أن لايذكر أسرارهم لغيرهم .

قال عبد القاهر : الذى يصح عندى من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع ، كلها لميلها الى استباحة كل مايميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ماقرأته فى كتابهم المترجم « بالسياسة والبلاغ الأكيد . والناموس الأعظم » وهى رسالة عبيد الله بن الحسين[(١)] القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى أوصاه فيها بان قال له : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه . وأوهم كل واحد منهم بانك منهم فمن آنست منه رشـدا فاكشف له الغطاء . واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم لولا مايخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لانعرفه . وذكر فى هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد والعقاب وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وقال أيضا فى هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم : وقال فيها أيضا : أكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم وفى هذا تحقيق نسبة الباطنيـة إلى الدهرية . والذى يؤكد هذا أن المجوس يدعون نبوة زرادشت[(٢)] ونزول الوحى عليه من الله تعالى ، وأن الصابئين يدعون نبوة هرمس ، ووالبس ، (فاليس) وذروثيوس ، وأفلاطن وجماعة من الفلاسفة وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحى من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون : ان ذلك الوحى شامل للأمر والنهى والخبر عن عاقبة بعد الموت ، وعن ثواب ، وعقاب ، وجنة ، ونار يكون فيها الجزاء عن الاعمال السالفة . والباطنية يرفضون المعجزات ، وينكرون نزول الملائكة

---

(١) بانى المهدية فى قيروان وجد العبيدية بمصر هلك سنة ٣٢٢ هـ بالمهدية راجع الشذرات .

(٢) وفى ذلك بحث طويل فى المحلى والفصل لابن حزم .

من السماء بالوحى والأمر والنهى بل ينكرون أن يكون فى السماء ملك وانما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسة على مخالفيهم ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة والامامة وكل واحد منهم صاحب دورمسبع اذا انقضى دورسبعه تبعهم فى دور آخر واذا ذكروا النبى والوحى قالوا: ان النبى هو الناطق والوحى أساسه الفاتق والى الفاتق تأويل نطق الناطق على ماتراه يميل اليه هواه فمن صار الى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة. ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا ان معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وادمان خدمته والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام. والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق. وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا فى ذلك قوله: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [١]» وحملوا اليقين على معرفة التأويل. وقد قال القيروانى فى رسالته إلى سليمان بن الحسن: إنى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن، والتوراة، والزبور، والانجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور وابطال الملائكة فى السماء، وإبطال الجن فى الارض، وأوصيك بان تدعوهم إلى القول بانه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم. وفى هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع. ويدل على دعوانا عليهم القول بإبطال الشرائع ان القيروانى قال أيضا فى رسالته إلى سليمان بن الحسن: وينبغى أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم فى أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت وأباح العمل فى السبت، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته. ثم قال له: ولاتكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: الروح من أمر ربى لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولاتكن كموسى فى دعواه التى لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق فى زمانه عنده برهاناً قال: لئن اتخذت إلها غيرى. وقال لقومه: أنا ربكم الأعلى. لأنه كان صاحب الزمان فى وقته. ثم قال فى آخر رسالته: وما العجب من شىء كالعجب من رجل

---

(١) سورة الحجر: مكية ٩٩.

يدعى العقل ثم يكون له اخت أو بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبى . ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق باخته وبنته من الاجنبى . ماوجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقـل وهو الإله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لايرونه أبداً من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله : « لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى(١) » فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لايكون. وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟. وهل النار وعذابها إلا مافيـه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة، والصيام، والجهاد، والحج . ثم قال لسليمان بن الحسن فى هذه الرسالة : وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس . وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم مانلتم من الراحة عن أمرهم . وفى هذا الذى ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات . ثم ان الباطنية لهم فى اصطياد الأغتام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها : التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك ، والتعليق، والربط ، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود ، وآخرها الخلع والسلخ .

فأما التفرس فانهم قالوا : من شرط الداعى الى بدعتهم أن يكون قوياً على التلبيس وعارفاً بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن ، ويكون مع ذلك مميزاً بين من يطمع فيه وفى إغوائه وبين من لامطمع فيه . ولهذا قالوا فى وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم لاتتكلموا فى بيت فيه سراج . يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس ، وقالوا أيضاً لدعاتهم : لاتطرحوا بذركم فى أرض سبخة ، وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لايؤثر فيهم بدعتهم كما لايؤثر البذر فى الأرض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الأغتام أرضاً زاكية لانها تقبل بدعتهم وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هى القابلة للدين القويم، والصراط المستقيم وهى التى لاتصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الإبريز الذى لا يصدأ فى الماء ولا يبلى فى التراب ولا ينقص فى النار . والأرض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لايزجرهم عقل ولايردهم شرع .

---

(١) سورة الشورى : مكية ٢٣ .

فهم أرجاس أنجاس أموات غير أحياء ، « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (١) » ، قد قسم لهم الحظ فى الرزق من قسم رزق الخنازير فى مراعيها وأباح طعمة العنب فى براريها « لايسأل عما يفعل وهم يسألون (٢) » ، وقالوا أيضا من شرط الداعى إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التى تدعى بها الأصناف فليست دعوة الأصناف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى مذهب الباطن . فمن رآه الداعى مائلا إلى العبادات حمله على الزهد والعبادة . ثم سأله عن معانى العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له : العبادة بله وحماقة ، وانما الفطنة فى نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر : —

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسور

ومن رآه شاكا فى دينه أو فى المعاد ، والثواب، والعقاب صرح له بنفى ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه إلى قول الشاعر الماجن : —

أأترك لذة الصهباء صرفا لما وعدوه من لحم وخمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبابية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والخطابية لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم . ومن رآه من الرافضة زيدياً ، أو إماميا مائلا إلى الطعن فى أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بنى تيم لأن أبا بكر منهم ، وبغض بنى عدى لأن عمر بن الخطاب كان منهم . وحثه على بغض بنى أمية لأنه كان منهم عثمان ومعاوية ، وربما استروح الباطنى فى عصرنا هذا إلى قول اسماعيل بن عباد : —

دخول النار فى حب الوصى وفى تفضيل أولاد النبى
أحب إلى من جنات عدن أخلدها بتيم أو عدى

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه : —

[أتطمع أنت فى جنات عدن وأنت عدو تيم أو عدى]
وهم تركوك أشقى من ثمود وهم تركوك أفضح من دعى
وفى نار الجحيم غداً ستصلى إذا عاداك صديق النبى

---

(١) سورة الفرقان : مكية ٤٤ . (٢) سورة الأنبياء : مكية ٢٣ .

ومن رآه الداعي مائلا إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ فى تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبابكر إلى الغار، ثم إلى المدينة وأفضى اليه فى الغار تأويل شريعته . فاذا سأله الموالى لأبى بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبى بكر وعمر أخذعليه العهود والمواثيق فى كتمان ما ظهره له . ثم ذكر له على التدريج بعض التأويلات فان قبلها منه أظهر الباقى وان لم يقبل منه التأويل الأول ربطه فى الباقى وكتمه عنه وشك الغر من أجل ذلك فى أركان الشريعة . والذى يروج عليهم مذهب الباطنية أصناف احدها : العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر، كالنبط ، والأكراد، وأولاد المجوس . والصنف الثانى : الشعوبية الذين يرون تفضيـــل العجم على العرب ويتمنون عود الملك إلى العجم والصنف الثالث : أغتام بنى ربيعة من أجل غيظهم على مضر لخروج النبي منهم . ولهـذا قال عبد الله بن حازم السلمى فى خطبته بخراسان : أن ربيعة لم تزل غضاباً على الله مذبعث نبيه من مضر ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنوحنيفة مسيلمة الكذاب طمعاً فى أن يكون فى بنى ربيعة نبى كما كان فى بنى مضر نبى . فاذا استأنس الأعجمى الغر أو الربعى الحاسد المبغض يقول الباطنى له : قومك أحق بالملك من مضر فيسأله عن السبب فى عود الملك إلى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم . ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج فاذا قبل ذلك منه صار ملحدا صريحا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات . فهذا بيان درجة التفرس منهم .

ودرجة التأنيس: قريبة من درجة التفرس عندهم وهى تزيين ماعليه الإنسان من مذهبه فى عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ماهو عليه وتشكيكه إياه فى أصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك حتى صار المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها فى اللغة، وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات . والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة فاما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها .

ودرجة التدليس منهم : قولهم : للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة . وذكر له قوله فى القرآن : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب [1] » . فإذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا

---

(١) سورة الحديد : مدنية ١٣ .

جرت سنة الله تعالى فى أخذ العهد والميثاق على رسله ولذلك قال : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا⁽¹⁾» وذكروا له قوله : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون⁽²⁾» فاذا حلف الغر لهم بالأيمان المغلظة وبالطلاق والعتق وتسبيل الأموال فقد ربطوه بها . وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدى إلى رفعها بزعمهم فان قبل الأحمق ذلك منهم دخل فى دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهراً . وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لأنه حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من اسرارهم واذا قبلها منهم فقد حلفوه وسلخوه عن دين الإسلام وقالوا له حينئذ : إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب، واللب خير من القشر .

قال عبد القاهر : حكى لى بعض من كان دخل فى دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه إلى حل أيمانهم أنهم لما وثقوا منه بأيمانه قالوا له : إن المسلمين بالأنبياء كنوح ، وابراهيم ، وموسى، وعيسى، ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ، ومخاريق احبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم . قال هذا الحاكى لى ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال له - ينبغى أن تعلم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : « إنى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى⁽³⁾» قال : فقلت سخنت عينك تدعونى إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم ثم تدعونى مع ذلك الى الإقرار بربوبية انسان مخلوق وتزعم أنه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى فان كان موسى عندك مخرقا فالذى زعمت أنه أرسله أكذب فقال لى إنك لاتفلح أبداً وندم على افشاء اسراره الى وتبت من بدعتهم . فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم . وأما أيمانهم فان داعيهم يقول للحالف جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه منى وما تعلمه من أمرى ومن أمر الامام الذى هو صاحب زمانك وأمر أشياعه وأتباعه فى هذا البلد وفى سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والإناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيراً ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة ، أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الامام صاحب الزمان أو أذن لك فى اظهاره المأذون له فى دعوته فتعمل فى ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك

(١) سورة الاحزاب : مدنية ٧ (٢) سورة النحل : مكية ٩١ (٣) سورة طه : مكية ١٢

فيه . وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك فى حالتى الرضا والغضب والرغبة والرهبة . قال: نعم فاذا قال : نعم . قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعنى وجميع من اسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله وميثاقه عليك وذمته . وذمة رسله وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطنا . وألاتخون الامام وأوليـــاءه وأهل دعوته فى أنفسهم ولا فى أموالهم، وانك لاتتأول فى هذه الأيمان تأويلا ولا تعتقد مايحلها . وانك إن فعلت شيئا من ذلك فأنت برىء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه . وانك ان خالفت فى شىء مما ذكرناه لك فلله عليـــك أن تحج الى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً ، وكل ماتملكه فى الوقت الذى أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون فى ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً . وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتـــك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقـا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به فاذا قال : نعم . قال له : كفى بالله شهيداً بيننا وبينـك . فاذا حلف الغر بهـذه الأيمان ظن أنه لايمكن حلها ، ولم يعـلم الغر أنه ليس لأيمانهم عندهم مقدار ولاحرمة وانهم لايرون فيها ولافى حلها إثما ولا كفارة ، ولاعاراً ، ولاعقاباً فى الآخرة . وكيف يكون لليمين بالله وبكتبه ورسله عنـدهم حرمة ؟ وهم لايقرون بإله قديم بل لايقرون بحدوث العالم ، ولايثبتون كتاباً منزلا من السماء ، ولا رسولا ينزل عليه الوحى من السماء ، وكيف يكون لأيمان المسلمين عندهم حرمة ؟ ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم إنما هو زعيمهم الذى يدعون اليه . ومن مال منهم إلى دين المجوس زعم أن الإله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه فى ملكه ، وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لايرون للكعبة مقداراً ويسخرون بمن يحج ويعتمر ، وكيف يـكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد . فهذا بيان حكم الأيمان عندهم .

فأما حكم الأيمان عند المسلمين فانا نقول : كل يمين يحلف بها الحالف ابتـداء بطوع نفسه فهو على نيته ، وكل يمين يحلف بها عند قاض، أو سلطان يحلفه ينظر فيها . فان كانت يمينا فى دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعى ظالما للمدعى عليه فيمين الحالف على نيته . وان كان المدعى محقـا والمنكر ظالما للمدعى فيمين المنكر على نية القـاضى أو السلطان الذى أحلفه . ويكون الحالف حانثا فى يمينه . وإذا صحت هذه المقدمة فالباحث عن دين الباطنية اذا قصد إظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم فهو معذور فى يمينه وتكون يمينه على نيته . فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم ينعقد عليه أيمانه ولم يحنث

فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك، وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وإنما أظهر سر كافر زنديق وقد جاء فى ذكر الحديث المأثور: «اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس(١)».
فهذا بيان حيلتهم على الأغمار بالايمان.

فاما احتيالهم على الأغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة. وربما سألوهم عن مسائل فى المحسوسات يوهمون أن فيها علوما لا يحيط بها إلا زعيمهم. فمن مسائلهم قول الداعى منهم للغر: لم صار للانسان أذنان ولسان واحد؟ ولم صار للرجل ذكر واحد وخصيتان؟ ولم صارت الأعصاب متصلة بالدماغ، والأوردة متصلة بالكبد، والشرايين متصلة بالقلب؟ ولم صار الانسان مخصوصاً بنبات الشعر على جفنيه الأعلى والأسفل؟ وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل، ولم صار ثدى الانسان على صدره، وثدى البهائم على بطونها؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد، ولا كرش، ولا كعب؟ وما الفرق بين الحيوان الذى يبيض ولا يلد ولا يبيض؟ وبماذا يميز بين السمك النهرية والسمك البحرية، ونحو هذا كثير يوهمون أن العلم بذلك عند زعيمهم.

ومن مسائلهم فى القرآن سؤالهم عن معانى حروف الهجاء فى أوائل السور كقوله: «الم»، و«حم»، و«طس»، و«يس»، و«طه»، و«كهيعص»، وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعا وعشرين حرفاً؟ ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف؟ وربما قالوا للغر: ما معنى قوله «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية(٢)»؟ ولم جعل الله تعالى أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وما معنى قوله: «عليها تسعة عشر(٣)»، وما فائدة هذا العدد؟ وربما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض وزعموا انه لا يعرف تأويلها إلا زعيمهم كقوله: «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان(٤)»، مع قوله فى موضع آخر: «فوربك لنسألنهم أجمعين(٥)».

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى والخطيب بلفظ (اذكروا الفاجر) قال ابن الديبع: أخرجه أبو يعلى وغيره ولا يصح (٢) سورة الحاقة: مكية ١٧. (٣) سورة المدثر: مكية ٣٠ (٤) سورة الرحمن: مكية أو مدنية ٣٩ (٥) سورة الحجر: مكية ٩٢

ومنها : مسائلهم فى أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين ، والظهر أربعاً ، والمغرب ثلاثا ؟ ولم صار فى كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ؟ ولم كان الوضوء على أربعة والتيمم على عضوين ؟ ولم وجب الغسل من المنى وهو عند أكثر المسلمين طاهر ؟ ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع . ولم أعادت الحائض ماتركت من الصيام ولم تعد ماتركت من الصلاة ؟ ولم كانت العقوبة فى السرقة بقطع اليد وفى الزنى بالجلد ؟ وهلا قطع الفرج الذى به زنى فى الزنى كما قطعت اليد التى بها سرق فى السرقة فاذا سمع الغر منهم هذه الأسئلة ورجع اليهم فى تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند المأذون له فى كشف أسرارنا فاذا تقرر عند الغر ان إمامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله اعتقد ان المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فاخرجوه بهذه الحيلة عن العمل باحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا إله قديم غنى عن كل شىء لم يكن له فائدة فى ركوع العباد وسجودهم ، ولا فى طوافهم حول بيت من حجر ، ولا فى سعى بين جبلين . فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحداً له زنديقا .

قال عبد القاهر : والكلام عليهم فى مسائلهم التى يسألون عنها عند قصدهم إلى تشكيك الأغمار فى أصول الدين من وجهين :

أحدهما : أن يقال لهم إنكم لاتخلون من أحد أمرين . إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا ، قديما . عالما ، حكيما يكون له تكليف عباده ماشاء كيف شاء . وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفى الصانع . فان اعتقدتم قدم العالم ونفى الصانع فلامعنى لقولكم لم فرض الله كذا ، ولم حرم كذا ، ولم خلق كذا ، ولم جعل كذا على مقدار كذا ؟ اذا لم تقروا باله فرض شيئا أو حرمه أو خلق شيئا أو قدره ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية فى حدوث العالم . وان أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ماشاء من الأعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم . لم فرض ، ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه ان أقررتم به وبجواز تكليفه . وكذلك سؤآلهم عن خاصية المحسوسات يبطل ان أقروا بصانع أحدثها ، وان أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع انكارهم أن يكون لذلك صانع قديم .

والوجه الثانى : من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان أن يقال لهم كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك . وقد ذكرته الأطباء والفلاسفة

فى كتبهم وصنف ارسطاطاليس فى طبائع الحيوان كتاباً وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئا إلا مسروقاً من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة من العرب القحطانية، والجرهمية، والطسمية وسائر الأصناف الحميرية. وقد ذكر العرب فى أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن فى زمانها باطنى ولا زعيم للباطنية. وإنما أخذ ارسطاطاليس الفرق بين مايلد ومايبيض من قول العرب فى امثالها: كل شرقاء ولود، وكل صكاء بيوض. ولهذا كان الخفاش من الطير ولوداً لابيوضاً لأن لهااذنا شرقاء وكل ذات اذن صكاء بيوض كالحية، والضب، والطيور البائضة. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى [١] وعبد الملك بن قريب الأصمعى [٢] أن العرب قالت بتجريبها فى الجاهلية ان كل حيوان لعينيه أهداب على الجفن الأعلى دون الأسفل إلا الإنسان فان اهدابه على الجفن الأعلى والأسفل. وقالوا: كل حيوان ألقى فى الماء يسبح فيه إلا الإنسان، والقرد، والفرس الأعمر فانه يغرق فيه إلا أن يتعلم الانسان السباحة.

وقالوا فى الإنسان: إنه إذا قطع رأسه والقى فى الماء انتصب قائما فى وسط الماء. وقالوا: كل طائر كفه فى رجليه وكف الإنسان والقرد فى اليد. وكل ذى أربع ركبته فى يده وركبتا الإنسان فى رجليه. وقالوا: ليس للفرس غدد. ولا كرش ولاطحال، ولا كعب. وليس للبعير مرارة، وليس للظليم مخ، وكذلك طير الماء، وحيتان البحر ليس لها ألسن ولا أدمغة. وقد يكون حوت النهرذا لسان ودماغ وقالوا: إن السموك كلها لارئة لها كذلك ولا تتنفس وقالت العرب من تجاربها: إن الضأن تضع فى السنة مرة وتفرد ولاتتئم، والماعز تضع فى السنة مرتين وتضع الواحدة، والإثنتين، والثلاثة. والعدد والنماء والبركة فى الضأن أكثر منها فى الماعز. وقالوا أيضا اذا رعت الضأن نبتاً نبت، ولا ينبت مايأكله الماعز لأن الضأن تقرضه باسنانها والماعز تقلعه من أصله. وقالوا أن الماعز إذا حملت انزلت اللبن فى أول الحمل إلى الضرع، والضأن لاتنزل اللبن إلا عند الولادة. وقالوا: إن أصوات الذكور منكل جنس اجهر منأصوات الأناث إلا المعزى فان أصوات إناثها أجهر من أصوات ذكورها.

ومن أمثال العرب فى الحيوان قولهم: كل ثور أفطس، وكل بعير أعلم، وكل ذى ناب أفرج. وقالوا بالتجربة: إن الأسد لايأكل شيئا حامضا ولايدنو من النار، ولايدنو

---

(١) توفى سنة ٢٠٩ ﻫ (٢) الكلام فيه طويل توفى سنة ٢١٦ ﻫ

من الحامض ، وقالوا : إن حمل الكلب ستون يوما فان وضعت حملها لأقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وقالوا : إن إناث الكلاب يحضن لسبعة أشهر . ثم إن الكلبة تحيض فى كل سبعة أيام . وعلامة حيضها ورم أثفارها . وقالوا فى الكلب أنه لايلقى من أسنانه شيئا إلا الثامن . وقالوا فى الذئب إنه ينام باحدى عينيه ويحترس بالأخرى ولذلك قال فيه حميد بن ثور :ـــ

ينام باحدى مقلتيه ويتقى　　باخرى المنايا فهو يقظان نائم

والأرنب تنام مفتوحة العينين . قالوا : ليس فى الحيوان مالسانه مقلوب إلا الفيل وليس فى ذوات الأربع مائديه على صدره إلا الفيل . وقالوا : إن الفيل تضع لسبع سنين، والحمار لسنة ، والبقرة فى ذلك كالمرأة ، وقالوا فى قضيب الأرنب والثعلب : أنه عظم . وقالوا : كل ذى رجلين إذا انكسرت احداهما قام على الأخرى وعرج إلا الظليم فانه اذا نكسرت احدى رجليه جثم فى مكانه . ولهذا قال الشاعر فى نفسه واخيه :ـــ

فانى واياه كرجلى نعـــامة　　على مابنا من ذى غنى أولدى فقر

يريد أنه لاغنى لأحدهما عن صاحبه . وقالوا فى النعامة : إنها تبيض من ثلاثين بيضة الى أربعين لكنها تخرج ثلاثين منها تحضن عليها كخيط ممدود على الاستواء . وربما تركت بيضها وحضنت بيض غيرها ولهذا قال فيها ابن هرمة :ـــ

كتاركة بيضها بالعرا　　وملبسة بيض اخرى جناحا

وقالوا فى الفرج والفروج : أنهما يخلقان من البياض والصفرة غذاؤهما . وقالوا فى القطا : أنها لاتضع الا فردا . وفى العقاب أنها تضع ثلاث بيضات فتخرج بيضتين وتطرح واحدة فيخرجها الطير المعروف بكاسى العظام ولهذا قيل فى المثل: أبر من كاسى العظام . وقالوا فى الضب : إنها تضع سبعين بيضة ولكنها تأكل ماخرج من الحسولة عن البيض إلا الحسل الذى يعدو ويهرب منها . ولهذا قالوا فى المثل : أعق من ضب . والضب لايرد الماء . ولهذا قالوا فى المثل أروى من ضب . وقالوا فى الضب: أنه ذو ذكرين وللأنثى من الضباب فرجان من قبل وقالوا فى الحية : لها لسانان ولسانها أسود على اختلاف الوان قشرها . والحيات كلها تكره ريح السذاب والبنفسج ، وتعجب بريح التفاح ، والبطيخ ، والجزر ، والخردل ، واللبن ، والخمر . وقالوا فى الضفادع : انها لاتصيح إلا وفى أفواهها الماء ، ولاتصيح فى دجلة بحال وان صاحت فى الفرات وسائر الانهار . وقال الشاعر فى الضفدع :ـــ

يدخل فى الأشداق ماينققه   حتى ينق والنقيق يتلفه

يعنى أن نقيقها يدل عليها الحية فتصيدها فتأ كلها . وقالوا : ان الضفادع لاعظام لها . وقالوا فى الجعل : انه اذا دفن فى الورد سكن كالميت فاذا أعيد الى الروث تحرك .

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب فى جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية بل عرفوها قبل وجود الباطنية فى الدنيا بأحقاب كثيرة وفى هذا بيان كذب الباطنية فى دعواها أن زعماءها مخصوصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك .

الباب الخامس

من أبواب هذا الكتاب:

فى بيان أوصاف الفرقة الناجية وتحقيق النجاة لها وبيان محاسنها .

هذا باب يشتمل على فصول هذه ترجمتها :ـ

١ ـ فصل: فى بيان أصناف فرق السنة والجماعة .

٢ ـ فصل: فى بيان تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة .

٣ ـ فصل: فى بيان الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة .

٤ ـ فصل: فى بيان قول أهل السنة فى السلف الصالح من الأمة .

٥ ـ فصل: فى بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا .

٦ ـ فصل: فى بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وذكر أئمتهم .

٧ ـ فصل: فى بيان آثار أهل السنة فى الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما .

فهذه فصول هذا الباب وسنذكر فى كل منها مقتضاه بعون الله وتوفيقه .

الفصل الأول

من فصول هذا الباب

فى بيان أصناف أهل السنة والجماعة .

اعلموا أسعدكم الله ان أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من النـــاس :

صنف منهم أحاطوا علماً بأبواب التوحيد ، والنبوة ، وأحكام الوعد ، والوعيد ، والثواب ، والعقاب ، وشروط الاجتهاد ، والامامة ، والزعامة وسلكوا فى هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة ، والخوارج ، والجهمية ، والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة .

(٢)والصنف الثانى منهم : أئمة الفقه من فريق الرأى والحديث من الذين اعتقدوا فى أصول الدين مذاهب الصفاتية فى الله وفى صفاته الأزلية وتبرءوا من القدر ، والاعتزال وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل وأثبتوا الحشر من القبور مع إثبات السؤال فى القبر ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التى دون الشرك .

وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على الكفرة وقالوا بإمامة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الاهواء الضالة ، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المسح على الخفين ، ووقوع الطلاق الثلاث ، ورأوا تحريم المتعة ، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية .

ويدخل فى هذه الجماعة أصحاب مالك(١) ، والشافعى ، والاوزاعى(٢) ، والثورى ، وأبى حنيفة وابن أبى ليلى ، وأصحاب أبى ثور(٣) ، وأصحاب احمد بن حنبل(٤) ، وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا فى الأبواب العقلية أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقهه بشىء من بدع أهل الأهواء الضالة .

(٣)والصنف الثالث منهم . هم الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبى عليه السلام وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا

---

(١) توفى سنة ١٧٩ هـ رضى الله عنه (٢) توفى سنة ١٥٧ هـ رضى الله عنه .

(٣) توفى سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله (٤) توفى سنة ٢٤١ هـ رحمه الله .

علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة .

(٤) والصنف الرابع منهم : قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف وجروا على سمت أئمة اللغة ، كالخليل (١) ، وأبي عمرو بن العلاء (٢) ، وسيبويه (٣) ، والفراء (٤) ، والاخفش (٥) ، والاصمعي ، والمازني ، وأبي عبيد وسائر أئمة النحو من الكوفيين ، والبصريين الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج . ومن مال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة في اللغة والنحو .

(٥) والصنف الخامس منهم : هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن ، وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

(٦) والصنف السادس منهم : الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور ، وعلموا أن السمع ، والبصر ، والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فاعدوا خير الإعداد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريق العبارة والاشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لايعملون الخير رياء ، ولا يتركونه حياء ، دينهم التوحيد ، ونفي التشبيه ، ومذهبهم التفويض الى الله تعالى ، والتوكل عليه والتسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا ، والإعراض عن الاعتراض عليه : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٦) » .

(٧) والصنف السابع منهم : قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة يجاهدون أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين ، ويذبون عن حريمهم وديارهم ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة . وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله : « والذين جاهدوا

---

(١) هو : إمام البصريين في النحو واللغة توفي سنة ١٧٥ هـ رحمه الله .
(٢) هو : أحد القراء السبعة وأحد أركان علم اللغة بالبصرة توفي سنة ١٥٤ هـ رحمه الله .
(٣) هو : عمرو بن عثمان الامام المعروف توفي سنة ١٨٠ هـ رحمه الله .
(٤) هو : يحيى بن زياد توفي سنة ٢٠٧ هـ رحمه الله .
(٥) هو : سعيد بن مسعدة توفي سنة ٢١٠ هـ رحمه الله .
(٦) سورة الحديد : مدنية ٢١ والجمعة : مدنية ٤

فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين[١] ، زادهم الله توفيقاً بفضله ومنه .

(٨) والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التى غلب فيها شعائر أهل السنة دون عامة البقاع التى ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة . وانما أردنا بهذا الصنف من العامة عامة اعتقدوا تصويب علماء السنة والجماعة فى أبواب العدل ، والتوحيد ، والوعد ، والوعيد ورجعوا إليهم فى معالم دينهم وقلدوهم فى فروع الحلال والحرام . ولم يعتقدوا شيئا من بدع أهل الأهواء الضالة وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية : حشو الجنة . فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم ، أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم . ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة انه بالاجابة جدير وعليها قدير .

الفصل الثانى

من فصول هذا الباب :

فى بيان تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة .

قد ذكرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثاً وسبعين فرقة ، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية سئل عن الفرقة الناجية وعن صفتها فأشار إلى الذين هم على ماعليه هو وأصحابه . ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضى الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ، ومتكلميهم الصفاتية دون الرافضة والقدرية ، والخوارج ، والجهمية ، والنجارية ، والمشبهة ، والغلاة ، والحلولية .

أما القدرية فكيف يكونون موافقين للصحابة وقد طعن زعيمهم النظام فى أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود ونسبه الى الضلال من أجل روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه » . وروايته انشقاق القمر وما ذاك منه إلا لانكاره معجزات النبي عليه السلام . وطعن فى فتاوى عمر رضى الله عنه من أجل انه حد فى الخمر ثمانين ونفى نصر بن الحجاج الى البصرة حين خاف فتنة نساء المدينة به . وما هذه منه الا لقلة غيرته على الحرم ، وطعن فى فتاوى على رضى الله عنه لقوله فى أمهات الأولاد . ثم قوله رأيت أنهن يبعن . وقال : من هو حتى يحكم برأيه وثلب عثمان رضى الله عنه لقوله فى الخرقاء بقسم المال بين الجد ، والأم

---

(١) سورة العنكبوت . مكية ٦٩ .

والأخت ثلاثاً بالسوية .

ونسب أبا هريرة إلى الكذب من أجل أن الكثير من رواياته على خلاف مذاهب القدرية . وطعن فى فتاوى كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد وقال : ان ذلك منهم انما كان لاجل أمرين : إما لجهلهم بأن ذلك لايحل لهم ، وإما لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب اليهم . فنسب أخيار الصحابة إلى الجهل أو النفاق . والجاهل بأحكام الدين عنده كافر والمتعمد للخلاف بلا حجة عنده منافق كافر ، أو فاسق فاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود فاوجب بزعمه على أعلام الصحابة الخلود فى النار التى هو بها أولى . ثم انه أبطل إجماع الصحابة ولم ير حجة وأجاز اجتماع الأمة على الضلالة . فكيف يكون على سمت الصحابة مقتدياً بهم من يرى مخالفة جميعهم واجبا اذا كان رأيه خلاف رأيهم . وكان زعيمهم واصل بن عطاء الغزال يشك فى عدالة على وابنيه ، وابن عباس ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين . ولذلك قال لو شهد عندى على وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمى بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه . فجائز على أصله أن يكون على وأتباعه فاسقين مخلدين فى النار . وجائز أن يكون الفريق الآخر الذين كانوا أصحاب الجمل فى النار خالدين فشك فى عدالة على ، وطلحة ، والزبير مع شهادة النبى عليه السلام لهؤلاء الثلاثة بالجنة ومع دخولهم فى بيعة الرضوان وفى جملة الذين قال الله تعالى فيهم : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً (١) » . وكان عمرو ابن عبيد يقول بقول واصل فى فريق الجمل وزاد عليه القول بالقطع على فسق كل فرقة من الفرقتين .

وذلك أن واصلا إنما قطع بفسق أحد الفريقين ولم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب على والآخر من أصحاب الجمل وقبل شهادة رجلين من أصحاب على وشهادة رجلين من أصحاب الجمل . وقال عمرو بن عبيد : لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين وكان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل فاعتقد فسق الفريقين جميعا .

وواجب على أصله أن يكون على وابناه، وابن عباس، وعمار، وأبوأيوب الأنصارى وخزيمة بن ثابت الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بمنزلة شهادة

(١) سورة الفتح : مدنية ١٨

رجلين عدلين وسائر أصحاب على مع طلحة، والزبير، وعائشة وسائر أصحاب الجمل فاسقين مخلدين فى النار، وفيهم من الصحابة الوف وقد كان مع على خمسة وعشرون بدرياً وأكثر أصحاب أحد وستمائة من الأنصار وجماعة من المهاجرين الأولين .

وقد كان أبو الهذيل، والجاحظ ، وأكثر القدرية فى هذا الباب على رأى واصل بن عطاء فيهم . فكيف يكون مقتدياً بالصحابة من يفسق أكثرهم ويراهم من أهل النار ؟ ومن لايرى شهادتهم مقبولة كيف يقبل روايتهم ؟ ومن رد رواياتهم ورد شهاداتهم خرج عن سمتهم ومتابعتهم ، وانما يقتدى بهم من يعمل برواياتهم ويقبل شهاداتهم كدأب أهل السنة والجماعة فى ذلك .

وأما الخوارج : فقد أكفروا علياً وابنيه ، وابن عباس ، وابا أيوب الانصارى وأكفروا أيضا عثمان ، وعائشة . وطلحة ، والزبير ، وأكفروا كل من لم يفارق علياً ومعاوية بعد التحكيم . وأكفروا كل ذى ذنب من الأمة، ولا يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفير أكثرها . وأما الغلاة من الروافض كالسبابية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية وسائر الحلولية فقد بينا خروجهم عن فرق الاسلام وبينا أنهم فى عداد عبدة الأصنام أوفى عداد الحلولية من النصارى . وليس لعبدة الأصنام ولا للنصارى وسائر الكفرة بالصحابة أسوة ولا قدوة .

وأما الزيدية منهم : فالجارودية منهم يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان وأكثر الصحابة ولا يقتدى بهم من يكفر أكثرهم . والسليمانية، والبترية من الزيدية يكفرون عثمان أو يتوقفون فيه ويفسقون ناصريه ويكفرون أكثر أصحاب الجمل.

وأما الامامية منهم : فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبى صلى الله عليه وسلم سوى على وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم .

وزعمت الكاملية منهم : ان عليا أيضا ارتد وكفر بتركه قتالهم، فكيف يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفيرهم ؟ . ثم نقول : كيف يكون الرافضة ، والخوارج ، والقدرية ، والجهمية ، والنجارية، والبكرية، والضرارية موافقين للصحابة ؟ وهم باجمعهم لا يقبلون شيئا مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث ، والسير، والمغازى من أجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار ورواة التواريخ والسير ، ومن أجل تكفيرهم فقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابة وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة . ولم يكن بحمد الله ومنه فى الخوارج ولا

فى الروافض ولا فى الجهمية ، ولا فى القدرية، ولا فى المجسمة ، ولا فى سائر أهل الأهواء الضالة إمام فى الفقه، ولا إمام فى رواية الحديث، ولا إمام فى اللغة، والنحو ولا موثوق به فى نقل المغازى ، والسير ، والتواريخ ، ولا إمام فى الوعظ والتذكير ، ولا إمام فى التأويل والتفسير ، وإنما كان أئمة هذه العلوم على الخصوص والعموم من أهل السنة والجماعة وأهل الأهواء الضالة اذا ردوا الروايات الواردة عن الصحابة فى أحكامهم وسيرهم لم يصح اقتداؤهم بهم متى لم يشاهدوهم ولم يقبلوا رواية أهل الرواية عنهم .

وبان من هذا أن المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صح بالرواية الصحيحة فى أحكامهم وسيرهم . وذلك سنة أهل السنة دون ذرى السنة وصح بصحة ما ذكرناه تحقيق نجاتهم كحكم النبى صلى الله عليه وسلم بنجاة المقتدين باصحابه والحمد لله على ذلك .

الفصل الثالث

من فصول هذا الباب :

فى بيان الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة .

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على اصول من اركان الدين كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته . ولكل ركن منها شعب وفى شعبها مسائل اتفق اهل السنة فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها .

وأول الاركان التى رأوها من اصول الدين اثبات الحقائق ، والعلوم على الخصوص والعموم . والركن الثانى : هو العلم بحدوث العالم فى أقسامه من أعراضه وأجسامه . والركن الثالث : فى معرفة صانع العالم وصفات ذاته : والركن الرابع : فى معرفة صفاته الأزلية، والركن الخامس : فى معرفة أسمائه وأوصافه . والركن السادس : فى معرفة عدله وحكمته . والركن السابع : فى معرفة رسله وأنبيائه . والركن الثامن : فى معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء والركن التاسع: فى معرفة ماأجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الاسلام . والركن العاشر : فى معرفة أحكام الأمر والنهى، والتكليف . والركن الحادى عشر . [فى معرفة فناء العباد وأحكامهم فى المعاد] . والركن الثانى عشر : الخلافة والأمامة وشروط الزعامة . والركن الثالث عشر : فى أحكام الايمان والاسلام فى الجملة . والركن الرابع عشر: فى معرفة أحكام الأولياء ومراتب الأئمة الاتقياء . والركن الخامس عشر : فى معرفة أحكام الأعداء من الكفرة وأهل الاهواء .

فهذه أصول اتفق أهل السنة على قواعدها وضللوا من خالفهم فيها . وفى كل ركن

منها مسائل أصول ومسائل فروع وهم مجمعون على أصولها وربما اختلفوا فى بعض فروعها اختلافا لا يوجب تضليلا ولا تفسيقا .

١ فأما الركن الأول: وهو اثبات الحقائق والعلوم: فقد أجمعوا على اثبات العلوم معانى قائمة بالعلماء . وقالوا : بتضليل نفاة العلم وسائر الأعراض، وبتضليل السوفسطائية الذين ينفون العلم وينفون حقائق الأشياء كلها وعدوهم معاندين لما قد علموه بالضرورة . وكذلك السوفسطائية الذين شكوا فى وجود الحقائق . وكذلك الذين قالوا منهم بان حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد وصححوا جميع الاعتقادات مع تضادها وتنافيها وهذه الفرق الثلاث كلها كفرة معاندة لموجبات العقول الضرورية .

وقال أهل السنة : إن علوم الناس، وعلوم سائر الحيوانات ثلاثة أنواع : علم بديهى . وعلم حسى ، وعلم استدلالى . وقالوا : من جحد العلوم البديهية ، أو العلوم الحسية الواقعة من جهة الحواس الخمس فهو معـــاند . ومن أنكر العلوم النظرية الواقعة عن النظر والاستدلال نظر فيه . فان كان من السمنية المنكرة للنظر فى العلوم العقلية فهو كافر ملحد وحكمه حكم الدهرية لقوله معهم بقدم العالم وإنكار الصانع مع زيادته عليهم القول بابطال الأديان كلها . وإن كان ممن يقول بالنظر فى العقليات وينكر القياس فى فروع الأحكام الشرعية كأهل الظاهر لم يكفر بانكار القياس الشرعى . وقالوا : بأن الحواس التى يدرك بها المحسوسات خمس وهى : حاسة البصر لإدراك المرئيـــات . وحاسة السمع لإدراك المسموعات . وحاسة الذوق لإدراك الطعوم . وحاسة الشم لادراك الروائح . وحاسة اللمس لادراك الحرارة والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، واللين ، والخشونة بها .

وقالوا : إن الادراكات الواقعة من جهة هذه الحواس معان قائمة بالآلات التى تسمى حواس . وضللوا أبا هاشم الجبائى فى قوله: إن الادراك ليس بمعنى . ولا عرض، ولا شىء سوى المدرك . وقالوا : إن الخبر المتواتر طريق العلم الضرورى بصحة ما تواتر عنه الخبر إذا كان المخبر عنه مما يشاهد ويدرك بالحس والضرورة كالعلم بصحة وجود ما تواتر الخبر فيه من البلدان التى لم يدخلها السامع مع المخبر عنها ، وكعلمنا بوجود الأنبياء ، والملوك الذين كانوا قبلنا . فأما صحة دعاوى الأنبياء فى النبوة فمعلوم لنا بالحجج النظرية ، وأكفروا من أنكر من السمنية وقوع العلم من جهة التواتر . وقالوا : إن الأخبار التى يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع : تواتر ، وآحاد ، ومتوسط بينهما مستفيض .

فالخبر المتواتر الذى يستحيل التواطؤ على وضعه يوجب العلم الضرورى بصحة مخبره

وبهذا النوع من الأخبار علمنا البلدان التى لم ندخلها، وبها عرفنا الملوك، والأنبياء والقرون الذين من قبلنا. وبه يعرف الانسان والديه اللذين هو منسوب إليهما.

وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة فى العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم فى أنه يلزمه الحكم بها فى الظاهر وإن لم يعلم صدقهم فى الشهادة. وبهذا النوع من الخبر أثبت الفقهاء أكثر فروع الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام وضللوا من أسقط وجوب العمل بأخبار الآحاد فى الجملة من الرافضة، والخوارج وسائر أهل الأهواء.

وأما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فانه يشارك التواتر فى إيجابه للعلم والعمل، ويفارقه من حيث ان العلم الواقع عنه يكون علماً مكتسباً نظرياً، والعلم الواقع عن التواتر يكون ضرورياً غير مكتسب وهذا النوع من الخبر على أقسام.

منها: أخبار الأنبياء فى أنفسهم، وكذلك خبر من أخبر النبى عن صدقه يكون العلم لصدقه مكتسبا.

ومنها: الخبر المنتشر من بعض الناس إذا أخبر به بحضرة قوم لايصح منهم التواطؤ على الكذب وادعى عليهم وقوع ما أخبر عنه بحضرتهم. فاذا لم ينكر عليه أحد منهم علمنا صدقه فيه. وبهذا النوع من الأخبار علمنا معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى انشقاق القمر، وتسبيح الحصا فى يده، وحنين الجذع إليه لما فارقه، وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك من معجزاته غير القرآن المعجز نظمه فان ثبوت القرآن وظهوره عليه وعجز العرب والعجم عن المعارضة بمثله معلوم بالتواتر الموجب للعلم الضرورى.

ومنها أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه وهم يجمعون على صحتها كالأخبار فى الشفاعة، والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، وعذاب القبر، وسؤل الملكين فى القبر. وكذلك الأخبار المستفيضة فى كثير من أحكام الفقه كنصب الزكاة، وحد الخمر فى الجملة والأخبار فى المسح على الخفين وفى الرجم وما أشبه ذلك مما أجمع الفقهاء على قبول الأخبار فيها وعلى العمل بمضمونها. وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء كتضليل الخوارج فى انكارها الرجم، وتضليل من أنكر من النجدات حد الخمر، وتضليل من أنكر المسح على الخفين، وتكفير من أنكر الرؤية، والحوض، والشفاعة وعذاب القبر. وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يد السارق فى القليل والكثير من الحرز وغير الحرز كردهم الأخبار الصحاح فى اعتبار النصاب والحرز فى القطع. وكما ضللوا من

رد الخبر المستفيض ضللوا من ثبت على حكم خبر اتفق الفقهاء من فريق الرأى والحديث على نسخه . كتضليل الرافضة فى المتعة التى قد نسخت إباحتها .

واتفق أهل السنة على أن الله تعالى كلف العباد معرفته وأمرهم بها وأنه أمرهم بمعرفة رسوله وكتابه والعمل بما يدل عليه الكتاب والسنة وأكفروا من زعم من القدرية والرافضة أن الله تعالى ما كلف أحداً معرفته كما ذهب إليه ثمامة . والجاحظ وطائفة من الرافضة .

واتفقوا على أن كل علم كسبى نظرى يجوز أن يجعلنا الله تعالى مضطرين إلى العلم بمعلومه وأكفروا من زعم من المعتزلة أن المعرفة بالله عز وجل فى الآخرة مكتسبة من غير اضطرار إلى معرفته .

واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة القرآن والسنة وإجماع السلف . وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم فى القرآن والسنة لدعواه أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه . وأكفروا الخوارج الذين ردوا جميع السنن التى رواها نقلة الاخبار لقولهم بتكفير ناقلها . وأكفروا النظام فى إنكاره حجة الاجماع ، وحجة التواتر وقوله بجواز اجتماع الأمة على الضلالة وجواز تواطؤ أهل التواتر على وضع الكذب . فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة من مسائل الركن الاول .

٢ وأما الركن الثانى: وهو الكلام فى حدوث العالم فقد أجمعوا على أن العالم كل شىء هو غير الله عز وجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الازلية مخلوق مصنوع وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ولا مصنوع ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شىء من أجزاء العالم . وأجمعوا على أن أجزاء العالم قسمان: جواهر، وأعراض على خلاف قول نفاة الأعراض فى نفيها الأعراض،وأجمعوا على أن كل جوهر جزء لا يتجزأ وأكفروا النظام والفلاسفة الذين قالوا بانقسام كل جزء إلى أجزاء بلا نهاية(١) لأن هذا يقتضى ألا تكون أجزاؤها محصورة عند الله تعالى وفى هذا رد قوله : « وأحصى كل شىء عدداً »(٢) وقالوا باثبات الملائكة والجن والشياطين فى أجناس حيوانات العالم . وأكفروا من أنكرهم من الفلاسفة والباطنية . وقالوا : بتجانس الجواهر والأجسام . وقالوا: إن اختلافها فى الصور ، والألوان ، والطعوم ، والروائح إنما هو لاختلاف الأعراض القائمة بها .

---

(١) هذا بحث متشعب فليراجع المباحث المشرقيه (٢) سورة الجن : مكية ٢٨

وضللوا من قال باختلاف الأجسام لاختلاف الطبائع . وضللوا أيضا من قال من الفلاسفة بخمس طبائع وزعم أن للفلك طبيعة خامسة لاتقبل الكون والفساد كما ذهب اليه ارسطاطاليس .

وضللوا من قال من الثنوية إن الأجسام نوعان : نور ، وظلمة . وان الخير من النور ، والشر من الظلمة . وان فاعل الخير والصدق لايفعل الشر والكذب . وفاعل الشر والكذب لايفعل الخير والصدق . وسألناهم عن رجل قال : أنا شر وظلمة من القائل لهذا القول . فان قالوا هو النور فقد كذب . وان قالوا هو الظلمة فقد صدق . وفى هذا بطلان قولهم إن النور لايكذب والظلام لايصدق وهذا الزام لهم على أصولهم : فأما نحن فانا لانثبت النور والظلمة فاعلين قديمين بل نقول انهما مخلوقان لافعل لهما . واتفق أهل السنة على اختلاف أجناس الأعراض وأكفروا النظام فى قوله : إن الأعراض كلها جنس واحد وإنها كلها حركات لأن هذا يوجب عليه أن يكون الإيمان من جنس الكفر ، والعلم من جنس الجهل ، والقول من جنس السكوت . وأن يكون فعل النبى صلى الله عليه وسلم من جنس فعل الشيطان الرجيم . وينبغى له على هذا الأصل ألا يغضب على من لعنه وشتمه لأن قول القائل : لعن الله النظام عنده من جنس قوله رحمه الله .

واتفقوا على حدوث الأعراض فى الأجسام ، وأكفروا من زعم من الدهرية أنها كامنة فى الأجسام وانما يظهر بعضها عند كون ضده فى محله . واتفقوا على أن كل عرض حادث فى محل وأن العرض لايقوم بنفسه ، وأكفروا من قال من المعتزلة البصرية بحدوث إرادة الله سبحانه لافى محل . وبحدوث فناء الأجسام لافى محل . وأكفروا أبا الهذيل فى قوله : إن قول الله عز وجل للشىء : كن . عرض حادث لافى محل . واتفقوا على أن الأجسام لاتخلو ولم تخل قط من الأعراض المتعاقبة عليها . وأكفروا من قال من أصحاب الهيولى أن الهيولى كانت فى الأزل خالية من الأعراض . ثم حدث فيها الأعراض حتى صارت على صورة العالم . وهذا القول غاية فى الاستحالة لأن حلول العرض فى الجوهر يغير صفته ولا يزيد فى عدده . فلو كان هيولى العالم جوهراً واحداً لم يصر جواهر كثيرة بحلول الأعراض فيها .

وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوى أبداً ولو كانت كذلك لوجب ألا يلحق الحجر الذى نلقيه من أيدينا الأرض أبداً . لأن الخفيف لايلحق

ماهو أثقل منه فى انحداره . وأجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست خلاف قول من زعم من الدهرية انه لانهاية للارض من أسفل ولا عن اليمين واليسار ، ولا من خلف ولامن امام وانما نهايتها من الجهة التى تلاقى الهواء من فوقها .

وزعموا ان السماء أيضاً متناهية من تحتها ولا نهاية لها من خمس جهات سوى جهة السفل وبطلان قولهم ظاهر من جهة عود الشمس الى مشرقها كل يوم وقطعها جرم السماء ومافوق الأرض فى يوم وليلة[١]. ولا يصح قطع مالا نهاية لها من المسافة فى الأمكنة فى زمان متناه . وأجمعوا على أن السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أنها تسع واجمعوا أنها ليست بكرية تدور حول الأرض خلاف من زعم أنها كرات بعضها فى جوف بعض وان الأرض فى وسطها كمركز الكرة فى جوفها . ومن قال بهذا لم يثبت فوق السموات عرشاً ، ولا ملائكة ، ولا شيئاً مما تثبته موجوداً فوق السموات . وأجمعوا أيضاً على جواز الفناء على العالم كله من طريق القدرة والامكان . وانما قالوا بتأبيد الجنة ، وتأبيد جهنم وعذابها من طريق الشرع . وأجازوا أيضاً فناء بعض الأجسام دون بعض . وأكفروا أبا الهذيل بقوله بانقطاع نعيم الجنة وعذاب النار ، وأكفروا من قال من الجهمية بفناء الجنة والنار ، وأكفروا الجبائى وابنه أبا هاشم فى قولهما ان الله لايقدر على افناء بعض الأجسام مع ابقاء بعضها . وإنما يقدر على افناء جميعها بفناء يخلقه لافى محل .

٣ وقالوا فى الركن الثالث : وهو الكلام فى صانع العالم وصفاته الذاتية التى استحقها لذاته . ان الحوادث كلها لابد لها من محدث صانع . وأكفروا ثمامة واتباعه من القدرية فى قولهم ان الأفعال المتولدة لافاعل لها . وقالوا : إن صانع العالم خالق الأجسام والأعراض . وأكفروا معمراً واتباعه من القدرية فى قولهم ان الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض ، وانما خلق الأجسام وان الأجسام هى الخالقة للأعراض فى أنفسها . وقالوا : ان الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا اعياناً ، ولا جواهر ، ولا اعراضا على خلاف قول القدرية فى دعواها ان المعدومات فى حال عدمها أشياء . وقد زعم البصريون منهم ان الجواهر ، والأعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضا . وقول هؤلاء يؤدى إلى القول بقدم العالم . والقول الذى يؤدى إلى الكفر كفر فى

(١) هذا رأى الاقدمين ، ودوران الارض يوصل إلى النتيجه نفسها .

نفسه . وقالوا : ان صانع العالم قديم لم يزل موجوداً على خلاف قول المجوس فى قولهم بصانعين أحدهما: شيطان محدث . وخلاف قول الغلاة من الروافض الذين قالوا فى على أنه جوهر مخلوق محدث لكنه صار إلهاً صانعاً بحلول روح الإله فيه . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وقالوا : بنفى النهاية والحد عن صانع العالم على خلاف قول هشام بن الحكم الرافضى فى دعواه : أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه . وخلاف قول من زعم من الكرامية : أنه ذونهاية من الجهة التى تلاقى منها العرش ولا نهاية له من خمس جهات سواها .

وأجمعوا على احالة وصفه بالصورة والأعضاء على خلاف قول من زعم من غلاة الروافض ومن أتباع داود الجوارى انه على صورة الإنسان . وقد زعم هشام بن سالم الجواليقى وأتباعه من الرافضة أن معبودهم على صورة الإنسان وعلى رأسه وفرة سوداء وهو نور أسود ، وان نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت وخلاف قول المغيرية من الرافضة فى دعواهم ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واجمعوا على أنه لايحويه مكان، ولايجرى عليه زمان على خلاف قول من زعم من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه . وقد قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : إن الله تعالى خلق العرش اظهاراً لقدرته لامكانا لذاته . وقال أيضا : قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان .

واجمعوا على نفى الآفات، والغموم، والآلام، واللذات عنه . وعلى نفى الحركة والسكون عنه على خلاف قول الهشامية من الرافضة فى قولها بجواز الحركة عليه وفى دعواهم أن مكانه حدث من حركته، وخلاف قول من أجاز عليه التعب، والراحة، والغم، والسرور والملالة كما حكى عن أبى شعيب الناسك . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واجمعوا على أن الله تعالى غنى عن خلقه لا يجتلب بخلقه إلى نفسه نفعا ، ولا يدفع بهم عن نفسه ضرراً . وهذا خلاف قول المجوس فى دعواهم أن الله إنما خلق الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان ، وأذى أعوانه .

واجمعوا على أن صانع العالم واحد . على خلاف قول الثنوية بصانعين قديمين. أحدهما: نور والآخر ظلمة . وخلاف قول المجوس بصانعين . أحدهما : إله قديم اسمه عندهم يزدان . والآخر شيطان رجيم أهرمن . وخلاف قول المفوضة من غلاة الروافض فى أن الله تعالى فوض تدبير العالم إلى على فهو الخالق الثانى . وخلاف قول الحابطية من القدرية

أتباع احمد بن غابط فى قولهم : إن الله تعالى فوض تدبير العالم إلى عيسى بن مريم وانه هو الخالق الثانى وقد استقصينا وجوه دلائل الموحدين على توحيد الصانع فى كتاب « الملل والنحل » .

٤ وقالوا فى الركن الرابع : وهو الكلام فى الصفات القائمة بالله عز وجل: أن علم الله تعالى وقدرته، وحياته، وارادته، وسمعه، وبصره، وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية

وقد نفت المعتزلة عنه جميع الصفات الأزلية . وقالوا : ليس له قدرة . ولا علم ، ولاحياة ، ولارؤية ، ولا إدراك للمسموعات . وأثبتوا له كلاماً محدثاً . ونفى البغداديون عنه الارادة . وأثبت البصريون منهم له إرادة حادثة لا فى محل وقلنا لهم فى نفى الصفة نفى الموصوف . كما أن فى نفى الفعل نفى الفاعل . وفى نفى الكلام نفى المتكلم .

وأجمع أهل السنة على أن قدرة الله تعالى على المقدورات كلها قدرة واحدة يقدربها على جميع المقدورات على طريق الاختراع دون الاكتساب . خلاف قول الكرامية فى دعواها أن الله تعالى إنما يقدر بقدرته على الحوادث التى تحدث فى ذاته . فأما الحوادث الموجودة فى العالم فانما خلقها الله تعالى بأقواله لا بقدرته . وخلاف قول البصريين من القدرية فى دعواها أن الله سبحانه لايقدر على مقدورات عباده . ولاعلى مقدورات سائر الحيوانات

وأجمع أهل السنة على أن مقدورات الله تعالى لاتفنى . خلاف قول أبى الهذيل وأتباعه من القدرية فى دعواه أن قدرة الله تعالى تنتهى إلى حال تفنى بمقدوراته فيها . ولا يقدر بعدها على شىء ، ولايملك حينئذ لأحد على ضر ولانفع . وزعم أن أهل الجنة وأهل النار فى تلك الحال يبقون جموداً فى سكون دائم . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، وقد زعم الاسوارى وأتباعه من المعتزلة أن الله تعالى إنما يقدر على أن يفعل ما قد علم أن يفعل . فأما ماعلم أنه لايفعله أو أخبر عن نفسه بأنه لايفعله فانه لايقدر على فعله . تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ، وأجمع أهل السنة على أن علم الله تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفاصيلها من غير حس ، ولا بديهة ولا استدلال عليه . وزعم معمر وأتباعه من القدرية أن الله تعالى لايقال انه عالم بنفسه . ومن العجائب عالم بغيره ولا يكون عالماً بنفسه . وزعم قوم من الرافضة ان الله تعالى لايعلم الشىء قبل كونه . وزعم زرارة بن اعين واتباعه من الرافضة ان علم الله تعالى وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته حوادث وأنه لم يكن حياً ولا قادراً ، ولا عالما حتى خلق لنفسه حياة وقدرة ، وعلما ، وإرادة ، وسمعا وبصراً .

وأجمعوا على أن سمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات، وان الله تعالى لم يزل رائياً لنفسه وسامعا لكلام نفسه. وهذا خلاف قول القدرية البغدادية فى دعواهم أن الله تعالى ليس براء ولا سامع على الحقيقة. وانما يقال يرى ويسمع على معنى أنه يعلم المرئى والمسموع. وخلاف قول المعتزلة فى دعواها أن الله تعالى يرى غيره ولا يرى نفسه وخلاف قول الجبائى فى فرقه بين السميع والسامع، وبين البصير والمبصر حتى قال إنه كان فى الأزل سميعاً بصيراً. ولم يكن فى الأزل سامعاً ولامبصراً. وهذا الفرق يمكن عكسه عليه فلا يجد من لزوم عكسه انفصالا.

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة. وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال ولكل حى من طريق العقل. ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة فى الآخرة من طريق الخبر. وهذا خلاف قول من أحال رؤيته من القدرية والجهمية وخلاف قول من زعم أنه يرى فى الآخرة بحاسة سادسه. كما ذهب اليه ضرار بن عمرو. وخلاف قول من زعم أن الكفرة أيضا يرونه كما قاله ابن سالم (١) البصرى. وقد استقصينا مسائل الرؤية فى كتاب مفرد.

وأجمع أهل السنة على أن ارادة الله تعالى مشيئته، واختياره وعلى أن ارادته للشىء كراهة لعدمه. كما قالوا إن أمره بالشىء نهى عن تركه. وقالوا أيضا إن ارادته نافذة فى جميع مراداته على حسب علمه بها. فاعلم كونه فى الوقت الذى علم انه يكون فيه وما علم أنه لايكون أراد ألا يكون. وقالوا إنه لايحدث فى العالم شىء إلا بارادته ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن. وزعمت القدرية البصرية: ان الله تعالى قد شاء مالم يكن. وقد كان مالم يشأ. وهذا القول يؤدى إلى أن يكون مقهوراً مكرهاً على حدوث ماكره حدوثه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

واجمع أهل السنة على أن حياة الإله سبحانه بلا روح ولا اغتذاء وأن الأرواح كلها مخلوقة على خلاف قول النصارى فى دعواها قدم أب، وابن، وروح. وأجمعوا على أن الحياة شرط فى العلم والقدرة، والارادة، والرؤية، والسمع وأن من ليس بحى لايصح أن يكون عالما. قادراً، مريداً، سامعا، مبصراً. هذا خلاف قول الصالحى واتباعه من القدرية فى دعواهم جواز وجود العلم، والقدرة، والرؤية، والارادة فى الميت.

---

(١) رئيس السالمية من المشبهة كما شرحنا احواله فيما علقناه على تبيين كذب المفترى.

وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل صفة له أزلية وانه غير مخلوق . ولا محدث ، ولا حادث على خلاف قول القدرية فى دعواهم أن الله تعالى خالق كلامه فى جسم من الأجسام وخلاف قول الكرامية فى دعواهم أن أقواله حادثة فى ذاته وخلاف قول أبى الهذيل: إن قوله للشىء كن لافى محل وسائر كلامه محدث فى أجسام . وقلنا لايجوز حدوث كلامه فيه لأنه ليس بمحل للحوادث ولافى غيره لأنه يوجب أن يكون غيره به متكلما آمراً ناهيا . ولافى غير محل لأن الصفة لا تقوم بنفسها فبطل حدوث كلامه وصح ان صفته له ازلية .

٥ وقالوا فى الركن الخامس: وهو الكلام فى أسماء الله تعالى وأوصافه : إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها إما بالقرآن، وإما بالسنة الصحيحة . وإما باجماع الأمة عليه . ولا يجوز إطلاق إسم عليه من طريق القياس . وهذا خلاف قول المعتزلة البصرية فى إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس . وقد أفرط الجبائى فى هذا الباب حتى سمى الله مطيعا لعبده إذا أعطاه مراده . وسماه محبلا للنساء إذا خلق فيهن الحبل وضللته الأمة فى هذه الجسارة التى تورثه الخسارة .

فقال أهل السنة : قد جاءت السنة الصحيحة بأن لله تعالى تسعة وتسعين إسماً وان من أحصاها دخل الجنة ولم يرد باحصائها ذكر عددها والعبارة عنها فان الكافر قد يذكرها حاكياً لها ولا يكون من أهل الجنة . وإنما أراد باحصائها العلم بها واعتقاد معانيها من قولهم فلان ذو حصاة وإحصاء إذا كان ذا علم وعقل : وقالوا : إن أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام قسم منها : يدل على ذاته كالواحد ، والغنى ، والأول ، والآخر ، والجليل ، والجميل وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه . وقسم منها : يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته . كالحى . والقادر ، والعالم ، والمريد ، والسميع ، والبصير وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته . وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفا . وكلاهما من أوصافه الأزلية . وقسم منها : مشتق من أفعاله . كالخالق، والرازق والعادل ونحو ذلك .

وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفاً به[1] قبل وجود افعاله . وقد يكون من أسمائه

---

(١) هذا تعبير غير سليم بل هو خالق قبل أن يخلق الخلق كما تجد إيضاح ذلك فى عقيدة الطحاوى . ولم يكتسب اسما بفعل فهو لا أول له بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لكن هذا لاينافى تقسيم الصفات الى ثبوتية ذاتية، وسلبية ذاتية، وفعلية، وتعبير الطحاوى

مايحتمل معنيين . أحدهما : صفة أزلية والآخر : فعل له . كالحكيم إن أخذناه من الحكمة التى هى العلم كان من أسمائه الأزلية . وإن أخذناه من إحكام أفعاله واتقانها كان مشتقاً من فعله ولم يكن من أوصافه الأزلية .

٦ وقالوا فى الركن السادس: وهو الكلام فى عدل الإله سبحانه وحكمته : إن الله سبحانه خالق الأجسام . والأعراض خيرها وشرها . وأنه خالق أكساب العباد ولا خالق غير الله .

وهذا خلاف قول من زعم من القدرية : أن الله تعالى لم يخلق شيئا من أكساب العباد. وخلاف قول الجهمية : إن العباد غير مكتسبين ولا قادرين على اكسابهم . فمن زعم ان العباد خالقون لأكسابهم فهو قدرى مشرك بربه لدعواه أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التى هى الحركات ، والسكون فى العلوم ، والإرادات ، والأقوال ، والأصوات . وقد قال الله عز وجل فى ذم أصحاب هذا القول : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار[1] » ، ومن زعم أن العبد لا إستطاعة له على الكسب وليس هو بفاعل ولا مكتسب فهو جبرى والعدل خارج عن الجبر والقدر . ومن قال : ان العبد مكتسب لعمله والله سبحانه خالق لكسبه فهو سنى عدلى منزه عن الجبر والقدر .

وأجمع أهل السنة : على إبطال قول أصحاب التولد فى دعواهم ان الانسان قد يفعل فى نفسه شيئاً يتولد منه فعل فى غيره، وهذا خلاف قول أكثر القدرية بأن الانسان قد يفعل فى غيره أفعالا تتولد عن أسباب يفعلها فى نفسه . وخلاف قول من زعم من القدرية أن المتولدات أفعال لا فاعل لها كما ذهب اليه ثمامة .

وأجمعوا على أن الانسان يصح منه اكتساب الحركة ، والسكون ، والإرادة، والقول والعلم ، والفكر وما يجرى مجرى هذه الاعراض التى ذكرناها . وعلى أنه لا يصح منه اكتساب الالوان ، والطعوم ، والروائح والادراكات على خلاف قول بشر بن المعتمر واتباعه من المعتزلة فى دعواهم ان الانسان قد يفعل الألوان والطعوم والروائح على سبيل التولد . وزعموا أيضا أنه يصح منه فعل الرؤية فى العين وفعل إدراك المسموع فى محل

أقرب الى معتقد السلف الذى لا يعدوه الحق ، ولم يجد له اسم بتجدد الأفعال ولا كان محلا للحوادث بحدوث الافعال . (١) سورة الرعد : مدنية ١٦

السمع وأفحش من هذا قول معمر القدرى : بأن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الاعراض ، وان الاعراض كلها من أفعال الاجسام وكفاه بهذه الضلالة خزيا .

وقال أهل السنة : إن الهداية من الله تعالى على وجهين : أحدهما : من جهة إبانة الحق والدعاء اليه ونصب الادلة عليه وعلى هذا الوجه يصح اضافة الهداية الى الرسل والى كل داع إلى دين الله عز وجل لانهم يرشدون أهل التكليف الى الله تعالى . وهذا تأويل قول الله عز وجل فى رسوله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم[(١)] » أى تدعوا اليه . والوجه الثانى: من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم كما ذكره فى قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً[(٢)] » وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه الا الله تعالى . والهداية الاولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين . والهداية الثانية من خاصة المهتدين وفى تحقيق ذلك نزل قول الله تعالى: «والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم[(٣)] » والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال كقوله « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً[(٤)] » وقالوا : من أضله الله فبعدله ، ومن هداه فبفضله . وهذا خلاف قول القدرية فى دعواها أن الهداية من الله تعالى على معنى الإرشاد والدعاء الى الحق وليس اليه من هداية القلوب شىء . وزعموا أن الاضلال منه على وجهين . أحدهما : التسمية بان يسمى الضلال ضلالا . والثانى : على معنى جزاء أهل الضلال على ضلالتهم . ولو صح ما قالوا لوجب أن يقال : إنه أضل الكافرين لانه سماهم ضالين . ولوجب أن يقال : إن ابليس أضل الانبياء المؤمنين لانه سماهم ضالين ولزمهم أن يكون من أقام الحدود على الزناة ، والسارقين ، والمرتدين مضلا لهم . لانه قد جازاهم على ضلالتهم . وهذا فاسد فما يؤدى اليه مثله .

وقال أهل السنة فى الآجال : إن كل من مات حتف أنفه أو قتل فانما مات بأجله الذى جعله الله أجلا لعمره . والله تعالى قادر على ابقائه والزيادة فى عمره . لكنه متى لم يبقه إلى مدة لم تكن المدة التى لم يبقيه اليها أجلا له . وهذا كما أن المرأة التى لم يتزوجها قبل موته لم تكن امرأة له وان كان الله سبحانه قادرا على ان يزوجها من قبل موته . وهذا

---

(١) سورة الشورى: مكية ٥٢ (٢) سورة الانعام : مكية ١٢٥
(٣) سورة يونس : مكية ٢٥ (٤) سورة الانعام : مكية ١٢٥

خلاف قول من زعم من القدرية ان المقتول مقطوع عليه اجله وخلاف قول من زعم منهم ان المقتول ليس بميت وجحد فائدة قول الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » (١) وهذه بدعة ذهب اليها الكعبي وكفى بها خزيا .

وقال اهل السنة فى الأرزاق : بما هى عليه الآن وان كل من اكل شيئاً او شربه فانما تناول رزقه حلالا كان أو حراما على خلاف قول من زعم من القدرية ان الانسان قد يأكل رزق غيره .

وقالوا فى ابتداء التكليف : ان الله تعالى لو لم يكلف عباده شيئا كان عدلا منه وهذا خلاف قول من زعم من القدرية انه لو لم يكلفهم لم يكن حكيما . وقالوا : لو زاد فى تكليف العباد على ما كلفهم او نقص بعض ما كلفهم كان جائزاً على خلاف قول من أبى ذلك من القدرية وكذلك لو لم يخلق الخلق لم يلزمه بذلك خروج عن الحكمة وكان السابق حينئذ فى علمه انه لا يخلق

وقالوا : لو خلق الله تعالى الجمادات دون الأحياء جاز ذلك منه على خلاف قول من قال من القدرية إنه لو لم يخلق الأحياء لم يكن حكيما . وقالوا : لو خلق الله تعالى عباده كلهم فى الجنة لكان ذلك فضلا منه . على خلاف قول من زعم من القدرية انه لو فعل ذلك لم يكن حكيما . وهذا حجر منهم على الله سبحانه ونحن لا نرى الحجر عليه بل نقول : له الأمر والنهى وله القضاء يفعل مايشاء ويحكم مايريد .

٧ وقالوا فى الركن السابع : المفروض فى النبوة والرسالة : إثبات الرسل من الله تعالى إلى خلقه على خلاف قول البراهمة المنكرين لهم مع قولهم بتوحيد الصانع .

وقالوا فى الفرق بين الرسول والنبى : ان كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبى ، ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول . وقالوا : ان الأنبياء كثير ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر . وأول الرسل أبو جميع البشر وهو آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف قول المجوس فى دعواهم أبو جميع البشر كيومرت (٢) الملقب بكلشاه (٣) . وخلاف قولهم

---

(١) سورة آل عمران: مدنية ١٨٥ وسورة الأنبياء: مكية ٣٥ وسورة العنكبوت: مكية ٥٧

(٢) هو اسم آدم (عليه السلام) عندهم فى نظر الشهرستانى . (٣) بمعنى ملك الطين

ان آخر الرسل زرادشت . وخلاف قول من زعم من الخرمية أن الرسل تترى لا آخر لهم وقالوا بنبوة موسى فى زمانه . خلاف قول منكريه من البراهمة ، والمانوية الذين أنكروه مع اقرار المانوية بعيسى عليه السلام وقالوا بنبوة عيسى عليه السلام على خلاف قول منكريه من اليهود والبراهمة ، وأنكروا قتل عيسى واثبتوا رفعه إلى السماء. وقالوا : إنه ينزل إلى الأرض بعد خروج الدجال فيقتل الدجال ويقتل الخنزير ويريق الخمور ويستقبل فى صلاته الكعبة ، ويؤيد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحيي ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن .

وقالوا : بتكفير كل متنبىء سواء كان قبل الاسلام كزرادشت ، ويوراسف ، ومانى ، وديصان ، ومرقيون ، ومزدك أو بعده كسيلمة ، وسجاح ، والأسود بن يزيد العنسى وسائر من كان بعدهم من المتنبئين . وقالوا : بتكفير من ادعى الأنبياء الإلهية ، أو ادعى للأئمة بنبوة أو إلهية كالسبابة ، والبيانيـــة ، والمغيرية ، والمنصورية ، والخطابية ومن جرى مجراهم .

وقالوا : بتفضيل الأنبياء على الملائكة على خلاف قول الحسين بن الفضل مع أكثر القدرية بتفضيل الملائكة على الأنبياء . وقالوا بتفضيل الأنبياء على الأولياء من أمم الأنبياء على خلاف قول من زعم أن فى الأولياء من هو أفضل من الأنبياء. وقالوا بعصمة الأنبياء عن الذنوب وتأولوا ماروى عنهم من زلاتهم على أنها كانت قبل النبوة على خلاف قول من أجاز عليهم الصغائر ، وخلاف قول الهشامية من الروافض الذين أجازوا عليهم الذنوب مع قولهم بعصمة الامام من الذنوب .

٨ وقالوا فى الركن الثامن: المضاف إلى المعجزات والكرامات : ان المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يدى مدعى النبوة مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقه فى زمان التكليف ، وقالوا : لابد للنبى من معجزة واحدة تدل على صدقه فاذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته فان طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله عز وجل إن شاء أيده بها وان شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الايمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه . وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أن النبى عليه السلام لايحتاج إلى معجزة أكثر من استقامة شريعته كما ذهب اليه ثمامة .

وقالوا : الصادق فى دعوى النبوة يجوز ظهور معجزة التصديق عليه ولا يجوز ظهور

معجزة التصديق على المتنبى فى دعوى النبوة ويجوز أن يظهر عليه معجزة تدل على كذبه كنطق شجرة، أو عضو من أعضائه بتكذيبه.

وقالوا: يجوز ظهور الكرامات على الأولياء وجعلوها دلالة على الصدق فى أحوالهم كما كانت معجزات الأنبياء دلالة عن صدقهم فى دعاويهم. وقالوا: على صاحب المعجزة إظهارها والتحدى بها وصاحب الكرامات لايتحدى بها غيره وربما كتمها. وصاحب المعجزة مأمون العاقبة، وصاحب الكرامة لا يأمن تغير عاقبته كما تغيرت عاقبة بلعم بن باعورا بعد ظهور كراماته. وانكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا من فرقهم ذا كرامة

وقالوا: باعجاز القرآن فى نظمه. على خلاف قول من زعم من القدرية أن لا إعجاز فى نظم القرآن كما ذهب اليه النظام. وقالوا فى معجزات محمد صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر، وتسبيح الحصا فى يده ونبوع الماء من بين أصابعه وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك كثير وقد خالف النظام وأتباعه من القدرية ذلك.

المضاف إلى أركان شريعة الاسلام: إن الاسلام مبنى على خمسة
٩ وقالوا فى الركن التاسع: أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام. وقالوا من أسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة أو تأولها على معنى موالاة قوم كما تأولت عليها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة فهو كافر.

وقالوا: فى الصلوات المفروضة إنها خمس، وأكفروا من أسقط وجوب بعضها. وكان مسيلمة الكذاب قد أسقط وجوب صلاتى الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهراً لامرأته سجاح المتنبئة فكفر وألحد. وقالوا بوجوب عقد صلاة الجمعة، وأكفروا من الخوارج والروافض من قال لا جمعة اليوم حتى يظهر إمامهم الذى ينتظرونه وقالوا: بوجوب زكاة الأعيان فى الذهب والورق، والإبل، والبقر، والغنم إذا كانت هذه الأصناف الثلاثة من النعم سائمة، وأوجبوها فى الحبوب المقتاتة التى يزرعها الناس ويتخذون منها قوتاً، وأوجبوها فى ثمار النخيل والأعناب. فمن قال لازكاة فى هذه الأشياء التى ذكرناها كفر. ومن أثبت زكاتها فى الجملة وكان خلافه فى نصبها على ما اختلف فيه فقهاء الأمة لم يكفر. وقالوا: بوجوب صوم رمضان وحرموا الفطر فيه إلا بعذر صغر، أو جنون، أو مرض، أو سفر أو نحو ذلك من الأعذار. وقالوا: باعتبار شهر الصيام من رؤية هلال رمضان أو بكمال شعبان ثلاثين يوماً ولم يفطروا فى آخره إلا برؤية هلال

شوال أو بكمال أيام رمضان ثلاثين يوما . وضللوا من صام من الروافض قبل الهلال بيوم وافطر قبل الفطر بيوم . وقالوا : بوجوب الحج فى العمر مرة واحدة على من استطاع اليه سبيلا . وأكفروا من أسقط وجوبها من الباطنية ولم يكفروا من أسقط وجوب العمرة لاختلاف الأمة فى وجوبها . وقالوا : من شرط صحة الصلوات الطهارة ، وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة على حسب الامكان ، ومن أسقط اعتبار هذه الشروط أو اعتبار شىء منها مع الامكان كفر .

وقالوا : بوجوب الجهاد مع الأعداء للاسلام حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية منهم من يجوز قبول الجزية منه . وقالوا : بجواز البيع وتحريم الربا وضللوا من أباح الربا بالجملة. وقالوا : بأن الفروج لاتستباح الا بنكاح صحيح أو ملك يمين ، وأكفروا المبيضة ، والمحمرة ، والخرمية ، الذين أباحوا الزنى . وأكفروا أيضاً من تأول المحرمات على قوم زعم أن موالاتهم حرام ، وقالوا بوجوب إقامة حد الزنى ، والسرقة ، والخمر ، والقذف . وأكفروا من أسقط حد الخمر ، والرجم من الخوارج . وقالوا : أصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة ، واجماع السلف ، وأكفروا من لم ير اجماع الصحابة حجة ، وأكفروا الخوارج فى ردهم حجج الاجماع والسنن وأكفروا من قال من الروافض لاحجة فى شىء من ذلك . وانما الحجة فى قول الامام الذى ينتظرونه وهؤلاء اليوم حيارى فى التيه وكفاهم بذلك خزياً .

١٠ وقالوا فى الركن العاشر: المضاف إلى الأمر والنهى: أن أفعال المكلفين خمسة أقسام: واجب ، ومحظور ، ومسنون ، ومكروه : ومباح .

فالواجب : ماأمر الله تعالى به على وجه اللزوم وتاركه مستحق للعقاب على تركه . والمحظور : مانهى الله عنه وفاعله يستحق العقاب على فعله . والمسنون : مايثاب فاعله ولا يعاقب تاركه . والمكروه : مايثاب تاركه ولا يعاقب فاعله . والمباح : ماليس فى فعله ثواب ولا عقاب ولا فى تركه ثواب ولا عقاب . وهذا كله فى أفعال المكلفين .

فأما أفعال البهائم ، والمجانين ، والأطفال فانها لاتوصف بالاباحة والوجوب والحظر بحال . وقالوا : ان كل ماوجب على المكلف من معرفة ، أو قول أو فعل فانما وجب عليه بأمر الله تعالى إياه به . وكل ماحرم عليه فعله فبنهى الله تعالى إياه عنه ولولم يرد الأمر والنهى من الله تعالى على عباده لم يجب عليهم شىء ولم يحرم عليهم شىء . وهذا خلاف قول من زعم من البراهمة والقدرية أن التكليف يتوجه على العاقل بخاطرين يخطران بقلبه .

أحدهما : من قبل الله سبحانه يدعوه به إلى النظر والاستدلال .

والآخر : من قبل الشيطان يدعوه به إلى العصيان وينهاه به عن طاعة الخاطر الأول وهذا يوجب عليهم أن يكون ذلك الشيطان مكلفاً بخاطرين . أحدهما . من قبل الله تعالى والآخر : من قبل شيطان آخر . ثم يكون القول فى الشيطان الآخر كالقول فى الأول حتى يتسلسل ذلك بشياطين لا إلى نهاية وهذا محال وما يؤدى إلى المحال محال .

١١ وقالوا فى الركن الحادى عشر: المضاف إلى فناء العباد وأحكامهم فى المعاد : ان الله سبحانه قادر على افناء جميع العالم جملة وعلى افناء بعض الأجسام مع بقاء على بعضها خلاف قول من زعم من القدرية البصرية انه يقدر على افناء كل الأجسام بفناء يخلقه لا فى محل، ولا يقدر على افناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها . وقالوا: ان الله عزوجل يعيد فى الآخرة الناس وسائر الحيوانات التى ماتت فى الدنيا .وهذا خلاف قول من زعم أنه انما يعيد الناس دون الأحياء الباقين . وقالوا : بخلق الجنة والنار خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين . وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النــــار على المشركين والمنافقين خلاف قول من زعم أنهما يفنيان كما زعم جهم ، وخلاف قول أبى الهذيل القدرى بفناء مقدورات الله تعالى فيهما وفى غيرهما وقالوا : بان الخلود فى النار لا يكون إلا للكفرة على خلاف قول القدرية والخوارج بتخليد كل من دخل النار فيها . وقالوا : بان القدرية والخوارج يخلدون فى النار ولا يخرجون منها وكيف يغفر الله تعالى لمن يقول ليس لله أن يغفر ويخرج من النار من دخلها . وقالوا : باثبات السؤال فى القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب ، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون فى القبر ، وقالوا: بالحوض، والصراط، والميزان ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم . وقالوا : باثبات الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن صلحاء أمته للمذنبين من المسلمين ولمن كان فى قلبه ذرة من الإيمان . والمنكرون للشفاعة يحرمون الشفاعة .

١٢ وقالوا فى الركن الثانى عشر: المضاف إلى الخلافة والامامة ان الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل اقامة الامام، ينصب لهم القضاة والأمناء، ويضبط ثغورهم، ويغزى جيوشهم، ويقسم الفىء بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم . وقالوا : إن طريق عقد الإمامة للامام فى هذه الأمة الاختيار بالإجتهاد . وقالوا : ليس من النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة واحد بعينه على خلاف قول من زعم من

الرافضة أنه نص على امامة على رضى الله عنه نصاً مقطوعاً بصحته : ولوكان كما قالوه لنقل ذلك نقل مثله ، ولا ينفصل من ادعى ذلك فى على مع عدم التواتر فى نقله ممن أدعى مثله فى أبى بكر أو غيره مع عدم النقل فيه .

وقالوا : من شرط الإمامة النسب من قريش وهم : بنو النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. على خلاف قول من زعم من الضرارية أن الإمامة تصلح فى جميع أصناف العرب وفى الموالى والعجم . وخلاف قول الخوارج بامامة زعمائهم الذين كانوا من ربيعة وغيرهم . كنافع بن الأزرق الحنفى، ونجدة بن عامر الحنفى، وعبد الله بن وهب الراسبى، وحرقوص بن زهير البجلى ، وشبيب بن يزيد الشيبانى وأمثالهم عنادا منهم لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش »

وقالوا : من شرط الإمام . العلم . والعدالة . والسياسة . وأوجبوا من العلم له مقدار مايصير به من أهل الاجتهاد فى الاحكام الشرعية . وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكم الحاكم بشهادته . وذلك بان يكون عدلا فى دينه ، مصلحاً لما له وحاله ، غير مرتكب لكبيرة، ولا مصر على صغيرة ، ولاتارك للمروءة فى جل أسبابه . وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها خلاف قول من زعم من الإمامية ان الامام يكون معصوما من الذنوب كلها . وقد أجازوا له فى حال التقية أن يقول : لست بامام وهو إمام وقد أباحوا له الكذب فى هذا مع قولهم بعصمته من الكذب

وقالوا : إن الإمامة تنعقد بمن يعقدها لمن يصلح للامامة إذا كان العاقد من أهل الاجتهاد والعدالة .

وقالوا : لاتصح الإمامة إلا لواحد فى جميع أرض الاسلام إلا أن يكون بين الصقعين حاجز من بحر، أو عدو لايطاق ولم يقدر أهل كل واحد من الصقعين على نصرة أهل الصقع الآخر فحينئذ يجوز لأهل الصقع عقد الإمامة لواحد يصلح لها منهم .

وقالوا : بإمامة أبى بكر الصديق بعد النبى صلى الله عليه وسلم خلاف قول من أثبتها لعلى وحده من الرافضة ، وخلاف قول الراوندية الذين اثبتوا امامة العباس بعده .

وقالوا : بتفضيل أبى بكر، وعمر، على من بعدهما وإنما اختلفوا فى التفاضل بين على وعثمان رضى الله عنهما . وقالوا : بموالاة عثمان وتبرءوا ممن اكفره وقالوا بامامة على فى وقته . وقالوا بتصويب على فى حروبه بالبصرة ، وبصفين. وبنهروان وقالوا : بان طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال على لكن الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع بعد

منصرفه من الحرب . وطلحة لماهم بالإنصراف رماه مروان بن الحكم وكان مع أصحاب الجمل بسهم فقتله .

وقالوا : ان عائشة رضي الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنوضبة والأزد على رأيها وقاتلوا عليا دون اذنها حتى كان من الأمر ما كان .

وقالوا : فى صفين أن الصواب كان مع على رضى الله عنه وان معاوية وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطئوا فيه ولم يكفروا بخطأهم . وقالوا إن عليا أصاب فى التحكيم غير أن الحكمين اخطأا فى خلع على من غير سبب أوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر .

وقالوا : بمروق أهل النهروان عن الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم مارقين لأنهم أكفروا عليا ، وعثمان ، وعائشة ، وابن عباس ، وطلحة ، والزبير وسائر من تبع عليا بعد التحكيم .

واكفروا كل ذى ذنب من المسلمين ، ومن أكفر المسلمين واكفر اخيار الصحابة فهو الكافر دونهم .

١٣ وقالوا فى الركن الثالث عشر: المضاف إلى الايمان والاسلام: إن أصل الايمان المعرفة والتصديق بالقلب وانما اختلفوا فى تسمية الاقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيمانا مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة ، وعلى استحباب النوافل المشروعة خلاف قول الكرامية الذين زعموا أن الايمان هو الاقرار الفرد سواء كان معه اخلاص أو نفاق ، وخلاف قول من زعم من القدرية والخوارج أن اسم المؤمن يزول عن مرتكبي الذنوب .

وقالوا : ان اسم الايمان لايزول بذنب دون الكفر . ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وان فسق بمعصيته .

وقالوا : لايحل قتل امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث : من ردة أوزنى بعد احصان ، أوقصاص بمقتول هو كفؤه . وهذا خلاف قول الخوارج فى إباحة قتل كل عاص لله تعالى

ولو كان المذنبون كلهم كفرة لكانوا مرتدين عن الاسلام . ولو كانوا كذلك لكان الواجب قتلهم دون إقامة الحدود عليهم . ولم يكن لوجوب قطع يد السارق ، وجلد القاذف ورجم الزانى المحصن فائدة لأن المرتد ليس له حد إلا القتل .

١٤ وقالوا فى الركن الرابع عشر: المضاف إلى الأولياء والأئمة: إن الملائكة معصومون عن الذنوب لقول الله تعالى فيهم : « لايعصون الله

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) ».

وقال : أكثرهم بفضل الأنبياء على الملائكة خلاف قول من فضل الملائكة على الأنبياء. والزم من أجل ذلك فضل الزبانية على أولى العزم من الرسل .

وقالوا : بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم خلاف قول من فضل بعض الأولياء على بعض الأنبياء من الكرامية . واختلف أهل السنة فى امامة المفضول فأباها شيخنا أبو الحسن الأشعرى وأجازها القلانسى .

وقالوا : بموالاة العشرة من أصحاب النبي عليه السلام ، وقطعوا بأنهم من أهل الجنة وهم الخلفاء الأربعة، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح . وقالوا بموالاة كل من شهد بدراً مع النبي عليه السلام وقطعوا بأنهم من أهل الجنة ، وكذلك القول فيمن شهد معه أحداً إلا رجلا اسمه قزمان (٢) فانه قتل باحد جماعة من المشركين وقتل نفسه وكان ينسب إلى النفاق . وكذلك كل من شهد بيعة الرضوان بالحديبية من أهل الجنة .

وقالوا: قد صح الخبر بأن سبعين ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بلاحساب . وان كل واحد منهم يشفع فى سبعين ألفاً وقد دخل فى هذه الجملة عكاشة بن محصن . وقالوا أيضا بموالاة كل من مات على دين الاسلام ولم يكن قبل موته على بدعة من ضلالات أهل الاهواء الضالة .

١٥ وقالوا فى الركن الخامس عشر: المضاف إلى أحكام أعداء الدين ان أعداء دين الاسلام صنفان: صنف كانوا قبل ظهور دولة الاسلام . وصنف ظهروا فى دولة الاسلام وتستروا بالاسلام فى الظاهر وكادوا المسلمين وابتغوا غوائلهم . فالذين كانوا قبل الاسلام أصناف تختلف فيهم الأوصاف منهم : عبدة الأصنام والاوثان . ومنهم: عبدة انسان مخصوص كالذين عبدوا جمشيد(٣)، والذين عبدوا نمروذ بن كنعان(٤)، والذين عبدوا فرعون ومن جرى مجراهم . ومنهم: الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور

---

(١) سورة التحريم : مدنية ٦

(٢) وفيه قال عليه السلام : « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ».

(٣) هو: رابع سلاطين البيشدادية معروف بين العرب باسم متوشلخ

(٤) هو: ملك الأراميين الذى آذى ابراهيم عليه السلام بما هو مشروح فى التاريخ .

على مذاهب الحلولية فى دعواها حلول روح الإله بزعمهم فى الصور الحسنة . ومنهم : الذين عبدوا الشمس أو القمر ، أو الكواكب جملة أو بعض الكواكب خصوصاً . ومنهم الذين عبدوا الملائكة وسموها بنات الله . وفيهم نزل قول الله تعالى : « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى(١)» ، ومنهم : من عبد شيطانا مريداً . ومنهم قوم عبدوا البقر . ومنهم : الذين عبدوا النيران . وحكم جميع عبدة الأصنام ، والناس ، والملائكة ، والنجوم ، والنيران تحريم ذبائحهم ، ونكاح نسائهم على المسلمين . واختلفوا فى قبول الجزية منهم . فقال الشافعى : لا تقبل منهم الجزية ، وإنما يجوز قبولها من أهل الكتاب أو ممن له شبهة كتاب . وقال مالك ، وأبو حنيفة : بجواز قبولها منهم . غير أن مالكا استثنى القرشى منهم . واستثنى أبو حنيفة العربى منهم .

ومن أصناف الكفرة قبل الاسلام السوفسطائية المنكرة للحقائق ، ومنهم السمنية القائلون بقدم العالم مع انكارهم للنظر والإستدلال ودعواهم أنه لا يعلم شىء إلا من طريق الحواس الخمس . ومنهم : الدهرية القائلون بقدم العالم . ومنهم : القائلون بقدم هيولى العالم مع اقرارهم بحدوث الاعراض منها . ومنهم : الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم وأنكروا الصانع ، وبه قال منهم : فيثاغورس ، وباذينوس ومنهم : الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ولكنهم زعموا ان صنعه قديم معه . وقالوا : بقدم الصانع والمصنوع كما ذهب اليه ابيذقليس . ومنهم : الفلاسفة الذين قالوا بقدم الطبائع الأربع والعناصر الأربعة التى هى الأرض، والماء، والنار، والهواء . ومنهم الذين قالوا : بقدم هذه الأربعة وقدم الافلاك والكواكب معها وزعم أن للفلك طبيعة خامسة وانها لا تقبل الكون والفساد لا فى الجلة ولا فى التفصيل .

وقد أجمع المسلمون على أن هؤلاء الأصناف الذين ذكرناهم لا يحل للمسلمين أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم واختلفوا فى قبول الجزية منهم فمن قبلها من أهل الأوثان قبلها منهم، ومن لم يقبلها من أهل الأوثان لم يقبلها منهم . وبه قال الشافعى وأصحابه . وقالوا فى المجوس انهم أربع فرق : زروانية، ومسخية، وخرمدينية، وبه آفريدية . وذبائح جميعهم حرام وكذلك نكاح نسائهم حرام . وقد أجمع الشافعى، ومالك، وأبو حنيفة والأوزاعى والثورى على جواز قبول الجزية من الزروانية، والمسخية منهم . وانما اختلفوا فى مقدار

---

(٤) سورة النجم : مكية ٢٧

دياتهم فقال الشافعى: دية المجوسى خمس دية اليهودى والنصرانى، ودية اليهودى والنصرانى ثلث دية المسلم فدية المجوسى إذاً خمس دية المسلم . وقال أبو حنيفة : دية المجوسى، واليهودى، والنصرانى كدية المسلم .

وأما المزدكية من المجوس فلا يجوز قبول الجزية منهم لانهم فارقوا دين المجوس الأصلية باستباحة المحرمات كلها وبقولهم : إن الناس كلهم شركاء فى الاموال والنساء، وسائر اللذات وكذلك البهآفريدية لا يجوز قبول الجزية منهم وان كانوا أحسن قولا من المجوس الاصلية لان دينهم ظهر من زعيمهم به آفريد فى دولة الاسلام وكل كفر ظهر بعد دولة الاسلام فلا يجوز أخذ الجزية من أهله . واختلف الفقهاء فى الصابئين من الكفرة . فقال اكثرهم إن حكمهم فى الذبيحة، والنكاح والجزية كحكم النصارى فى جواز ذلك كله . ومنهم من قال إن من قال من الصابئين بقدم الهيولى فحكمه كحكم أصحاب الهيولى كما ذكرناه قبل هذا ومن قال منهم بحدوث العالم وكان الخلاف معه فى صفات الصانع فحكمه حكم النصارى وبه نقول . وأجمع أصحاب الشافعى على أن البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء والرسل لاتحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وان وافقوا المسلمين فى حدوث العالم وتوحيد صانعه . والخلاف فى قبول الجزية منهم كالخلاف فى قبولها من أهل الأوثان .

وأجمع فقهاء الاسلام على استباحة ذبائح اليهود، والسامرة، والنصارى وعلى جواز نكاح نسائهم، وعلى جواز قبول الجزية منهم . وانما اختلفوا فى مقدار الجزية . فقال الشافعى: ان بذل كل حالم منهم ديناراً واحداً حقن دمه . وقال أبو حنيفة : على الموسر منهم ثمانية وأربعون درهما، وعلى المتوسط أربعة وعشرون، وعلى الفقير اثنا عشر . واختلفوا فى حدودهم . فقال الشافعى : انها كحدود المسلمين ويرجم الزانى منهم إذا كان محصناً . وقال أبو حنيفة : لا رجم عليهم . واختلفوا فى دياتهم . فقال الشافعى : دية الرجل منهم ثلث دية المسلم . ودية المرأة منهم ثلث دية المسلمة . وقال مالك : دية الكتابى نصف دية المسلم . وقال أبو حنيفة . كدية المسلم سواء . واختلفوا فى جريان القصاص بينهم . فقال الشافعى : لا يقتل مؤمن بكافر بحال . وقال أبو حنيفة : يقتل المسلم بالذمى ولا يقتل بالمستأمن .

واختلفوا أيضاً فى وجوب الجزية على الشيخ الفانى منهم . فأوجبها الشافعى ولم يوجبها أبو حنيفة إلا على من كان منهم ذا تدبير فى الحروب . واختلفوا فى الثنوية من المانوية، والديصانية، والمرقيونية الذين قالوا بقدم النور والظلمة وزعموا أن العالم

مركب منهما ، وأن الخير والنفع من النور ، وأن الشر والضرر من الظلام : فزعم بعض الفقهاء أن حكمهم كالمجوس وأباح أخذالجزية منهم مع تحريم ذبائحهم ونسائهم . والصحيح عندنا أن حكمهم فى النكاح ، والذبيحة ، والجزية كحكم عبدة الأصنام والأوثان . وقد بينا ذلك قبل هذا .

وأما الكفرة الذين ظهروا فى دولة الاسلام ، واستتروا بظاهر الاسلام ، واغتالوا المسلمين فى السر كالغلاة من الرافضة السبابية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية، وسائرالحلولية، والباطنية، والمقنعية المبيضة بما وراء نهرجيحون ، والمحمرة باذربيجان ، ومحمرة طبرستان والذين قالوا بتناسخ الأرواح من اتباع ابن أبى العوجاء ومن قال : بقول أحمد بن خابط من المعتزلة ومن قال: بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الاسلام تنسخ بشرع نبي من العجم ومن قال: بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين، وبنات البنات ، ومن قال: بمذاهب العزافرة من أهل بغداد ، وقال: بقول الحلاجية الغلاة فى مذهب الحلولية، أوقال: بقول البابكية أو الرزامية المفرطة فى أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس ، أو قال: بقول الكاملية الذين أكفروا الصحابة بتركها بيعة على ، وأكفروا علياً بتركه قتالهم . فان حكم هذه الطوائف التى ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ولا تحل ذبائحهم، ولا يحل نكاح المرأة منهم . ولا يجوز تقريرهم فى دار الاسلام بالجزية . بل يجب استتابتهم فان تابوا وإلا وجب قتلهم واستغنام أموالهم . واختلفوا فى استرقاق نسائهم وذراريهم ، فاباح ذلك أبو حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعى منهم : أبو اسحاق المروزى صاحب ابن سريج ومن أباح ذلك استدل بان خالد بن الوليد لما قاتل بنى حنيفة وفرغ من قتل مسليمة الكذاب صالح بنى حنيفة على الصفراء والبيضاء وعلى ربع السبي من النساء والذرية وأنفذهم إلى المدينة . وكان منهم خولة أم محمد بن الحنفية .

وأما أهل الاهواء من الجارودية ، والهشامية ، والنجارية ، والجهمية ، والامامية ، الذين أكفروا خيار الصحابة والقدرية المعتزلة عن الحق ، والبكرية المنسوبة إلى بكر ابن اخت عبد الواحد ، والضرارية ، والمشبهة كلها والخوارج فانا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم . واختلف أصحابنا فى التوارث منهم . فقال بعضهم : نرثهم ولا يرثوننا وبناه على قول معاذ بن جبل « ان المسلم يرث من الكافر والكافر لا يرث من المسلم » . والصحيح عندنا أن أموالهم فىء ولا توارث بينهم

وبين السنى . وقد روى ان شيخنا أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى لم يأخذ من ميراث أبيه شيئاً لأن أباه كان قدرياً .

وقد أشار الشافعى إلى بطلان صلاة من صلى خلف من يقول بخلق القرآن ونفى الرؤية وروى هشام بن عبيد الله الرازى، عن محمد بن الحسن أنه قال فيمن صلى خلف من يقول بخلق القرآن : انه يعيد الصلاة . وروى يحيى بن أكثم أن أبا يوسف سئل عن المعتزلة فقال: هم الزنادقة . وأشار الشافعى فى كتاب « الشهادات » إلى جواز شهادة أهل الاهواء إلا الخطابية الذين أجازوا شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم . وأشار فى كتاب « القياس » إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وسائر أهل الاهواء . ورد مالك شهادة أهل الاهواء فى رواية أشهب، وابن القاسم، والحارث بن مسكين عن مالك انه قال فى المعتزلة: زنادقة لا يستتابون بل يقتلون .

واما المعاملة معهم بالبيع والشراء فحكم ذلك عند أهل السنة كحكم عقود المفاوضة بين المسلمين الذين فى أطراف الثغور وبين أهل الحرب وان كان قتلهم مباحاً . ولا يجوز أن يبيع المسلم منهم مصحفاً . ولا عبداً مسلماً فى الصحيح من مذهب الشافعى . واختلف أصحاب الشافعى فى حكم القدرية المعتزلة عن الحق فمنهم من قال : حكمهم حكم المجوس لقول النبى عليه السلام فى القدرية « انهم مجوس هذه الأمة » . فعلى هذا القول يجوز أخذ الجزية منهم . ومنهم من قال : حكمهم حكم المرتدين . وعلى هـــذا لا تؤخذ منهم الجزية بل يستتابون فان تابو والاوجب على المسلمين قتلهم . وقد استقصينا بيان أحكام أهل الاهواء فى كتاب « الملل والنحل » ، وذكرنا فى هذا الكتاب طرفا من أحكامهم عند أهل السنة وفيه كفاية والله أعلم .

الفصل الرابع

من فصول هذا الباب :

قولنا فى السلف الصالح من الأمة .

أجمع أهل السنة على ايمان المهاجرين والأنصار من الصحابة . هذا خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة كفرت بتركها بيعة على وخلاف قول الكاملية فى تكفير على بتركه قتالهم .

وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم من كندة وحنيفة وفزارة ، وبنى أسد. وبنى بكر بن وائل لم يكونوا من الأنصار ولا من المهاجرين

قبل فتح مكة : وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة . وأولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم .

وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول الله عليه السلام بدراً من أهل الجنة . وكذلك كل من شهد معه أحد غير قزمان الذى استثناه الخبر ، وكذلك كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية . وقالوا: بما ورد به الخبر بأن سبعين ألفاً من أمة الاسلام يدخلون الجنة بلا حساب منهم : عكاشة بن محصن(١) وأن كل واحد منهم يشفع فى سبعين ألفاً وقالوا: بموالاة أقوام وردت الأخبار بأنهم من أهل الجنة وأن لهم الشفاعة فى جماعة من الأمة منهم : أويس القرنى . والخبر فيهم مشهور وقالوا : بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة . وقالوا : بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن . وقالوا : بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول الله عليه السلام كالحسن ابن الحسن، وعبد الله بن الحسن ، وعلى بن الحسين زين العابدين ومحمد بن على بن الحسين المعروف بالباقر، وهو الذى بلغه جابر بن عبد الله الأنصارى سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق ، وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى الرضا وكذلك قولهم فى سائر أولاد على من صلبه : كالعباس ، وعمر ، ومحمد ابن الحنفية وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرفض ، ودون من انتسب اليهم وأسرف فى عدوانه وظلمه كالبرقعى(٢) الذى عدا على أهل البصرة ظلماً وعدواناً وأكثر النسابين على أنه كان دعيا فيهم ولم يكن منهم .

وقالوا : بموالاة أعلام التابعين للصحابة باحسان وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا (٣) ربنا إنك رؤف رحيم » .

وقالوا : ذلك فى كل من أظهر أصول أهل السنة، وانما تبرءوا من أهل الملل الخارجة عن الاسلام ومن أهل الاهواء الضالة مع انتسابها إلى الاسلام كالقدرية ، والمرجئة ، والرافضة والخوارج ، والجهمية ، والنجارية ، والمجسمة . وقد تقدم بيان تفصيل هذه الجملة فى الفصل الذى قبل هذا الفصل بما فيه كفاية .

---

(١) وفيه ورد (سبق بها عكاشة) (٢) لعله على بن محمد العبقسى الزائف النسب صاحب الزنج هلك سنة ٢٧٠هـ . (٣) سورة الحشر: مدنية ١٠

الفصل الخامس

من فصول هذا الباب :

في بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا

[أهل السنة لايكفر بعضهم بعضا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبرى والتكفير . فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون فى تنابذ وتناقض . وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض. وتبرى بعضهم من بعض كالخوارج، والروافض، والقدرية، حتى اجتمع سبعة منهم فى مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضا وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضا حتى قالت اليهود : « ليست النصارى على شيء. وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» [١] ، وقال الله سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » [٢] . وقد عصم الله أهل السنة من أن يقولوا فى أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنون فيهم طعناً فلا يقولون فى المهاجرين، والأنصار ، وأعلام الدين ولا فى أهل بدر ، وأحد وأهل بيعة الرضوان، إلا أحسن المقال. ولا فى جميع من شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ولا فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه. وأولاده، وأحفاده مثل الحسن ، والحسين والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن[٣] ، وعلى بن الحسين، [٤] ومحمد بن على[٥] وجعفر بن محمد، [٦] وموسى بن جعفر[٧]. وعلى بن موسى الرضا[٨] عليهم السلام ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير، ولا فى الخلفاء الراشدين، ولم يستجيزوا أن يطعنوا فى واحد منهم، وكذلك فى أعلام التابعين، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع، واظهار شيء من المنكرات ، ولا يحكون فى عوام المسلمين إلا بظاهر إيمانهم ولا يقولون بتكفير واحد منهم إلا أن يتبين منه مايوجب تكفيره ويصدقون بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «يدخل الجنة من أمتى سبعون الفا بغير حساب

---

(١) سورة البقرة ١١٣ . (٢) سورة النساء ٨٣ .

(٣) هو حفيد الحسن السبط عليه السلام توفى سنة ١٤٥ هـ رضى الله عنه .

(٤) هو الإمام على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ رضى الله عنه .

(٥) هو الباقر عليه السلام . (٦) هو الصادق عليه السلام .

(٧) هو موسى الكاظم رضى الله عنه (٨) دفين طوس رضى الله عنه .

هم الذين لايسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، كما أخرجه البخارى، وقد ورد أنه يشفع كل واحد منهم فى عدد ربيعة ومضر ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله تعالى فى كتابه حيث قال : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم(١) » .]

الفصل السادس

من فصول هذا الباب :

فى بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وأئمتهم .

[أعلم أنه لاخصلة من الخصال التى تعد فى المفاخر لأهل الاسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات إلا ولأهل السنة والجماعة فى ميدانها القدح المعلى،والسهم الأوفر،فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة، فأول متكلميهم من الصحابة على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج فى مسائل الوعد والوعيد ، وناظر القدرية فى المشيئة والاستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهنى فى نفيه القدر وأول متكلمى أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة فى الرد على القدرية . ثم زيد(٢) بن على زين العابدين وله كتاب فى الرد على القدرية . ثم الحسن البصرى ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم القدرية معروفة. ثم الشعبي وكان أشد الناس على القدرية.ثم الزهرى وهو الذى أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية ؛ ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب الرد على القدرية وكتاب الرد على الخوارج ورسالة فى الرد على الغلاة من الروافض . وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة، والشافعى فإن أبا حنيفة له كتاب فى الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر وله رسالة أملاها فى نصرة قول أهل السنة ان الاستطاعة مع الفعل ولكنه قال : إنها تصلح للضدين وعلى هذا قوم من أصحابنا (٣) ، وللشافعى كتابان فى الكلام أحدهما: فى

(١) سورة الحشر ١٠ (٢) الامام الشهيد المشهور بمنابذة الروافض (٣) وفى التبصير (١١٣) : كتاب العالم لأبى حنيفة فى الكلام فيه الحجج القاهرة على أهل الالحاد والبدعة . وكتاب الفقه الأكبر له الذى أخبرنا به الثقة باسناد صحيح عن نصير ابن يحى (عن أبى مطيع) عن أبى حنيفة ورسالته إلى عثمان البتى والوصية له فيها الرد على المبتدعة اهـ وعليها يعول أبو منصور الماتريدى فيما الفه من الكتب فى العقائد وكذا أبو جعفر الطحاوى

تصحيح النبوة والرد على البراهمة : والثانى : فى الرد على أهل الاهواء . فاما المريسى من أصحاب أبى حنيفة فانما وافق المعتزلة فى خلق القرآن واكفرهم فى خلق الافعال ثم من بعد الشافعى تلامذته الجامعون بين علم الفقه والكلام، وكان أبو العباس بن سريج أبرع الجماعة فى هذه العلوم وله نقض كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الادلة ثم من بعدهم الإمام أبو الحسن الاشعرى الذى صار شجاً فى حلوق القدرية ومن تلامذته المشهورين أبو الحسن الباهلى، وأبو عبد الله بن مجاهد (١) وهما اللذان اثمرا تلامذة هم إلى اليوم شموس الزمان وأئمة العصر كابى بكر محمد بن الطيب (الباقلانى) وأبى اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرايينى وابن فورك ، وقبل هذه الطبقة أبو على الثقفى وفى زمانه كان إمام السنة أبو العباس القلانسى الذى زادت تصانيفه فى الكلام على مائة وخمسين كتابا ، وقد أدركنا منهم فى عصرنا ابن مجاهد، وابن الطيب، وابن فورك وابراهيم بن محمد رضى الله عن الجميع وهم القادة السادة فى هذا العلم (٢) . وأما أئمة الفقه فى عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علما وليس بينهم من لايناصر السنة والجماعة وهم أشهر من نار على علم ففى سرد أسمائهم طول، وأما أئمة الحديث والإسناد فهم سائرون على هذا المهيع الرشيد لايوصم أحد منهم ببدعة وفى طبقاتهم كتب خاصة تغنى عن ذكر أسمائهم هنا. وآثارهم الخالدة لم تزل بايدى حملة العلم مدى الدهر، وكذلك أئمة الارشاد والتصوف كانوا على توالى القرون على هذا المنهج السديد فى المعتقد ، وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة ، فمن الكوفيين المفضل الضبى وابن الاعرابى ، والرؤاسى، والكسائى والفراء وابو عبيد قاسم بن سلام، وعلى بن المبارك اللحيانى، وأبو عمرو الشيبانى، وابراهيم الحربى وثعلب وابن الأنبارى وابن مقسم وأحمد بن فارس كانوا كلهم من أهل السنة .

ومن البصريين أبو الأسود الدؤلى، ويحيى بن يعمر، وعيسى بن عمر الثقفى، وعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى وبعدهم أبو عمرو بن العلاء الذى قال له عمرو بن عبيد القدرى .

---

(١) توفى الباهلى وابن مجاهد سنة ٣٧٠ هـ كما فى عيون التوارخ وتاريخ اليافعى .

(٢) وقد جمع شمل علم الكلام على معتقد أهل السنة الإمامان المتعاصران أبو الحسن الأشعرى وأبو منصور الماتريدى وقد ملأ هذان الامامان العظيمان وأصحابهما العالم الاسلامى بمؤلفاتهم الممتعة الخالدة نفعنا الله بعلومهم وحشرنا فى زمرتهم .

وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالى يصدق وعده ووعيده . فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التى ابتدعها فى أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون فى النار ، فقال عمرو بن العلاء . فأين أنت من قول العرب ؟ : إن الكريم إذا أوعد عفا ، وإذا وعد وفى ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وإنى إذا أوعدته أو وعدته　　　لمخلف ميعادى ومنجز موعدى

فعده من الكرم لامن الخلق المذموم . وكذا الخليل بن أحمد ، وخلف الأحمر ويونس ابن حبيب ، وسيبويه ، والأخفش ، والاصمعى وأبى زيد الانصارى والزجاج والمازنى والمبرد وأبى حاتم السجستانى وابن دريد والازهرى وغيرهم من أئمة الادب لم يكن بينهم أحد إلا وله انكار على أهل البدعة شديد ، وبعد عن بدعهم بعيد ولم يكن فى مشاهيرهم من تدنس بشىء من بدع الروافض والخوارج والقدرية . وكذلك أئمة القراءة وحملة التفسير بالرواية من عهد الصحابة إلى عهد محمد بن جرير الطبرى وأقرانه ومن بعدهم كانوا كلهم من أهل السنة ، وكذلك المفسرون بالدراية إلا بعض أفراد من أهل البدعة ، وكذلك مشاهير علماء المغازى ، والسير ، والتواريخ ، ونقد الاخبار وحملة الرواية من أهل السنة والجماعة فيظهر بذلك أن جماع الفضل فى العلوم فى أهل السنة والجماعة حشرنا الله سبحانه فى زمرتهم .]

الفصل السابع

من فصول هذا الباب :

فى بيان آثار أهل السنة فى الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما .

[ألممنا ببعض آثار السنة فى شتى العلوم بحيث يظهر من ذلك أنهم لا يلحقون فى هذا المضمار ومؤلفاتهم فى الدين والدنيا فخر خالد مدى الدهر للأمة المحمدية ، وأما آثارهم العمرانية فى بلاد الإسلام فمشهورة ماثلة أمام الباحثين خالدة فى بطون التواريخ بحيث لا يلحقهم فى ذلك لاحق كالمساجد ، والمدارس ، والقصور ، والرباطات ، والمصانع والمستشفيات وسائر المبانى المؤسسة فى بلاد السنة وليس لسوى أهل السنة عمل يذكر فى ذلك . وقد بنى الوليد ابن عبد الملك المسجد النبوى ومسجد دمشق على أبدع نظام وكان سنيا وبنى أخوه مسلمة المسجد بقسطنطنية وكان سنيا ، وكل مافى الحرمين وسائر الحواضر من شواهق الآثار فمن عمل أهل السنة . وأما سعى بعض العبيديين فى عمارات فشىء لا يذكر أمام أعمال

ملوك السنة على اختلاف الدول ، على أنه لا موقع لما كانوا يبنونه مع سوء اعتقادهم كما قال الله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر (١) » ولا يتسع المقام لسرد ما لأهل السنة من الآثار الفاخرة فى الدين والدنيا .

وفى هذه الإلمامة كفاية فى استذكار مآثر أهل السنة التى لا آخر لها فى ناحيتى الدين والدنيا . ولله الحمد وله الفضل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين] .

نزولا عند رغبة الأستاذ الناشر السيد عزة العطار الحسينى نظرت فى الأصول التى كان يأتى بها حتى تم بحمد الله جل شأنه إصلاح أخطائها على مبلغ علمى ومدى فهمى والتعليق على مواضع الحاجـــة منها كذلك مع سد خرومها ، بقدر ما تيسر ، وانتهيت من ذلك يوم الخميس ١٥ من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٦٧ هـ وأنا الراجى عفو مولاه جل شأنه محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى خادم العلم بدار السلطنة العثمانيـة سابقا غفر الله له ولوالديه وقرابته ومشايخه وسائر المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمــين

صفحات الخروم المستدركة بين مربعات :

٢٢ و ٣٨ و ٩١ و ١٥٠ و ١٥٤ و ١٨٠ و ١٩٤ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٢

---

(١) سورة ١٧

الرجا إصلاح الأخطاء كالآتى

٦ - ٢ : عند، ٢٨ : على ما ، ٧ - ١ : ابن الراوندى، ١٣ : مثواه، ١٨-٢٥:١٩٨،ه.
٢٥ - ١٨ : إليه أبو، ٢٦ - ١ : موصوفون ، ٣٠ - ١٥ : عبيد الله .
٣٣ - ١٨ و ٢٤ - ٤ : بالمذار، ١٣ : يا إخوتى (شعر) .. ووازروا، ١٨ :
إلى الدر. ٣٥ - ٥ : لاتصبحينا، ٣٦-٢٣ : مع ضلالاته، ٤١-١٣ : وأن، ٤٣-١٥ :
نسجت، ٤٩-٨ : بحرجرايا، ٢١ : انذا، ٦٠-١٠ : إنكار، ١٥ : وإعطائهم، ١٩ :
فتواليه، ٧١ - ١٠ : موحد، ٧٢-١ : طلحة . ٧٣ - ١٦ : ان نعيم، ٧٤ - ١٣ :
أبى، ٨١ - ١٩ : متداخل ، ٨٢ - ٢١ : لآفة (لأنه)، ٢٢ : عليها ، ٨٦ - ٥
فتتصل، ١١ : بخبل ، ٨٩ - ٧ : بها ، ٩٣ - ١٧ : بجواز، ٩٦ - ١٧
عمرو، ١١١ - ٤ : يقرن ، ٩ : والترك، ١١٤ - ٦ : انها، ١١٧ - ٢٣ :
حاله، ١١٩ - ٩ : البقة، ١٢٤ - ١٣ : وافق، ١٧ : عن الجبر،
١٢٦ - ١٤ : منها ، ١٣٠ - ٢١ : زرين، ١٣٣ - ٢٣ : إنه .
١٣٦ - ٨ . بعدودته، ١٤٠ - ١ : المشبهة . ١٤٣ - ١٠ :
أنه . ١٤٩ - ١٤ : أبى جعفر محمد . ١٥٨ - ٥
و ١٥٩ - ١٠ : بن داود . ١٦١ - ٥ :
المحرمات . ١٦٥ - ٦ : المخنثة .
١٧٣ - ١٨ : بلبثة، ٢٣ : لمغان .
١٨٧ - ٣ : أثفارها .
١٨٩ - ١٧ : الخفين .

وبقى أشياء من نحو وضع إشارة الهمزة أو النقط فى غير مواضعها وانقلاب ونط بعض الأحرف تركت إصلاحها لظهور أمرها . (ز) .

فهارس الكتاب

١ - الموضوعات والمباحث الهامة

٢ - اسماء الفرق مرتبة على حروف الهجاء

٣ - الأعلام مرتبة على حروف الهجاء

٤ - القوافى " " " "

٥ - البلدان والأماكن مرتبة على حروف الهجاء

فهرس الموضوعات والمباحث

١

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحه

صفحة

فهرس الفرق

٢



الأعــلام[1]

(١) كل علم له ترجمة فى الهامش وضعنا بجواره نجمة كما وانا وضعنا علامة ═ بمعنى أنظر

صفحة

صفحة

فهرس القوافى

٤

البلدان والأماكن

٥

« تذنيه »

(١) — : سبق ذكر بعض فرق اليهود في (١٣) . وتفصيل أحوال البوزعانية والموشكانية منهم في (٤١١) من سفينة الراغب (ز) .

(٢) — : ورمى الزيدية بالرفض في (٢٢) عدوان لاظل له من الحقيقة لأنهم أتباع الإمام السعيد زيد بن علي الشهيد عليه السلام المعروف بمنابذة الروافض ، وعلى منهجه سار جمهور الزيدية كما ناصره أبو حنيفة وأخذ عنه ، قال محمد بن اسحاق النديم في الفهرست (٢٥٣) عند تحدثه عن الزيدية : « إن أكثر المحدثين على هذا المذهب مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري ، وصالح بن حي وولده وغيرهم » فيكون هذا المذهب بريئاً من أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الرافضي الذي قال فيه الإمام جعفر الصادق : « لعنه الله فانه أعمى القلب ، أعمى البصر » وقال فيه أيضا محمد بن سنان : « أبو الجارود لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين » فبرفض مثل هذا الدخيل الماكر لايذكر الزيدية تحت عنوان الروافض ، ولكن ترى بعض أصحاب كتب الملل والنحل يندفعون إلى رمي الطوائف ببدع هم براء منها ، وهذا مما يدعو الى التبصر في عزو الآراء كما نبهنا على ذلك كراراً في مواضع (ز) .

(٣) — : وقع في (٢٢٤) : (زرين) وصوابه (زر بن حبيش) (ز) .

بسم الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ، لاتأخذه سنة ولا نوم .
أحمدك اللهم مولى النعم ، وموفق الهمم ، يامن أحاط بكل شىء ، ولا يحيط به شىء أشكرك شكر من توجه اليك خاشعاً ، خاضعاً . متذللا فاصبح من الفائزين وأصلى وأسلم على سيدنا محمد النبى المختار وآله الطيبين الاخيار وبعد :

بعون الله وتوفيقه وبركة رسوله الكريم وبمعاونة استاذنا ومولانا المحقق الكبير صاحب الفضل والفضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً ونزيل القاهرة الآن تم طبع كتاب « الفرق بين الفرق » هذا . للإمام العلامة حجة الاسلام عبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ عن نسخة خطية كانت مملوكة لجلبي زاده حفيد سلطان الصوفية جلال الدين الصديق المتوفى سنة ٦٧٢ هـ المشهور مزاره بمدينة قونية .

وكان فضل العثور على هذه النسخة النادرة لحضرة الأخ البحاثة الأديب الأستاذ سامى نجل ناشر العلوم والمعارف وخادم الشريعة الاسلامية السيد أمين الخانجى تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته .

هذا وانى اتضرع إلى الله جل شأنه أن يوفقنى لنشر الكتب العلمية الاسلامية وان يلهم القراء الكرام بان يطلبوا من الله تعالى لمؤلفه الرحمة ولناشره التوفيق فى الدنيا والرحمة والغفران فى الآخرة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل .

كتبه ناشر الكتاب الفقير إلى الله سبحانه وتعالى راجى عفوه وغفرانه
أبو أسامة السيد عزة بن المرحوم الشيخ أمين بن المرحوم محدث الديار
الشامية وبدر بدور البلدة الدمشقية العلامة المحدث الكبير
الشيخ سليم بن المرحوم الشيخ ياسين بن شيخ علماء البلاد
الشامية المحدث الكبير الشيخ حامد بن شهاب الملة
والدين الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عبد الله
ابن عسكر الحسينى النسب الدمشقى
الموطن الشهير بالعطـــار



